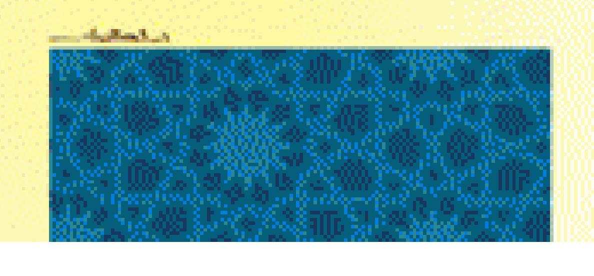


الآيات البينات في الرقى والأدوية والتحصينات

تصنيف





مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعـد...

فهذا هو الجزء الأخير من كتاب (**إرواء الظمآن بأخبار الشيطان**)، وهو كتاب متمم لهذه الأجزاء الستة الماضية، ومتمم أيضًا لما ورد عن الشيطان، بعد أخباره وأحواله ... إلخ.

وجعلت هذا الجزء متممًا لأخباره حيث ذكرت فيه التحصينات والأدوية القرآنية والنبوية الواردة في هذا الأمر؛ حتى يأخذ المسلم حذره أو يأخذ حصنه منه وحيث ما ابتلي بدائه، ذكرت له الدواء النافع من هذا السم الناقع، وأسأل الله أن أكون قد جمعت كل ما ورد من أدوية ورقى وتحصينات صحيحة نافعة، وأساهم بذلك في علاج المجتمع مما أفسده الشيطان في البدن والقلب، وأسأله أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصًا صوابًا، هو ولي ذلك والقادر عليه.



مدخل لابد منه

لقد قرأت ما يقرب من مائة كتاب في هذا الموضوع أكثرها تحتاج إلى التنور، والباقي قد حُشيَ بالدخن، وما بقي إلَّا القليل من القليل الذي يعول عليه، ويُفيد في بابه؛ لهذا جعلت هذا المدخل قبل الحديث عن الرقى والتحصينات والأدوية.

والمدخل إلى كتاب الرقى يتكون من عدة مداخل:

الأول - وهو الأصل: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**».

فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا غلام إني معلمك كلمات: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَل اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **لكَ وَلوِ اجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَليْكَ، جَفَّتِ الأَقْلامُ وطويت الصُّحُفُ**»[1]، هذا الحديث العظيم يحتاج إلى مجلدات لفك رموزه، وشرحه كما ينبغي، وشرحه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ في رسالة بعنوان: «نور الاقتباس» ولكن سوف أستخدم ما جاء فيه من عبارات لهذا الباب الذى نحن بصدده.

القاعدة الأولى - قوله: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»: هذه قاعدة كلية.

فمن أراد أن يحفظه الله في نفسه وماله وولده فليحفظ الله.

وحفظ الله بحفظ أوامره ونواهيه، وحفظه يكون في السر والعلانية، وفي الظاهر والباطن، وأن يحافظ العبد على الصلاة، فيؤديها في أوقاتها في جماعة.

ويحافظ على أداء ما افترضه الله عليه، وأن يراه الله حيث أمره، وأن يفتقده حيث

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي [٢٥١٦]، وابن وهب في القدر [٢٨]، وابن أبي عاصم [٣١٦]، وأبو يعلى [٢٥٤٩]، والطبراني في الكبير [١٢٩٨٨]، وغيرهم وهو صحيح، وقد خرجته في عمل اليوم [٤٢٥].

نهاه، ويحافظ على جوارحه، فيستعملها فيما خلقت له، ولا يستعملها في الحرام كما قال ﷺ: «**اسْتَحْيُوْا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**» فقَالُوْا: إِنَّا لَنَسْتَحْيِيْ يا رسول الله، فقال: «**مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى**» الحديث، وهو صحيح.

فعلى العبد أن يحفظ عقله، ونظره، وسمعه، وجلده، وبطنه، وقلبه، وفرجه، ولسانه، ويده، ورجله، ولا يستعمل هذه الجوارح إلا في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

والجزاء من جنس العمل كما في هذه القاعدة «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»، فإذا حافظ العبد على طاعة الله وقام بأدائها، وحافظ على النواهي وقام بتركها، فإن الله تعالى يحفظه من كل شر ومكروه في الدنيا ومن عذابه في الآخرة، ويكون من الآمنين في الدنيا والآخرة. وهذا أول طريق الشفاء -الوقاية من المرض-.

القاعدة الثانية - «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله»: وهذه قاعدة كلية أيضًا..فالعبد يستعين بالله في كل أموره، صغيرها وكبيرها، يستعين بالله وهو على يقين بأن الله مُعين، ويعين مَن طلب الإعانة بصدق، يطلب الإعانة وهو يعلم أنه لا يقضي الحوائج إلا الله، ولا يقدر على قضائها إلَّا هو.

فلا يطلب قضاء حوائجه من موتى ولا من الأولياء ولا من بشر سواء كانوا أحياء أو أمواتًا؛ لأنهم لا يملكون لأنفسهم ذلك وهم أحياء، فكيف وهم أموات؟!

فتجد العبد وهو مريض، بدلًا من أن يتجه إلى الله بكليته، ويستعين به على قضاء حوائجه، يذهب إلى الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

وأقصر طريق الشفاء الاستعانة بالله وحسن التوكل عليه، والثقة به، وسؤاله ودعاؤه ليل نهار، وهذا هو الأصل. أما التداوي فهو فرع، وهو من باب الأخذ بالأسباب.

القاعدة الثالثة - «إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَل اللهَ»: لا يستطيع مخلوق على وجه الأرض مهما أوتيَ من سلطان وجاه ومال أن يقضي لك حاجة، ولا يستطيع أي معالج في الدنيا حتى لو سخر له الطب والعلاج أن يشفي مريضًا.

ولا يستطيع طبيب مهما أُعطيَ من القدرة على علاج الأمراض وصناعة الدواء، والوقوف على أسراره أن يملك للمريض الشفاء، ولا أحد في الدنيا يملك للمريض الشفاء، ولهذا من الأخطاء الشائعة جدًّا عند الناس أن يقولوا للأطباء عند إجراء العمليات أو طلب الكشف على المريض: فيه أمل يا دكتور؟! وهذه العبارة تكرر دائمًا في الأفلام والمسلسلات حتى أصبحت مقررة على الناس، فلا الدكتور ولا المعالج ولا أحد يملك ذلك ولا يعلم بوجود الأمل أو فقده إلا الله تعالى، وكم من مريض مرضًا مزمنًا ليس له علاج ولا دواء وأذهبه الله تعالى بحسن التوكل والدعاء، وكم من مريض مرضًا لا قيمة له قتل العبد لفقده التوكل والاستعانة بالله والدعاء بالليل والنهار.

مع أن المعروف أن الأمراض والابتلاءات تقرب العباد من الله تعالى، وتقوي صلتهم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمن سلك طريق الدعاء، واستعان بالله، وأحسن التوكل عليه، وكانت ثقته في الله قوية وصاحب ذلك عزيمة الرجال؛ فإن المرض ساعتها لا يؤثر في مثله ولا وجود له في ظل هذا الإيمان القوي.

وفي بعض طرق الحديث السابق: «**تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك وقت الشدة**».

وهذا يعني أن العبد إذا تقرب إلى الله تعالى وكان مستعينًا به حال صحته وقوته، فإن الله تعالى يتعرف عليه أي: قريبًا منه مجيبًا لدعائه وقت الحاجة والشدة؛ فهذا يدل على أن العبد يكون في جميع حياته وأحواله مع الله تعالى.

القاعدة الرابعة - «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعُوا على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله** عَزَّوَجَلَّ **لكَ**»، وهذه أيضًا قاعدة عظيمة من قواعد الدين التي ينبغي حفظها في القلب، والتعامل مع الناس بهذا الأصل، وهو أن الذي يملك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له.

وأن يعلم العبد أنه لا يقع في ملك الله شيء لا يعلمه، ولا يقع إلا بإذنه كما قال تعالى عن السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإذا وقع للعبد ضر فهو بإذن الله، ولا يجدي نفع لم يضع الله فيه النفع، ولا يضر الضر إلا بإذن الله، وكم من ضُرٍّ لم يضر صاحبه، وكم من نفع لم يجدِ؛ لأن الله لم يشأ أن ينفع صاحبه.

فربما صُنِع للعبد سحر، واجتمع على سحره جماعة من أمهر السحرة ومع هذا لم يؤثر فيه ولم يضره؛ لأن الله تعالى لم يشأ أن يضره بالسحر، ولكن ربما قتلته حيَّة، أو عقرب، أو أقل من ذلك.

وربما احتسى المريض كل أنواع الأدوية والعقاقير ولم يشأ الله له الشفاء بعدُ.

وربما جاء الشفاء في شيء لا يعقل، ولأن الله شاء له الشفاء فشفي.

فكثير من المرضى بالسحر أو اللبس يضع ثقته الكاملة في المعالج أو الطبيب والمداوي، أو يضع ثقته في الدواء، وينسى أن الله تعالى هو الضار النافع وهو الشافي، وربما حدث له اليأس لأنه لم يضع ثقته في الله ولم يسأله، فمع كثرة المعالجين له، ومع كثرة الأدوية والعقاقير وقع له اليأس وأصيب بالإحباط؛ لأنه إنما وضع رحله عند المعالجين والأطباء، ووضع أمله في الأدوية، لكن لو وضع نصف هذه الثقة ونصف هذا الأمل، ووضع رحله على أعتاب الله؛ لوجد ما يسره ويُذهِب داءه، ويبدد يأسه.

المدخل الثاني

أن الأصل في هذا الباب هو كتاب الله تعالى؛ ففيه دواء لكل داء، وفيه علاج لكل الأمراض البدنية والنفسية، فمن ابتغى الدواء في غيره طال مرضه، وازدادت علله، وكثرت هواجسه، وهجم عليه شيطانه، فتركه صريعًا، قتلته الحيرة، وكثرت حسراته وزاد أنينه، وطالت أوجاعه حتى كان حتفه.

من ابتغى الهدى في غيره ضل، مَن قال به صدق، مَن حكم به عدل.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

قال الإمام البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (نظم الدرر) (٤/٤١٨): «وننزل - بعظمتنا، ثم بين المنزَّل بقوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ أي: الجامع الفارق الذي هو أحق ﴿ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ للقلوب والأبدان ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي: كرم وقوة ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: الراسخين في الإيمان، ولحراسته لهم من كل شيطان ومرض ومحنة إذا وقع الصدق في الاستشفاء به، هو كله كذلك وكذا جميع أبعاضه».

وقال الرازي في (اللوامع): «هو أُنس المحبين، وسلوة المشتاقين، وإنه النور المبين، الذي من استبصر به انكشف له من الحقائق ما كان مستورًا، وانطوى عنه من البوائق ما كان منشورًا، كما أن الباطل داء ونقمة للكافرين، ومن أعجب العجب أن هذا الشفاء ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: الراسخين في هذا الوصف وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه، بإعراضهم عما يجب، ﴿ إِلَّا خَسَارًا ﴾ أي نقصانًا؛ لأنهم إذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم، أعرضوا عنه، فكان إعراضهم ذلك زيادة في كفرانهم، كما أن قبول المؤمنين له وإقبالهم على تدبره زيادة في إيمانهم».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تفسيره) (٣٨٩/٤): «يقول تعالى مخبرًا عن كتابه الذى أنزله على رسول الله ﷺ وهو القرآن –الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد –: إنه ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض من شكٍّ ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله. وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حَقِّه ورحمة».

ويقول الشيخ سليمان بن ناصر العلواني: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿مِنَ﴾ هنا بيانية، فالقرآن كله شفاء ودواء لكل داءٍ، فمن آمن به وأحل حلاله وحرم حرامه انتفع به انتفاعًا كبيرًا، ومن صدق الله في قصده وإرادته شفاه الله تعالى وعافاه من دائه»(١).

وقال الأستاذ سيد قطب في (الظلال) (٢٢٤٨/٤): «في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن، وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد، ونزغات الشيطان، والقرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها.

وعندما يصبح القرآن ربيع القلب، ونور الصدر، وجلاء الحزن، وذهاب الهم، فإنه بمنزلة الدواء الذى يستأصل الداء ويعيد البدن إلى صحته واعتداله بعد مرضه واعتلاله.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. لقد سبرت أقوال المفسرين وأهل اللغة والبيان في كلامهم على هذه الآية فوجدت فيها قوة الاختصاص وشعرت فيها بقوة تأثير الثقة في الله تعالى في ذهاب الأمراض، وعودة

(١) انظر كتاب كيف تعالج مريضك ص [٢٧].

الثقة إلى النفس، وما للقرآن من قوة تأثير في الشفاء البدني والنفسى، ولكن للواثقين في الله، والموقنين بعظمة كلامه، وقدر كتابه العظيم الذى يذهب بالداء كله، ويحطم اليأس فلا خوف منه.

فمن تعاطى من القرآن شيئًا بنية الشفاء على يقين وثقة، ووضع حاله ورحاله على جناب الله تعالى؛ فإن الله لا يخيب أمله، ولا يرد ثقته، ويذهب بمرضه، والله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وهو الحليم الغفور، الرحيم الودود.

قال الإمام القصاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب (نُكتُ القرآن الدالة على البيان) (٨٢/٤): في قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: الآية حجة في أشياء:

فمنها: أن الهدى في القرآن، من التمسها في غيره، أو في غير ما أمر به ضل.

ومنها: أنه يستشفى به من النُّشْرة[١]، والتعليق، من أجل أن اسم التمائم لا يقع عليه؛ لأن التمائم هي: ما كانت بغير العربية، من كلام لا يعرف[٢] والقرآن شفاء، كيفما استشفي به، بالقراءة على العليل: أو بكتبه، وسقيه[٣]، والإفاضة عليه[٤]، أو تعليقه في الصحف، على بعض بدنه[٥]، لا ينكره إلّا جاهل بمعنى التمائم المنهي عنها، ولما كانت النشر تكتب من القرآن وذكر الله، وتكتب من غيره كان قوله: «النشر من السحر، والنشر من عمل الشيطان» مصروفًا إلى ذلك، لا إلى القرآن وذكر الرحمن».

---

(١) **النشرة**: ضربٌ من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مَسًّا من الجن، سميت نشرة لأنه يُنشر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يكشف ويزال. النهاية لابن الأثير (٥/ ٧٤).

(٢) سيأتي التفصيل في هذه المسألة.

(٣) جاء هذا عن مجاهد وغيره، انظر مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٨٦)، وسيأتي.

(٤) جاء عن عائشة، وسيأتي.

(٥) سيأتي كما في المستدرك (٤/ ٢١٧)، و الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣١٩).

أقول: فالأصل الذى يعول عليه في الأول والآخر هو كتاب الله تعالى ثم يأتي بعد ذلك ما جاء عن النبي ﷺ من رقى وتحصينات صحيحة الإسناد إلى النبي ﷺ، وما جاء عنه في الانتفاع والاستشفاء بالأدوية المشروعة التى دل عليها أمته.

وهذا الجزء يتكون من ثلاثة كتب:

الأول – كتاب الرقى.

الثاني – كتاب الأدوية.

الثالث – كتاب التحصينات.

سوف أحاول أن أستقصي كل ما ورد في هذا الباب مستعينًا بالله تعالى مستوفيًا ما صح عن النبي ﷺ في هذه الكتب الثلاثة.

وهو الجزء خاتم لكتابنا هذا بعد ما تكلمنا عن الشيطان والجن، واستقصينا كل ما جاء من أخبارهما، وهذا الجزء متصل بكتابنا هذا؛ لأن الرقى إنما تكون لمن أصيب من الشيطان بمسٍّ أو سحر أو عين.

والأدوية، ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ في التداوي بالأدوية المشروعة؛ لعلاج ما خلفه الشيطان في بدن الإنسان.

والتحصينات– كل ما ورد عن الله وعن رسول الله ﷺ في كيفية التحصين من كيد الشيطان ومكره وخداعه، وحتى لا يقع الإنسان فريسة للشيطان لا يجد ما يعتصم به منه، أعاذنا الله جميعًا من حيل الشيطان ومكره وكيده، إنه هو السميع العليم.

❁ ❁ ❁

وأخرج ابن حبان [١٤١٩] موارد، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: دخل عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وامرأة تعالجها وترقيها، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عالجيها بكتاب الله**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في (الطب النبوي) ص [٢٨٠] حرف «القاف»: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدًا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها؟! فما من مرض من الأمراض -قلبية أو بدنية- إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه.

وقال: من المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظن بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه، الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة والنور الهادي والرحمة العامة الذي لو نزل على جبل لتصدع من عظمته وجلاله. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾. انتهى كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

قال المحدث القاضي بدر الدين: «وفي التطبب والاستشفاء بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، غنى تام، ومقنع عام، وهو النور، والشفاء لما في الصدور، والوفاء الدافع لكل محذور، والرحمة للمؤمنين من الأحياء وأهل القبور، وفقنا الله لإدراك معانيه، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومَن تدبر مِن آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف على الدواء الشافي لكل داء موافٍ، سوى الموت الذي هو غاية كل حي، فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

(١) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في الصحيحة [١٩٣١]، وسيأتي.

وجعل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هجر الاستشفاء بالقرآن من جملة هجر القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب (الفوائد) ص [١٠١]: وهجر القرآن أنواع:

«**أحدها** - هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

الثاني - هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

الثالث - هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

الرابع - هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس - هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ... ﴾ وإن كان بعض الهجر أهون من بعض».

أخرج الدارمي في «سننه» (٥٢٢/٢): عن حفص بن غياث الحنفي أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إن البيت ليتسع على أهله وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره، أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره، أن لا يقرأ فيه القرآن».

وأخرج أيضًا (٥٢٤/٢) عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: «إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون: يا عبد الله، هذا الطريق.. فاعتصموا بحبل الله؛ فإن حبل الله القرآن».

وأخرجه الطبراني (٢١٢/٩) بلفظ: «إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين يقولون: يا عباد الله هذا الطريق فاعتصموا بحبل الله؛ فإن الصراط المستقيم كتاب الله».


الـرُّقى

كتاب الرقى

أولًا – تعريف الرقى:

قال ابن الأثير في (النهاية) [٢٣١١٢]: «رقى: فيه «ما كُنَّا نأبِنُه بِرُقية» قد تكرر ذكر الرُّقية والرُّقى والرَّقى والاسترقاء في الحديث».

والرُّقية: العوذة التي يَرقَّى بها صاحب الآفة كالحُمَّى والصَّرع وغير ذلك من الآفات.

وقال الخليل في (العين) (١٤٣/٢): «ورقَى الراقي يَرْقي رُقْيَةً ورقْيًا إذا عَوَّذ ونفث في عُوّذتِهِ، وصاحبُه رَقَّاءٌ وراقٍ، والمرْقِيُّ مُسْتَرَقىً.

وقال في (اللسان) مادة: «رقا» (١٧١١/٣): «الرُّقيةُ: العوْذَةُ، مَعْرُوفةً».

قال رؤبة: فما تركا من عُوذَةٍ يعرفانها، ولا رُقية إلَّا بها رقياني.

والجمع: رُقًى. وتقول: استرقيتُهُ فرقاني رقيَة فهو راقٍ.

وقد رقاهُ رقيًا ورُقيًّا، ورجلٌ رقَّاء: صاحب رقى، يقال: رقى الرَّاقي رُقيَةً ورُقيًا، إذا عوَّذَ ونَفَثَ في عُوذته، والمرقيُّ يسترقى، وهم الرَّاقونَ.

وقال الجوهرى في (المصباح) (٢٣٦/١): «رقى الرَّاقي رُقية ورقيا: إذا عوَّذ ونفث»[١].

وقال شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى) (١٨٢/١) (١٩٥/١٠): «الرقى بمعنى التعويذ، والاسترقاء طلب الرقية، وهو من أنواع الدعاء».

وقال شمس الحق آبادى في (عون المعبود) (٣٧٠/١٠): «الرقية: هى العُوذة بضم العين، أي: ما يرمي به من الدعاء لطلب الشفاء».

(١) ومثله في معجم مقياس اللغة ص [٣٤٧-٣٤٨]، والقاموس المحيط ص [٦٦٣] و المعجم الوسيط ص [٣٨٠]، و الصحاح ص [٤٥٨].

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (ضعيف الترمذي) (٢٣١-٢٣٢): «رقى: هي ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء من القرآن ومما صح من السُّنة، وأما ما اعتاده الناس من الكلام المسجوع الممزوج بكلمات لايفهم لها معنى، وقد تكون من الكفر والشرك، فإنها ممنوعة، ومن السخافات ما يضاف إليها من الخبز بعد أن تدخل فيه السكين أو السيخ أو الماء بعد أن يوضع في أوانٍ كتب عليها بعض الكلام، أو وُضع فيها الأوراق التي كتب عليها الكلام والطلسمات فإنها من عمل الشيطان وتخريف أدعياء العلم، ويساعد عليها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو صح قول النبي ﷺ: «**وهي من قدر الله**» فمعناه: «**أن قدر الله كائن لا يُرد**».

قال ابن عبدالبر في (التمهيد) (٢٣/٢٩): «إنَّ الرقى يدفع البلاء، ويكشفه الله به، وهو من أقوى معالجة الأوجاع لمن صحبه اليقين الصحيح، والتوفيق الصريح».

قال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: «لا بأس أن ترقي بكتاب الله، وبما تعرف من ذكر الله».



حكم الرُّقى

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الفتح) (٢٠٦/١٠): «وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

الأول - أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

الثاني - أن يكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

الثالث - أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى».

قال ابن التين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في (الفتح) (٢٠٦/١٠): «الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عزَّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها الْمُعزِّم وغيره ممن يدّعي تسخير الجن له فيأتي بأمور مشينة مركبة من حقٍّ وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتَّعوذ بمردتهم، ويقال: إن الحيَّة لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم، فإذا عَزَّم على الحيَّة بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللَّديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان؛ فلذلك كره الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماءُ الأمة».

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (النيل) (٢٩٢/٥): «حديث «**اعرضوا عليَّ رقاكم**» سيأتي، فيه دليل على جواز الرقى والتطبب بما لا ضرر فيه ولا منع من جهة الشرع وإن بغير أسماء الله وكلامه، ولكن إذا كان مفهومًا لأن ما لا يفهم لا يؤمن أن يكون فيه شيء من الشرك».

وقال في موطن آخر (٥/٢٩١): «في الحديث دليل على جواز الرقية بكتاب الله تعالى ويلحق به ما كان بالذكر والدعاء والمأثور وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور».

وقال شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى) (١٩/٦١): «وفي الاستشفاء بما شرّعه الله تعالى ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله، والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات فلا يتنازعون في أن الشرك والكفر لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذلك محرم بكل حال».

قلت: مما سبق يُستفاد:

١- أن الرقى جائزة بالإجماع.

٢- أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه الحسنى، أو صفاته العلى.

٣- أن تكون بالذكر والدعاء المأثور.

٤- أن تكون باللسان العربي أو معروف غير مجهول.

٥- لا يجوز الرقى بما لا يعقل معناه كالرقى التي كانت في الجاهلية.

٦- أن الرقى بغير بحقِّ الله أو بأسمائه وصفاته، كحقِّ مَلَك مقرب أو ملك بشري.

٧- أن يعتقد الراقي والمرقي أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى.

فإن التزم الرَّاقي والمرقي هذه الشروط وقع الشفاء بإذن الله تعالى.

❁ ❁ ❁

جامع لأحاديث الرقية

١- عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النّبِيّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتّى نَزَلُوا عَلَى حَيّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيّدُ ذَلِكَ الْحَيّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرّهْطَ الّذِينَ نَزَلُوا لَعَلّهُمْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيّهَا الرّهْطُ! إِنّ سَيّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللهِ إِنّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ اسْتَضَفْنَاكُمْ، فَلَمْ تُضَيّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ حَتّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ: الْحَمْدُ للهِ رَبّ الْعَالَمِينَ، فَكَأَنّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْتَسِمُوا، فَقَالَ الّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتّى نَأْتِيَ رَسُولَ الله ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنّهَا رُقْيَةٌ ؟**»، ثُمّ قَالَ: «**قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**»[(١)].

قال شمس الحق العظيم أبادي: «إن رهطًا من أصحاب النبي ﷺ كانوا في سرية وكانوا ثلاثين رجلًا كما في رواية الترمذي وابن ماجه «بحيٍّ من أحياء العرب» فاستضافوهم فلم يضيفوهم فبينما هم كذلك «فقال بعضهم» أي من ذلك الحي «إن سيدنا لدغ» بصيغة المجهول أي ضربته العقرب بذنبها، فقال رجل من القوم، هو أبو سعيد الخدري أبهم نفسه في هذه الرواية: «استضفناكم» أي طلبنا منكم الضيافة «فأبيتم» أي امتنعتم أن تضيفونا، من التفعيل «تجعلوا لي جُعْلا» بضم الجيم وسكون العين المهملة

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢ ، ١٠) والبخاري [٢٢٧٦] [٥٠٠٧] [٥٧٣٦]، ومسلم [٢٢٠١]، وقد خرجته مطولًا في عمل اليوم لابن السنى [٦٤١].

أجرًا على ذلك، قاله القسطلاني، وفي الكرماني: الجعل بضم الجيم ما يجعل الإنسان من المال على فعل «قطيعًا» أي: طائفة، «في الشاء» جمع شاة وكانت ثلاثين رأسًا «ويتفل» وفي رواية للبخاري: «ويجمع بزاقة ويتفل» حتى برأ «سيد أولئك» كأنما أنشط من عقال أي: «أخرج من قيد» «فأوفاهم» أي أوفى ذلك الحي للصحابة «جُعلهم» بضم الجيم هو المفعول الثاني لأوفى «الذي صالحوهم عليه» وهو ثلاثون رأسًا من الشاء، فقالوا: أي بعض الصحابة لبعضهم «اقتسموا» الشاء، فقال الذي رقى، هو أبو سعيد: «من أين علمتم» وفي رواية البخاري: وما أدراك «أنها» أي فاتحة الكتاب وعند البخاري خذوها «معكم بسهم» كأنه أراد المبالغة في تصويبه إياهم. وفيه جواز الرقية وبه قالت الأئمة الأربعة وفيه جواز أخذ الأجرة قاله العيني»(١).

وفي رواية أخرى: أنه قرأ الفاتحة سبع مرات كما قال أبو سعيد الخدري أنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَنَزَلْنَا بِقَوْمٍ فَسَأَلْنَاهُمُ الْقِرَى فَلَمْ يَقْرُونَا، فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْقِي مِنْ الْعَقْرَبِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا، وَلَكِنْ لَا أَرْقِيهِ حَتَّى تُعْطُونَا غنَمًا، قَالَوا: فَإِنَا نعْطِيكُمْ ثَلَاثِينَ شَاةً، فَقَبِلْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ للهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَبَرَأَ وَقَبَضْنَا الْغَنَمَ. قَالَ: فَعَرَضَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْهَا شَيْءٌ، فَقُلْنَا: لَا تَعْجَلُوا حَتَّى تَأْتُوا رَسُولَ الله ﷺ.

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي صَنَعْتُ، قَالَ: «**وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْبِضُوا الْغَنَمَ، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ**»(٢).

٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغٌ -أَوْ سَلِيمٌ- فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلاً

(١) عون المعبود (١٠/ ٢٨١).

(٢) انظر: صحيح الترمذي [١٦٨٥]، و صحيح ابن ماجه [١٧٤٩].

لَدِيغًا -أَوْ سَلِيمًا- فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ. فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا، فَقَالَ الرجل: يا رَسُولَ اللهِ إنا مررنا بحي من أحياء العرب فيهم لديغ -أو سليم- فانطلقت فرقيته بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ. فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

٣- عَنْ عم خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ أَهْلُهُ: إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا، قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ؟ فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ، فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ إِلَّا هَذَا» وَقَالَ مُسَدَّدٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا»؟ قُلْتُ: لَا! قَالَ: «**خُذْهَا، فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ**»[(٢)].

قال المناوي: «إن فاتحة الكتاب شفاء من كل داء من أدواء الجهل والمعاصي والأمراض الظاهرة، لما حوته من إخلاص العبودية والثناء على الله وتفويض الأمر إليه والاستعانة به والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها وهي الهداية التي تجلب النعم وتدفع النقم، وذلك من أعظم الأدوية الشافية الكافية. قيل: ومحل الرقية منها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لما فيهما من عموم التفويض والتوكل والالتجاء والاستعانة والافتقار والطلب والجمع من أعلى الغايات، وهي عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل. ومن الاستعانة به على عبادته ما ليس في غيرها»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري [٥٧٣٧] وانظر: الإرواء [١٤٩٤].

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢١٠)، وأبو داود [٣٤٢٠] وخرجته مطولًا في عمل اليوم [٦٢٤].

(٣) فيض القدير (٤/ ٤١٩).

قال الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا معتوه فاقد الأهلية والتمييز ذاهب العقل، سواء كان الخلل في المخل والعقل أو لمس من الجن، فهو أمر معنوي، وقد شفي بالفاتحة، فتكون الفاتحة رقية للأمور المحسوسة كلدغ العقرب والأمور المعنوية كالمعتوه، وهذا أيضًا ليس عن علم مسبق، ولا نص يعتمد عليه، إنه كان عند رسول الله ﷺ فأسلم وفي طريق عودته إلى دياره مد بهذا الحي، وفيه هذا المعتوه، ولما رجع إلى النبي ﷺ أقره على ذلك، وسماها رقيا حق، وأباح له الجعل من الغنم مائة شاه..وعليه فإن استشفى بالفاتحة لكل مرض فعنده أصل من هاتين الصورتين اللديغ والمعتوه»[(١)].

٤- عن السائب بن يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «**عَوَّذني رسولُ الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلا**»[(٢)].

٥- عن عمرة عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»[(٣)].

٦- عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أن رسول الله ﷺ إذا أتى المريض فدعا له، وفي رواية: يُعَوِّذُ بعضهم بمسحه بيمينه ويقول: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**»[(٤)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (شرح مسلم) (١٣/١٤-١٥): قولها: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ**» إلى آخره» فيه استحباب مسح المريض باليمنى، والدعاء له، ومعنى: «**لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**»، أي: لا يترك.

(١) **انظر**: كتاب العين والرقية ص [١٠٢-١٠٣].

(٢) **حسن**: أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٨٩)، وابن عساكر (٣٩/ ٧) وغيرهما، وهو حسن بشواهده.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن حبان [٦٠٩٨]، وصححه الألباني وقد سبق في الصحيحة [١٩٣١].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري [٥٦٧٥]، ومسلم [٢١٩١] وغيرهما.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الزاد) (٤/١٨٨): «في هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلاّ شفاؤه فتضمنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته».

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): «قال ابن بطال: في وضع اليد على المريض تأنيس له تعرُّف لشدة مرضه ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه وربما وقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع به العليل إذا كان العائد صالحا».

وقال أيضًا: «أنت الشافي» يُؤْخَذ مِنْهُ جَوَاز تَسْمِيَة الله تَعَالَى بِمَا لَيْسَ فِي الْقُرْآن بِشَرْطَيْنِ: أَحَدهمَا أَنْ لَا يَكُون فِي ذَلِكَ مَا يُوهِم نَقْصًا، وَالثَّانِي - أَنْ يَكُون لَهُ أَصْل فِي الْقُرْآن وَهَذَا مِنْ ذَاكَ، فَإِنَّ فِي الْقُرْآن ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[(١)].

قال المناوي: «مذهب البأس» شدة المرض «رب الناس» أي الذى رباهم بإحسانه وعاد عليهم بفضله وحذف حرف النداء إشهارًا بما له من القرب لأنه حضرة المراقبة «اشف» أبرئ «أنت» لا غيرك «الشافي» المداوي من المرض المبرئ، «لا شفاء إلا شفاؤك» وفي رواية «لا شافي إلا أنت» في أن كل ما يقع في التداوي إنما ينجع بتقدير الله، «شفاء لا يغادر» لا يترك، وفائدته أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرض آخر، «سقما» مرضًا ولا يشكل الدعاء بالشفاء مع أن المرض كفارة لأن الدعاء عبادة، ولا ينافي الثواب والكفارة لحصولها بأول المرض وبالصبر عليه، والداعي ما يحصل له مطلوبه أو يعوضه»[(٢)].

٧- عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد

---

(١) انظر فتح الباري (١٠/ ٢٠٧).

(٢) فيض القدير (٢/ ١٥٠-١٥١).

كاد يهلكني، فقال: «**امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ. قَالَ: فَفَعَلْتُ فَأَذْهَبَ الله مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ**»(١).

قال المباركفوري: «قوله: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني» ولمسلم وغيره من رواية الزهري عن نافع عن عثمان أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم «امسح» أي موضع الوجع «بيمينك سبع مرات». وفي رواية مسلم: فقال له: ضع يديك على الذي يألم من جسدك. وللطبراني والحاكم: ضع يمينك على المكان الذي تشتكي فامسح بها سبع مرات «وقل أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شر ما أجد» وفي رواية مسلم: وقل بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر. للترمذي في الدعوات وحسنه والحاكم وصححه عن محمد بن سالم قال: قال لي ثابت البناني: يا محمد إذا اشتكيت فضع يديك حيث تشتكي ثم قل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترًا، قال فإن أنس بن مالك حدثني أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك «قال» أي عثمان «فعلت» أي ما قال لي «فأذهب الله ما كان بي» أي من الوجع «فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم»؛ لأنه من الأدوية الإلهية والطب النبوي، لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وقدرته، وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها».

٨- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه دُعيَ لامرأة بالمدينة لدغتها حيَّة ليرقيها فأبى فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فدعاه، فقال عمر: إنك تزجر عن الرقى!! فقال: اقرأها عليَّ، فقرأها عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا بأس، إنما هي مواثيق فارق بها**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢١-٢١٧)، ومسلم [٢٢٠٢]، وأبو داود [٣٨٩٨]، والترمذي [٢١٧٧]، والنسائي كبري [٧٥٤٦]، وابن ماجه [٣٥٢٢].

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٢، ٣١٥)، وابن ماجه [٣٥١٥]، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه [٢٨٣٣]، وفي الصحيحة [٤٧٢].

قال في (الفتح الرباني) (١٧/١٧٨): «وإنما قال ﷺ: «**اقرأها عليَّ خشية أن يكون فيها شيء من شرك الجاهلية**»، فلما لم يجد شيئًا من ذلك قال: «لا بأس» وأذن له بها.

٩- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات: أسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم، أن يشفيك، إلاّ عوض**»(١).

١٠- وعن عائشةَ بنتِ سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أباها قال: تَشكيتُ بمكة شكوَى شديدة، فجاءني النبي ﷺ يَعودُني فقلتُ: يا نبيّ الله إني أترُكُ مالًا وإني لم أترُك إلا بنتًا واحدة فأُوصي بثُلث مالي وأترُكُ الثلثَ؟ فقال: «**لا**» قلتُ: فأُوصي بالنصفِ وأتركُ النصفَ؟ قال: «**لا**» قلتُ: فأُوصي بالثلثِ وأترُكُ لها الثلثين؟ قال: «**الثلثُ والثلثُ كثير**» ثم وضعَ يدَهُ على جبهتِهِ ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني ثم قال: «**اللهم اشفِ سعدًا وأَتمِمْ له هِجرَته**»(٢).

١١- عن عروة عن عائشة قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ إذا مَرِضَ أحدٌ من أهله، نفث عليه بالمعوِّذات، فلما مَرِض مرضَه الذي مات فيه، جعلتُ أنفثُ عليه وأمسحُهُ بيد نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركةً من يدى، وفي رواية يحيى بن أيوب: بمعوِّذات(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٧/٤١٢): «والنفث» نفخ لطيف بلا ريق، وفيه استحباب النفث في الرقية وقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وأخرج النسائي في (الكبرى) [٧٠٨٨] [٨٩٣٥]، وابن ماجه [١٦١٨]، وأحمد (٦/٣٨)، والحميدي [٢٣٣] عن عائشة: أنها سُئِلت عن نفث النبي ﷺ في الرقية، فقالت: «كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه» وإسناده صحيح.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٣٩ ، ٢٤٢)، وأبو داود [٣١٠٦]، والترمذي [٢١٨٠]، والنسائى في عمل اليوم [٢٥٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٥٧٦٦].

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٥٩]، ومسلم [١٦٢٨]، وأبو داود [٣١٠٤].

(٣) أخرجه مسلم [٢١٩٢] وهذا لفظه، والبخاري وغيرهما.

وفي حديث الذي رقى بفاتحة الكتاب «فجعل يجمع بزاقه ويتفل» وهو عند البخاري [٥٧٣٦] ومسلم [٢٢٠١] وقد سبق.

قال القاضي: وفائدة التفل: التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشرة للرقية، والذكر الحسن.

وكان مالك ينفث إذا رقى نفسه، وكان يكره الرقية بالحديدة والملح والذى يعقد، والذي يكتب خاتم سليمان، والعقد عنده أشد كراهة لما في ذلك من مشابهة السحر. والله أعلم.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث: استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار وإنما رقى بالمعوذات؛ لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلًا، ففيها الاستعاذة من شرِّ ما خلق، فيدخل فيه كل شيءٍ، ومن شرِّ النفاثات في العقد، ومن شرِّ السواحر، ومن شرِّ الحاسدين، ومن شرِّ الوسواس الخناس» والله أعلم.

١٢- وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى إنسان الشيء منهُ، أو كانت به قرحةٌ أو جرحٌ قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا -ووضع سفيانُ سبَّابتهُ بالأرض ثم رفعها-: «**باسم الله. تُربةُ أرضنا، بريقةِ بعضنا ليُشفى به سقيمنا، بإذن ربنا**»[(١)].

١٣- وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألتُ عائشة عن الرُّقية؟ فقالت: رخَّص رسول الله ﷺ لأهل بيتٍ من الأنصار في الرُّقية، من كُلِّ ذى حُمَة»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري [٥٧٤٥-٥٧٤٦]، ومسلم [٢١٩٤] وهذا لفظه، وأبو داود [٣٨٩٥]، وأحمد (٦/ ٩٣) وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم [٢١٩٣] وهذا لفظه، والبخاري [٥٧٤١]، وأحمد (٦/ ٦١-١٩٠)، وأبو يعلى [٤٩٠٩][٢٣٥٢٩]، والطحاوي (٤/ ٣٢٨).

١٤- عن ابن شداد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين[١]، وفي رواية: «**كان يأمرني أن أسترقي من العين**»[٢].

١٥- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رخَّص رسول الله ﷺ في الرُّقيةِ من العين والحُمة، والنملة»[٣].

١٦- عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ - رأى بوجهها سفعةً -: «**بها نظرة، فاسترقوا لها**» يعني: بوجهها صُفرة[٤].

١٧- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رَخَّصَ النَّبِي ﷺ لآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ، وَقَالَ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «**مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً تُصِيبُهُمُ الْحَاجَةُ؟!**» قَالَتْ: لا، وَلَكِنِ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: «**ارْقِيهِمْ**» قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**ارْقِيهِمْ**»[٥].

١٨- عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَرْقِي هذا؟ قَالَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»[٦].

وفي رواية عند مسلم وأحمد (٣/٣١٥) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى. قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: «**مَا أَرَى بَأْسًا. مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**».

---

(١) أخرجه مسلم [٢١٩٥]، وابن حبان [٦١٠٣، ٦١٠٩].

(٢) أخرجه البخاري [٥٧٣٨]، ومسلم [٢١٩٥].

(٣) أخرجه مسلم [٢١٩٦]، والترمذي [٢٠٥٦]، وابن ماجه [٣٥١٦].

(٤) أخرجه البخارى [٥٧٣٩]، ومسلم [٢١٩٧].

(٥) أخرجه مسلم [٢١٩٨]، وأحمد (٣/ ٣٣٣)، والطحاوي (٤/ ٣٢٧).

(٦) أخرجه مسلم [٢١٩٩]، وأحمد (٣/ ٣٣٤)، وابن حبان [٦١٠٢]، والطحاوي (٤/ ٣٢٧) وغيرهم.

١٩- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله! كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»(١).

٢٠- وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يرقي رسول الله ﷺ إِذَا اشْتَكَى.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قال: «**بِسْمِ الله يُبرِيك، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ. ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ**»(٢).

وفي رواية عند مسلم والترمذي [٩٧٢]، وابن حبان [٣٥٢٣]: «أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شيءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ. بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»

وهناك أحاديث أخر تركتها مخافة الإملال، وفي القدر كفاية ومقنع لمن اعترض على الرقى ومنع من ذلك.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم [٢٢٠٠]، وأبو داود [٣٨٨٦]، وابن حبان [٦٠٩٤]، والطحاوي (٤/ ٣٢٨)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٩/ ٨٨) وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٦٠)، ومسلم [٢١٨٥].

بعض أقوال أهل العلم في الرقى

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تجوز الرقية بذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جميع الأوجاع»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما مرَّ «فيه التصريح بأنها رقية يستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات»[(٢)].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ [الإسراء:٨٢]. الثاني: أن القرآن شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه -ثم ذكر حديث أبي سعيد الماضي- ثم ذكر-رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا طويلًا في الرقى وكيفيتها والاغتسال بماء القرآن، والأحاديث الواردة في الرقى، ولعلنا ننقله برمَّته إن شاء الله[(٣)].

قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٢٣١-٢٣٢) كلامًا طيبًا وذكر التعارض بين الجواز والنهي، ورجح بكلام طيب فراجعه، وقد سبق نقله.

كما تحدث شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٨-٣٨) عن الرقية بالقرآن والأذكار، ونقل عن الإمام أحمد جواز كتابة آيات القرآن بالمداد المباح ويغتسل المصاب ويُسقى من هذا الماء، وقد أطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك فراجعه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيّةِ وَالْبَدَنِيّةِ، وَأَدْوَاءِ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلّ أَحَدٍ يُؤَهّلُ وَلَا يُوَفّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التّدَاوِي بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ، لَمْ يُقَاوِمْهُ الدّاءُ أَبَدًا، وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءُ كَلَامَ رَبّ الْأَرْضِ وَالسّمَاءِ الّذِي لَوْ

(١) انظر فتح الباري (١٢/ ١٦٢).

(٢) شرح مسلم (١٥/ ١٣ - ١٤).

(٣) راجع تفسير القرطبي (٥/ ٦٦٤).

نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَّعَهَا أَوْ عَلَى الْأَرْضِ لَقَطَّعَهَا، فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدَّلَالَةِ عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ وَالْحِمْيَةِ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللهُ فَهْمًا فِي كِتَابِهِ. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله»(١).

وقال في موضع آخر: «وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَتَى قَوِيَتْ، وَقَوِيَتْ النَّفْسُ وَالطَّبِيعَةُ تَعَاونا عَلَى دَفْعِ الدَّاءِ وَقَهْرِهِ، فَكَيْفَ يُنْكِرُ لِمَنْ قَوِيَتْ طَبِيعَتُهُ وَنَفْسُهُ، وَفَرِحَتْ بِقُرْبِهَا مِنْ بَارِئِهَا، وَأُنْسِهَا بِهِ، وَحُبِّهَا لَهُ، وَتَنَعّمِهَا بِذِكْرِهِ، وَانْصِرَافِ قُوَاهَا كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَجَمْعِهَا عَلَيْه، وَاسْتِعَانَتِهَا بِهِ، وَتَوَكُّلِهَا عَلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَدْوِيَةِ، وَأَنْ تُوجِبَ لَهَا هَذِهِ الْقُوَّةُ دَفْعَ الْأَلَمِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ، وَأَغْلَظُهُمْ حِجَابًا، وَأَكْثَفُهُمْ نَفْسًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ اللهِ وَعَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ»(٢).

وقال أيضًا: «وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ بَعْضَ الْكَلَامِ لَهُ خَوَاصّ وَمَنَافِعُ مُجَرَّبَةٌ، فَمَا الظَّنّ بِكَلَامِ رَبّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي فَضْلُهُ عَلَى كُلّ كَلَامٍ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ التَّامّ، وَالْعِصْمَةُ النَّافِعَةُ، وَالنُّورُ الْهَادِي، وَالرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ، الَّذِي لَوْ أُنْزِلَ عَلَى جَبَلٍ لَتَصَدَّعَ مِنْ عَظْمَتِهِ وَجَلَالَه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] و«من» هنا بيان الجنس، لا للتبعيض. هذا أصح القولين»(٣).

قال: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَدْوِيَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَنْفَعُ مِنْ الدَّاءِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَتَمْنَعُ مِنْ وُقُوعِهِ، وَإِنْ وَقَعَ لَمْ يَقَعْ وُقُوعًا مُضِرًّا وَإِنْ كَانَ مُؤْذِيًا، وَالْأَدْوِيَةُ الطَّبِيعِيَّةُ إِنَّمَا تَنْفَعُ بَعْدَ حُصُولِ

(١) الطب النبوي ص[٣٥٢].

(٢) الطب ص[١٢].

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٧٧).

الدَّاءِ، فَالتَّعَوّذَاتُ وَالْأَذْكَارُ إمّا أَنْ تَمْنَعَ وُقُوعَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَإِمّا أَنْ تَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ كَمَالِ تَأْثِيرِهَا بِحَسَبِ كَمَالِ التَّعَوّذِ وَقُوّتِهِ وَضَعْفِهِ، فَالرّقَى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»[(١)].

وقال الإمام الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أحكام الجان» ص[١٤٠]: «وفي التطبب والاستشفاء بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ غنى تام، ومقنع عام، وهو النور، والشفاء لما في الصدور، والوقاء الدافع لكل محذور، والرحمة للمؤمنين من الأحياء وأهل القبور، وفقنا الله لإدراك معانيه، وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبر من آيات الكتاب، من ذوي الألباب، وقف على الدواء الشافي لكل داء موافٍ، سوى الموت الذي هو غاية كل حي، فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] وخواص الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية، ولكن لا يعقلها الا العالمون؛ لأنها تذكرة، وتعيها أذن واعية، والله الهادي للحق».

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (٤/٥٦٦): «وفي الحديث مشروعية الرّقية بكتاب الله، ونحوه مما ثبت عن النبي ﷺ من الرقى كما في الحديث: «**عالجيها بكتاب الله**»، وعن الشفاء قالت: دَخَلَ عَلَينا النبي ﷺ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: «**أَلَا تُعَلّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النّمْلَةِ كَمَا عَلّمْتِيها الْكِتَابَةَ؟**»، وأما غير ذلك من الرقى فلا تشرع، لاسيما ما كان منها مكتوبًا بالحروف المقطعة، والرموز المغلقة التي ليس لها معنى سليم ظاهر، كما ترى أنواعًا كثيرة منها في الكتاب المسمى بـ(شمس المعارف الكبرى) ونحوه.

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة بعنوان «حكم السحر والكهانة» ص(٢٦-٢٧) في وصف العلاج للمسحور: «وتارة يعالج السحر بالقراءة سواء كان ذلك بقراءة المسحور نفسه إذا كان سليم العقل، وتارة بقراءة غيره عليه فينفث عليه في صدره أو في أي عضو من

(١) الزاد (٤/ ١٨٢).

أعضائه ويقرأ عليه: الفاتحة، وآية الكرسي، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، وآيات السحر المعروفة من سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة طه، والأولى أن يكرر سورة قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات ثم يدعو له بالشفاء، ثم قال: كل هذا من الدواء المفيد، وإن قرأ هذه الرقية والدعاء في ماء ثم شرب منه المسحور واغتسل بباقيه كان هذا من أسباب الشفاء والعافية بإذن الله، وإن جعل في الماء سبع ورقات من السدر الأخضر بعد دقها كان هذا أيضًا من أسباب الشفاء، وقد جُرب هذا كثيرًا وهو مفيد ونافع للمسحورين، وهكذا ينفع هذا الدواء لمن حُبس عن زوجته؛ لأن بعض الناس قد يحبس عن زوجته فلا يستطيع جماعها فإذا استعمل هذه الرقية وهذا الدعاء نفعه بإذن الله، سواء قرأه على نفسه، أو قرأه عليه غيره، أو قرأه في ماء ثم شرب منه واغتسل بالباقي. كل هذا نافع بإذن الله للمسحور والمحبوس عن زوجته، وهذه من الأسباب والله قدير، بيده عَزَّوَجَلَّ الدواء والداء، وكل شيء بقضائه وقدره سبحانه.

والخلاصة: أن الأقوال كثيرة، والرقى مجمع عليها، ولا أعلم من خالف في ذلك وشذَّ عن هذا الاجماع.

فقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

- أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

- أن تكون باللسان العربى، أو بما يُعرف معناه من غيره.

- أن يعتقد -كل من الراقي والمرقي- أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله.

❊ ❊ ❊

مسائل تتعلق بالرقى

المسألة الأولى - هل الاسترقاء ينافي تمام التوكل؟

نظرت في أقوال العلماء سلفًا وخلفًا فوجدت أن الرقية بالمشروع مجمع عليه وأنه لا ينافي التوكل، ولكن يجب أن تكون الرقية واقعة بالشروط السابقة، لكن العلماء اختلفوا إلى فريقين فيما إذا كان الاسترقاء ينافي تمام التوكل أم لا؟

فالفريق الأول قالوا: بأن الاسترقاء منافٍ لتمام التوكل، وليس كل التوكل.

منهم: الإمام أحمد، والقاضي عياض، والإمام الخطابي، والإمام النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ مع الآخرين.

والفريق الثاني قالوا: بأن الاسترقاء لا يقدح فى تمام التوكل، ومنهم: الإمام الطبري صاحب التفسير وشيخ المفسرين، والإمام المازري، والإمام ابن القيم، والإمام ابن قتيبة، وابن عبد البر، والداودي، والقرطبي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وغيرهم.

ومستند الفريق الأول حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذى أخرجه البخارى [٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٥٤١]، ومسلم كتاب (الإيمان) [٢١٨-٢١٩] أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النّبِيّ وَمَعَهُ الرّهْطُ، وَالنّبِيّ وَمَعَهُ الرّجُلُ وَالرّجُلاَنِ...**» وفيه: «**وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ وَهُمِ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، ولا يكتوون، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

زاد مسلم في بعض رواياته «لا يرقون» وهى زيادة شاذة حكم عليها شيخ الإسلام بالشذوذ، وكذلك العلامة المحدِّث الشيخ الألباني رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم هو شاذ سندًا ومتنًا، كما بينته فى محل آخر، وحسبك دليلًا على شذوذه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رقى غيره أكثر من مرة. ومثله حديث أنس عند البزار كما في (صحيح الجامع) [٣٦٠٤].

قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/٢٣١-٢٣٢): «والرُّقْيَة: العُوذة التى يُرقى بها صاحب الآفة كالحُمَّى والصرع وغير ذلك من الآفات. وقد جاء في بعض الأحاديث جوازُها وفى بعضها النَّهي عنها: فمن الجواز قوله: «**استرقوا لها؛ فإن بها النظرة**»، أى: اطلبوا لها من يرقيها.

ومن النَّهي قوله: «**لا يسترقُون ولا يكتوون**» والأحاديث فى القسمين كثيرة.

ثم شرع في الجمع بينهما فقال: ووَجْه الجَمْع بينهما أنّ الرُّقَى يُكْرَه منها ما كان بغير اللِّسان العَرَبى، وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المُنَزَّلة، وأن يعتقد أن الرُّقى نافِعَة لا محالة فَيَتَّكِل عليها، وإيَّاها أراد بقوله: «**ما تَوَكَّل من اسْتَرْقَى**»، ولا يُكره منها ما كان في خلاف ذلك؛ كالتعوذ بالقُرآن وأسماء الله تعالى، والرُّقى المروية، ولذلك قال للذي رَقَى بالقرآن وأخذ عليه أجْرًا: «**من أخَذَ بِرُقْية بَاطِلٍ فقد أخذت برقية حق**».

وكقوله في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**اعْرِضُوها عليَّ**»، فعَرضْنَاها فقال: «**لا بأس بها، إنَّما هيَ مَواثِيق**»، كأنه خاف أن يقع فيها شيء مما كانوا يتلفظون به ويعتقدونه من الشرك في الجاهلية، وما كان بغير اللسان العَرَبيّ، ممَّا لا يُعْرف له ترجمة ولا يمكن الوقوف عليه فلا يجوز استعماله.

وأما قوله: «**لا رُقْيَةَ إلاَّ من عينٍ أو حُمَة**»، فمعناه لا رقية أولى وأنفع. وهذا كما قيل: لا فتى إلا عَليّ. وقد أمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ غير واحد من أصحابه بالرُّقية. وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم.

وأمّا الحديث الآخر في صفة أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب: «**هُم الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يتطيَّرون، ولا يَكْتوُون، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فهذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها. وتلك درجة الخواص

لا يبلغها غيرهم، فأما العوام فمرخص لهم في التداوي والمعالجات، ومن صَبَرَ على البلاء وانتظر الفرج والدواء، ألا ترى أن الصِّدِّيق لما تصدَّق بجميع ماله لم ينكر عليه، علمًا منه بيقينه وصبره، ولما أتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال: لا أملك غيره ضربه به، بحيث لو أصابه عقره، وقال فيه ما قال.

وفي حديث اسْتِرَاق السَّمع: «**ولكنهم يُرَقُّون فيه**» أي: يَتَزَيَّدُون. يُقال : رَقَّى فُلان على الباطل إذا تقَوّل ما لم يكُن وزَادَ فيه، وهو من الرُّقِيّ : الصُّعود والارْتِفاع . يقال : رَقِيَ يَرْقَى رُقيّاً وَرَقَّى، شُدِّد للتَّعدِية إلى المفعول . وحقيقة المعْنَى أنهم يَرْتَفِعون إلى الباطل ويَدَّعُون فوق ما يسْمَعونه.

ومنه الحديث: «**كنْت رَقَّاءً على الجبال**» أي: صَعَّاداً عليها، وفعَّال للمبالغة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعقيبه على حديث: «سبعون ألفًا...»: «فهؤلاء من أمته، وقد مدحهم بأنهم لا يسترقون، والاسترقاء أن يطلب من غيره يرقيه، والرقية من نوع الدعاء، وكان هو ﷺ يرقي نفسه وغيره، ولا يطلب من أحد أن يرقيه؛ ورواية من روى في هذا: «**لا يرقون**» ضعيفة، فهذا مما يبين حقيقة أمره لأمته بالدعاء ليس من باب سؤال المخلوق الذي غيره أفضل منه. فإن من لا يسأل الناس بل لا يسأل إلا الله أفضل ممن يسأل الناس -ومحمد ﷺ سيد ولد آدم»[١].

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): «في هذه القصة -يعني: قصة سحر الرسول ﷺ- مسلك التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلَّم لأمر ربه فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوي ثم إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية في الكمال»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢٨).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٢٨).

قال الخطابي: «المراد من ذلك (يعني حديث سبعون ألفًا..) ترك الاسترقاء على جهة التوكل على الله والرضا بقضائه وبلائه، وهذه أرفع درجات المحققين للإيمان»[(١)].

قال القاضي عياض: « وهذا هو ظاهر الحديث، ألا ترى قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢][(٢)]

قال النووي: والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابي، ومن وافقه كما تقدم. وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم، ولا شك في فضيلة هذه الحالة، ورجحان صاحبها. وأما تطبب النبي ﷺ ففعله ليبين لنا الجواز»[(٣)].

هذه أقوال الفريق الأول القائلين بأن الاسترقاء يقدح في تمام التوكل.

أما الفريق الثاني والقائلون بأنه لا يقدح قالوا: بأن الأحاديث الكثيرة الماضية لا تقدح في تمام التوكل لأن الرقى هو من جملة الأخذ بالأسباب، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ولا تمامه، وأنه ﷺ أمر بالتداوي، ولو كان التداوي ينافي التوكل أو تمامه، ما تداوى أحد، ولعمَّ البلاء، وعظمة المصيبة، واتُّهِم الدين... إلخ.

ولقد درج الناس من زمن آدم إلى يومنا هذا منهم الأنبياء والرسل وخيرة الناس على التداوي وطلب التداوي.

ولقد قال ﷺ: «**مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**».

قال العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديث استحباب رقية المسلم لأخيه المسلم بما لا بأس به من الرقى، وذلك ما كان معناه مفهومًا مشروعًا،

---

(١) أحكام الرقى ص[٤٤].

(٢) أحكام الرقى ص[٤٤].

(٣) شرح مسلم (١٥/ ١٤).

وأما الرقى بما لا يعقل معناه من الألفاظ، فغير جائز. قال المناوي: «وقد تمسك ناس بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، وإن لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف الماضي أن ما يؤدي إلى شرك يمنع، وما لا يعرف معناه لايؤمن أن يؤدي إليه، فيمنع احتياطًا.

قلت: - والكلام للشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ لم يسمح لآل عمرو بن حزم بأن يرقي إلا بعد أن اطَّلع على صفة الرقية، ورآها مما لا بأس به، بل أن الحديث بروايته الثانية من طريق أبي سفيان نص في المنع مما لا يعرف من الرقى؛ لأنه ﷺ نهى نهيًا عامًّا أول الأمر، ثم رخَّص فيما تبين أنه لا بأس به من الرقى، وما لا يعقل معناه منها لا سبيل إلى الحكم عليها بأنه لا بأس بها، فتبقى في عموم المنع فتأمل!

وأما الاسترقاء- وهو طلب الرقية من الغير، فهو وإن كان جائزًا، فهو مكروه، كما يدل عليه حديث ««**هُم الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَكْتوُون، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[1].

وقوله ﷺ في حديث عوف بن مالك: «**لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك**»، وقد مضى تخريجه.

قال المناوي: «**اعرضوا عليَّ رقاكم**» جمع رُقية بالضم وهي العُوذة، والمراد ما كان يُرقى به في الجاهلية، واستأذنوه في فعله، فقال: «**اعرضوها عليَّ**» أي: لأني العالم الأكبر المتلقي عن معلم العلماء ومفهم الحكماء، فلما عرضوا عليه قال: «**لا بأس بالرقى**» أي: هي جائزة «**ما لم يكن فيه**» أي: فيما رقى به «**شرك**» أي: شيء يوجب اعتقاد الكفر أو شيء من كلام أهل الشرك الذي لا يوافق الأصول الإسلامية فإن ذلك محرم ومن ثم منعوا الرقى بالعبراني والسرياني ونحو ذلك مما يجهل معناه خوف الوقوع في ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢/ ٨٤٤).

واستدلوا بحديث عائشة: «**هلا استرقيت له من العين**»، وفي رواية «كان يأمرنا أن نسترقي من العين».

قال الحافظ في (الفتح) (١٠/٢١٠): «أى بطلب الرقية ممن يَعرف الرُّقى بسبب العين، وفى الحديث مشروعية الرقية لمن أصابه العين».

واستدلوا بحديث أم سليم: «**استرقوا لها؛ فإن بها النظرة**».

قال البغوي في (شرح السنة) (١٢/١٦٣): «قال إبراهيم الحربي: هو سواد في الوجه، ومنه سفعة الفرس ناصيته، وعن الأصمعي: حمرة يعلوها سواد، وقال ابن قتيبة: لون يخالف لون الوجه، وقوله: «يعني: من الجن»، وقيل: من الإنس، وبه جزم أبو عبيد الهروي، قال الحافظ: والأولى أنه أعلم من ذلك، وأنها أصيبت بالعين، فلذلك أذن ﷺ في الاسترقاء لها».

قال النووي في (شرح مسلم) [١٣-١٥]: «قوله: رأى بوجهها سفعة فقال: «**بها نظرة فاسترقوا لها**» يعني بوجهها صفرة، أما السفعة فبسين مهملة مفتوحة ثم فاء ساكنة، وقد فسرها في الحديث بالصفرة، وقيل: سواد، وقيل: أخذة من الشيطان».

واستدلوا بحديث عمران: «**لا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ**».

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (١٠/١٩٦): «بخصوص حديث عمران بن حصين: وأجيب بأن معنى الحصر فيه أنها أصل كل ما يحتاج إلى الرقية، فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك؛ لاشتراكهما في كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني، ويلتحق بالسم كل ما عرض البدن من قرح ونحوه من المواد السمية، وقيل المراد بالحصر معنى الأفضل، أي: لا رقية أنفع، كما قيل: لا سيف إلا ذو الفقار».

قال المناوي في (فتح القدير) (٦/٤٢٦): «**لا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ**» أي: لا رقية أولى وأنفع من رقية المعيون، أي: المصاب بالعين ومن لا رقية من لدغة ذي حمة والحمة سم العقرب وشبهها، وقيل: فوعة السم، وقيل: حدته وحرارته، وزاد في رواية: أو دم، أي: رعاف، يعني: لا رقية أولى وأنفع من الرقية لمعيون أو ملسوع أو راعف لزيادة ضررها فالحصر بمعنى الفضل، فهو من قبيل: لا فتى إلا علي، فلا تعارض بينه وبين الأخبار الآمرة بالرقية بكلمات الله التامات وآياته المنـزلات لأمراض كثيرة وعوارض غزيرة، وقال بعضهم: معنى الحصر هنا أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية فيلحق بالعين نحو خبل ومس لاشتراكهما في كونهما تنشآن عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني وبالسم كل عارض للبدن من المواد السمية».

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في (فتح المجيد) ص [٨٦-٩١]: «قال المصنف: عن حصين بن عبدالرحمن، قال: «كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «**لا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ**» قال: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع».

قوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع» أي: من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن، بخلاف من يعمل بجهل، أو لا يعمل بما يعلم، فإنه مسيء آثم. وفيه فضيلة علم السلف وحسن أدبهم».

أقول: الاستدلات كثيرة، والأقوال أكثر في الاحتجاج بعدم الاسترقاء في التوكل وتمامه، ولأهل العلم أقوال في ذلك منهم: الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال في (الفتح) (١٠/ ٢١١-٢١٢): «وأما الرقية فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين

سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما، وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

أحدها - قاله الطبري والمازري وطائفة: أنه محمول على من جانب اعتقاد الطبائعيين في أن الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون، وقال غيره: الرقى التي يحمد تركها ما كان من كلام الجاهلية، ومن الذي لا يعقل معناه لاحتمال أن يكون كفرًا، بخلاف الرقى بالذكر ونحوه. وتعقبه عياض وغيره بأن الحديث يدل على أن للسبعين ألفًا مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن تؤثر بطبعها أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها فليس مسلمًا، فلم يسلم هذا الجواب.

ثانيهما - قال الداودي وطائفة: إن المراد بالحديث: الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء، وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا. وهذا اختيار ابن عبد البر، غير أنه معترض بما قدمته من ثبوت الاستعاذة قبل وقوع الداء.

ثالثها - قال الحليمي: يحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين في الحديث من غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المعدة لدفع العوارض، فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضائه، فهم غافلون عن طب الأطباء ورقى الرقاة ولا يحسنون من ذلك شيئًا.. والله أعلم.

رابعها - أن المراد بترك الرقى والكي الاعتماد على الله في دفع الداء والرضا بقدره، لا القدح في جواز ذلك لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطي الأسباب وإلى هذا نحا الخطَّابي ومن تبعه».

وقال الحافظ أيضًا: «والحق أن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماض، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعًا لسنته وسنة رسوله ﷺ. فقد ظاهر ﷺ في الحرب بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقصد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة،

وأذن في الهجرة إلى الحبشة والمدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك، وقال للذي سأله: أعقل ناقتي أو أدعها؟ قال: «**اعقلها وتوكل**»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «فإن قيل: فما تقولون في الحديث الذي رواه أبو داود: «**لا رُقْيَةَ إلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**» والحُمَة: ذوات السموم كلها.

فالجواب: أنه ﷺ لم يرد به نفي جواز الرقية في غيرها، بل المراد به: لا رقية أولى وأنفع منها في العين والحمة، ويدل عليه سياق الحديث».

وقال أيضًا في (المدارج) (٢/١١٥): «لا يتجه هذا الاعتراض لما سبق من الجمع بين الحديثين؛ وذلك لأنه - أي: الاعتراض - بُني على أن ينفي الاعتقاد بنفع الرقية وضرها، على ما كان في الجاهلية من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب وحدهم، وليس

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي [٢٦٤٩]، وابن حبان [٢٥٤٩]، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [١٠٦٨].

(٢) الطب النبوى ص [١٥].

هذا المنهي مرادًا فيما تقدم من الجمع، أي أن هذا ليس صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب خاصة، وإنما المقصود أنهم يتجنبون الرقية بصورتها الشركية، أعني التي تقوم على الاعتقاد بأنها تنفع وتضر من دون الله، أو كانت من صيغ الجاهلية، شأن غيرهم من المسلمين في هذا الأصل، وما يشعر به الحديث من مزيتهم وفضلهم على غيرهم، يمكن أن يرجع إلى رقي درجتهم في التوكل على الله؛ وهي الدرجة التي لا يلتفت فيها العبد بقلبه إلى الأسباب كلية، وإن باشرها بجوارحه».

قال النووي في (شرح مسلم) (١٥/٣٤١): «وأما قولهم في الرواية الأخرى: «يا رسول الله، إنك نهيت عن الرقى» فأجاب العلماء عنه بأجوبة:

أحدها - كان نهيًا أولًا ثم نسخ ذلك وأذن فيها وفعلها، واستقر الشرع على الإذن.

والثاني - أن النهي عن الرقى المجهولة كما سبق.

الثالث - أن النهي لقوم كانوا يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها، كما كانت الجاهلية تزعمه في أشياء كثيرة.

وأما قوله في الحديث الآخر: «**لا رُقْيَةَ إلّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**» فقال العلماء: لم يرد به حصر الرقية الجائزة فيهما ومنعها فيما عداهما، وإنما المراد لا رقية أحق وأولى من رقية العين والحمة لشدة العذر فيها».

قال ابن الأثير في (جامع الأصول) (٧/٥٥٦): «هذا الحديث -رواية البخاري- عن عمران بن الحصين تخص رقية العين، والحمة لا يمنع جواز الرقية من غيرها من الأمراض؛ لأنه ثبت أنه رقى بعض أصحابه من غيرهما، وإنما معناه: لا رقية أولى وأنفع من رقية العين والسم».

وذهب ابن قتيبة وابن عبد البر وغيرهما إلى أن الرقى التي يحمد تركها هو ما كان من كلام الجاهلية أو من الذي لا يعقل معناه لاحتمال أن يكون فيه كفر»[(١)].

قال القرطبي: «إن المراد هو اجتناب رقى خارجة عن الرقى الجائزة والممنوعة، فالرقى الجائزة كالرقى بأسماء الله، والرقى الممنوعة كالرقى بما فيه شرك»[(٢)].

قال المناوي: «والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذا تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك»[(٣)].

قال الشوكاني: «يمكن أن يجمع بحمل الأحاديث الدالة على ترك الرقية على قوم كانوا يعتقدون نفعها وتأثيرها بطبعها كما كانت الجاهلية يزعمون في أشياء كثيرة»[(٤)].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: (واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا؛ فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه.

وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجاتهم إليها؛ توكلًا على الله تعالى، كالاكتواء والاسترقاء، فتركهم له لكونه سببًا مكروهًا، لاسيما والمريض يتشبث -فيما يظنه سببًا لشفائه- بخيط العنكبوت.

---

(١) التمهيد (٥/ ٢٧٨)، و تأويل مختلف الحديث ص [٣٣٥].

(٢) أحكام التمائم ص [٤٦]، و فتح الحق المبين ص [٣٠٥].

(٣) فيض القدير (٢/ ٢٢٨).

(٤) «النيل» (٣/ ٢٩٢).

وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل. فلا يكون تركه مشروعًا، لما في (الصحيحين) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا: «**مَا أَنْزَلَ الله مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه**»[(١)][(٢)].

سُئِل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله- السؤال التالي: هل الرقية تنافي التوكل؟

فأجاب: التوكل هو صدق الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جلب المنافع ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها، وليس التوكل أن تعتمد على الله بدون فعل الأسباب؛ فإن الاعتماد على الله بدون فعل الأسباب طعن في الله عَزَّوَجَلَّ وفي حكمته تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لأن الله تعالى ربط المسببات بأسبابها. **وهنا سؤال: مَن أعظم الناس توكلًا على الله؟**

الجواب: هو الرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهل كان يعمل الأسباب التي يتقي بها الضرر؟ الجواب: نعم، كان إذا خرج إلى الحرب يلبس الدروع ليتوقى السهام، وفي غزوة أحد ظاهر بين درعين، أي: لبس درعين، كل ذلك استعدادًا لما قد يحدث، ففعل الأسباب لا ينافي التوكل إذا اعتقد الإنسان أن هذه الأسباب مجرد أسباب فقط لا تأثير لها إلا بإذن الله تعالى، وعلى هذا فالقراءة قراءة الإنسان على نفسه. وقراءته على إخوانه المرضى لا تنافي التوكل وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يرقي نفسه بالمعوِّذات، وثبت أنه كان يقرأ على أصحابه إذا مرضوا. والله أعلم»[(٣)].

والذي أرجّحُه وأميل إليه هو القول الثاني، وهو أن الاسترقاء لا ينافي التوكل ولا تمامه، والله أعلم.

---

(١) أحمد (١/ ٣٧٧)، والبخارى [٥٦٧٨]، ومسلم [٢٢٠٤].

(٢) فتح المجيد ص [٩٦-٩٧].

(٣) فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٤١-١٤٢).

المسألة الثانية - في بيان معنى النفث وهل يشرع أثناء الرقية؟

ولقد مضى ما نقلناه عن الإمام النووي في معناه.

والنَّفْثُ: شبيه بالنفخ، وهو أقل التَّفل؛ لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق[(١)]. فكأنه بصفة بين النفخ الذي هو بلا ريق، والتفل الذي لابد فيه ريق، [والصواب أن النفث فيه ريق خفيف][(٢)]، ولعله المقصود فيما صح من فعل النبي ﷺ، فقد كان ﷺ إِذَا اشْتكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ ﷺ كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقْرَأُ عَلَيْهِ، وَتمْسَحُ بِيَدِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا[(٣)].

أما حكم النفث في الرقية فقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم[(٤)].

وأما محل التفل في الرقية فإنه يكون بعد القراءة؛ لتحصيل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريق...[(٥)]. وقد يكون على سبيل التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض كانفصال ذلك عن الراقي[(٦)].

المسألة الثالثة - هل يُشرع المسح في الرقية؟

قال النبي ﷺ لعُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ شَكَا إِلَيه وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الّذِي تَأَلّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، ثَلَاثًا، وَقُلْ، سَبْعَ مَرّاتٍ: أَعُوذُ بِاللّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[(٧)]. ومقصود الحديث أنه يُستحب وضع

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٠) (٤/ ٥٣٣) (١٠/ ٢٠٨).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٢٠) (٤/ ٥٣٣) (١٠/ ٢٠٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شرح مسلم (١٤/ ٤٠٣).

(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٢٠) (٤/ ٥٣٣) (١٠/ ٢٠٨).

(٦) فتح الباري (١٠/ ٢٢٠) (٤/ ٥٣٣) (١٠/ ٢٠٨).

(٧) سبق تخريجه.

يده على موضع الألم[١] في الرقية؛ فقد كان النبي يمسح بيده اليمنى[٢]، ومسحت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ رجاء بركتها - كما مر آنفًا -، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا اشتكى إنسان مسحه بيمينه ثم قال: «**اللّهُمّ رَبّ النّاسِ، أَذْهِبْ الْبَاسَ، وَاشْفِ أَنْتَ الشّافِي لَا شِفَاءَ إلّا شِفَاؤُك، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»[٣]، وفائدة المسح باليمنى حصول التفاؤل لدى كلٍّ من الراقي والمرقي بزوال ذلك الوجع[٤]، وفي مسح جسد المريض تأنيس له وتعرُّف لشدة مرضه؛ ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وربما رقاه بيده ومسح على ألمه بما ينتفع به العليل إذا كان العائد صالحًا[٥].

المسألة الرابعة - *في الفرق بين الرقية والعُوذة:*

من المعلوم أن الرقية ليست مختصة بوقت ما؛ فهي أعم من التعوذ بهذا الاعتبار؛ فهي قد تكون قبل وقوع البلاء وبعده، لكن التعوذ يكون -غالبًا- قبل وقوع البلاء؛ مخافة أن يقع. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[٦]. لكن يُحتمل أن يقال -أيضًا-: إن الرقى أخص من التعوذ، وإلا فالخلاف في الرقى مشهور، ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله تعالى والالتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع[٧]، ويتحصل مما سبق أن الرقية هى أعم من التعوذ من حيث وقت وقوعها، لكنها أخص منه من حيث مشروعيتها بضوابط

---

(١) شرح مسلم (١٤/ ٤١١).

(٢) شرح مسلم (١٤/ ٤١١).

(٣) **متفق عليه**: وقد سبق تخريجه.

(٤) الفتح (١٠/ ٢١٨).

(٥) الفتح (١٠/ ١٢٦).

(٦) أخرجه مسلم [٢٧٠٨] عن خولة بنت حكيم.

(٧) الفتح (١٠/ ٢٠٧).

-سبق تفصيل لها[١]-، وأن بعضها منهي عنه؛ لكونه حوى شركًا، أو ما يحتمل الشرك، وبينما يكون التعوّذ مشروعًا مستحبًّا في جميع الأوقات، فهو إن أطلق لفظه، انصرف إلى معنى التعوذ بالله تعالى والالتجاء إليه، لذا فلا خلاف في استحبابه بحال. لكن يبقى -بعد ذلك- أن الأغلب من أقوال العلماء - من أهل اللغة والحديث والفقه - يقضي بعدم التفريق بينهما، وعلى أن الرقية والتعويذ هما صنوان مترادفان، والله أعلم[٢].

المسألة الخامسة - في رقى أهل الكتاب هل تجوز؟

الجواب: «اختُلف في استرقاء أهل الكتاب، فأجازها قوم وكرهها مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لئلا يكون مما بدلوه - أي: حرّفوه من الكتاب - وأجاب من أجاز بأن مثل هذا يبعد أن يقولوه، وهو كالطب سواء كان غير الحاذق لا يحسن أن يقول - أي: في الطب - والحاذق يأنف أن يبدّل حرصًا على استمرار وصفه بالحذق لترويج صناعته[٣]. والحق أنه -أي: استرقاء أهل الكتاب- يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال[٤]. فالحاصل في ذلك أن الراقي من أهل الكتاب، إن عُرف عنه أنه رقّاء، وكان حافظًا للكتاب، ويرقي بما يُعرف من ذكر الله، وكان المريض بحاجة ماسة، وليس مِنْ راقٍ من المسلمين، جاز، والله أعلم[٥].

المسألة السادسة - هل الرقية مقصورة على العين والحُمة للحديث القائل: «لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»؟

الجواب: إن معنى الحصر في ذلك أنهما - أي: العين واللدغة - أصل كل ما يحتاج إلى الرقية، فيلتحق بالعين جواز رقية من به خَبَل أو مسّ، ونحو ذلك؛ لاشتراكها في كونها

(١) من كتاب التحصين من كيد الشيطان ص [٢٦٣].

(٢) من كتاب التحصين من كيد الشيطان ص [٢٦٣].

(٣) الفتح (١٠/ ٢٠٦).

(٤) الفتح (١٠/ ٢٠٧).

(٥) من كتاب التحصينات ص [٢٦٥].

تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني، كما يلتحق بالسم أيضًا كل ما عرض للبدن من قَرْح ونحوه من المواد السَّمِّيَّة، خاصة وأنه قد وقع في روايات أخرى[١]: الترخيص بالرقية من الدم والنَّملة»[٢].

هذا جواب، وجواب آخر: «قيل: المراد بالحصر معنى الأفضل، أي: لا رقية أنفع، كما قيل: لا سيف إلا ذو الفقار»[٣]. فليس معنى الحديث إذًا تخصيص جواز الرقية بهذه الثلاثة - أي: مع النَّملة -، وإنما معناه: سئل عن هذه الثلاثة فأذن فيها، ولو سئل عن غيرها لأذن فيه.

وقد أذن ﷺ لغير هؤلاء، وقد رقى هو ﷺ في غير هذه الثلاثة، والله أعلم»[٤].

المسألة السابعة - *هل تَرُدُّ الرقى من قَدَر الله من شيء؟*

الجواب: أن الرقى، والتداوي بعامة، لا تعارض قدر الله تعالى بل هي مما قدَّره الله تعالى، فجعله سببًا عظيمًا للاستشفاء، فكما أن «**الْعَيْن حقٌّ**»[٥]، والإصابة بالعين شيء ثابت موجود، أو هو من جملة ما تحقق كونه، كذلك فإن الرقية تحقَّقَ كونُها سببًا للاستشفاء بها من العين وغيرها.

والحاصل: أنه كما أن المرض، ووقوع ضرر العين، والحسد، والسحر، والمس، لا يكون إلا بإذن الله، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]. كذلك

(١) **صحيح**: وقد سبق.

(٢) النملة: قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.

(٣) انظر الفتح (١٠/ ٢٠٦)، وزاد المعاد (٣/ ١٤٢).

(٤) انظر النووي (١٤/ ٤٠٦)، و التحصينات ص [٢٦٧].

(٥) صحيح: وقد خرجته بطرقه في رسالة العين .

فإن الرقى المشروعة لا يقع نفعها إلا بإذن الله تعالى، وقد بين رسول الله ﷺ أن الرقية هي مما قدَّره الله سببًا للنفع بإذنه، وذلك حين استشكل أبو خزامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بني الحارث ابن سعد -ذلك المعنى فقال: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتُقاةً نتقيها، هل ترد من قَدَر الله شيئًا؟ قال رسول الله ﷺ: «**هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

وكذا وقع مثل هذا لكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَا كَعْبُ، بَلْ هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ**»[(٢)]، فدل ذلك كله على أن الرقية لا ترد القدر[(٣)]، بل إن القدر شامل لحدوث المرض، وطلب الاستشفاء، وتحقيق الشفاء أو عدمه، فلا يتحقق الشفاء إلا بإذن الله وتقديره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فالرقية ليست تشفي بذاتها بل الشفاء بذات الله تعالى، والله أعلم[(٤)].

المسألة الثامنة - حكم أخذ الأجرة على الرقية:

نقل الحافظ في (الفتح) (٤/ ٤٥٧) اتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء على جواز أخذ الأجرة على الرقية.

واستدلوا بحديث أبي سعيد السابق في (الصحيحين)، وبحديث ابن عباس السابق وفيه قال ﷺ: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ**» وسبق تخريجه، وبحديث عم خارجة بن الصلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعًا من عنده، فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديث، فقال أهله: إنا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا، قد جاء بخير، فهل عندك شيء تداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوني مائة

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي [٢١٤٨]، وابن ماجه [٣٤٣٧]، وأحمد، وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن حبان [١٣٩٦] ويصح للشواهد.

(٣) انظر كتاب التحصينات ص [٢٦٨].

(٤) انظر كتاب التحصينات ص [٢٦٨].

شاة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل قلت غير هذا؟ قلت: لا، قال: «خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق**»[(١)].

وهذه أدلة قاطعة بجواز أخذ الأجرة على الرقية، ولقد أقَرَّ النبي ﷺ الصحابة الذين رقوا وأخذوا على رُقاهم أجرًا، والله أعلم.



(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢١٠)، وأبو داود [٣٤٢٠ ، ٣٨٩٦ – ٣٨٩٧]، والنسائي [١٠٨٧١]، وابن السني [٦٢٤]، وحققته هناك.

فصل

لو اشترط الراقي على المرقي جُعلًا جاز ذلك.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (المغني) (٥/٥٤١): «قال ابن أبي موسى: لا بأس بمشارطة الطبيب على البراء لأن أبا سعيد حين رقى الرجل شارطه على البراء».

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٥٠٧) «إذا جعل الطبيب جُعلًا على شفاء المريض جاز، كما أخذ أصحاب النبي ﷺ الذين جُعل لهم قطيع على شفاء سيّد الحي، فرقاه بعضهم حتى برأ، فأخذوا القطيع، فإن الجعل على الشفاء لا على القراءة، ولو استأجر طبيبًا إجازة لازمة على الشفاء لم يجز؛ لأن الشفاء غير مقدور له، فقد يشفيه الله وقد لا يشفيه، فهذا ونحوه مما تجوز فيه الجعالة دون الإجازة اللازمة».

أما ابن أبي زيد القيروانى المالكي فخالف في ذلك فقال: «لا يجوز الجُعل على إخراج الجان من الإنسان؛ لأنه لا يعرف حقيقته ولا يوقف عليه وكذا الجعل على حلِّ المربوط والمسحور»، ورد عليه الميلي في كتابه (الشرك ومظاهره) ص [١٦٩] فقال: «إخراج الجن من الإنسان وحلُّ المربوط والمسحور إن كان بما هو مشروع فالجهل بحقيقة الإصابة وعدم الوقوف عليها لا يضر؛ لأن الجعل على الشفاء وذلك يوقف على حقيقته ويعرف هل شفي المريض أو لا، والجعالة جائزة على ذلك.

إلا إذا أراد ابن أبي زيد الشفاء مطلقًا بحيث لا يعود الجن للمريض ولا العقد إلى المربوط، ولا السحر إلى المسحور، فهذا نعم لا يوقف على حقيقته، ولا يمكن القول به، ولا يستطيع أحد أن يضمن ذلك مطلقًا والمتعارف عليه في حصول الشفاء الذي يستحق به الجعل هو حصوله في ذلك الوقت .

قلت: فالإجارة نحو أن يقول الراقي: أرقي بمبلغ كذا، ويتفق على القراءة فقط، ولا يشترط الشفاء من المرض.

والجعالة نحو أن يقول الراقي: أرقي على مبلغ كذا ويشترط الشفاء من المرض، وهذا جائز أيضًا. والله أعلم.

سُئِل الشيخ الجبرين عن جواز أخذ الأجرة على الرقية الشرعية من الكتاب والسنة دون طلب أجر أو اشتراط؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا مانع من أخذ الأجرة على الرقية الشرعية بشرط البراءة من المرض وزوال أثره، والدليل على ذلك حديث أبي سعيد المتقدم.

والذى يترجح لى من سياق الأدلة وأقوال أهل العلم هو جواز أخذ الأجرة على الرقية، وأن ذلك قد يكون من باب الإجارة إن لم يشترط الشفاء، ومن باب الجعالة إذا اشترط الشفاء لأن ذلك مجهول -أي: الشفاء- وهو مما تجوز فيه الجعالة لا الإجارة»[(١)].



(١) فتح الحق المنان ص [٣٤٦].

فصل

من نظر في أحوال الصحابة الذين قاموا بالرقية، والذين أجرى الله تعالى الشفاء على أيديهم يجد الآتي:

أولًا - أن هؤلاء الرَّاقين من الصحابة لم يُعرفوا بذلك، بل لم يعرفوا هم من أنفسهم ذلك، لكن الله تعالى أجرى الشفاء على أيديهم لقوة إيمانهم، وثقتهم في الله، وحسن معتقدهم في القرآن، وحسن توكلهم، مع إخلاصهم التام في ذلك، وخلو قلوبهم من الشرك والرياء ظاهره وخَفيه قليله وكثيره.

ثانيًا - أنهم لم يغتروا ولم يغرّهم وقوع الشفاء على أيديهم أن اتخذوا الرقية حرفة، أو مهنة، انقطعوا لها، واسترزقوا منها، وفتحوا لأجلها الأبواب والعيادات وتركوا مشاغلهم لرقية الناس، بل ولا علقوا الإعلانات واليفط، وطبعوا الكروت، بل كل ما فعلوه مرة، ولم أعلم منهم أحدًا جلس للإرقاء، أو أنه رقى مرة أخرى، ومن قال: إن الصحابة اتخذوا الرقية مهنة وحرفة فليأتنا بالدليل.. والله المستعان.

ثالثًا - إذا كان أخذ الأجرة على الرقية أو العطاء جائزًا هذا لا يعني أن نجعل لها أسعارًا، وأثمانًا، وهذا الراقي بكذا، وهذا بكذا، ووقعت المغالاة، حتى أصبحت الرقية تجارة، وسلعة مروَّجة لها في الأسواق.

رابعًا - يستفاد من فعل الصحابة، أنه لم يكن منهم أحد قد استقطع نفسه للرقية، وأن كل راقٍ يُعلن عن نفسه، وأن يطعن في غيره، وكل واحد منهم يتهم الآخر بالجهالة، والشرك والرياء، حتى أصبح الناس والمرضى في حيرة، من هو على الحق، ومن هو على الباطل؟! وأخيرًا..انصرف الناس عن هؤلاء وهؤلاء..ولجأوا إلى العرافين والسحرة والمشعوذين غير المسلمين، وحتى امتلأت بهم الكنائس والأديرة، وأصبح معظم رُوَّاد الكنائس مسلمين وما زادوهم إلا خبالًا.



خامسًا - انصرف كثير من الإخوة الملتزمين إلى الرقى، والعلاج بالقرآن وهم غير مؤهلين علميًّا ونفسيًّا وخُلُقيًّا فكانت النتيجة مؤسفة جدًّاجدًّا جدًّا.. والذى حدث هو الآتي:

* أساء كثير منهم إلى القرآن والسنة، وأساءوا أكثر إلى العلاج بالقرآن والسنة، ووضعوا القرآن والسنة في مرتبة لا تليق بهما مطلقًا، وأصبح مع كل واحدٍ منهم أدوات وعدد تسمى «عِدَّة الشُّغل»، شنطة بها عصا، وأدوات كهربائية لعمل الصعق الكهربائي، والمحاليل السكرية لقراءة القرآن عليها، ثم صعق المريض بها... إلخ. وأنا أعتقد - والله أعلم- أنه لا يجوز، وليس كل ما جُرب في التداوي يكون جائزًا ويُداوم عليه!

* وقع كثير من المعالجين - وذلك لغياب الضوابط الشرعية لديهم- في الأخطاء الشرعية التي لا حصر لها، ووقع معظمهم في الفتن، وافتتنوا إما بالنساء وإما بالمال، وإن كانت الأولى أكثر انتشارًا، حتى لم نعد نتعجب ونندهش من فلان الذى تزوج بالمرأة الفلانية والتي كان يعالجها! وفلان تزوج بفلانة بعد فضيحة أدت إلى تأخر الدعوة والدين في مكان الفضيحة.. وأصبحت المناطق معلومة بالفضائح الموسومة التى وقعت فيها.. ودخل العلاج القرآني في منعطف خطير جدًّا، مع نور الصحوة الذى يُضيء تارة ويخبو تارة، وبدلًا من أن يكون العلاج القرآني سببًا في رجوع الناس إلى الله تعالى حدث العكس إلَّا قليلًا ممن أراد الله تعالى لهم الهداية.

* وقع كثير من المعالجين في شُبه كثيرة، إما عن طريق العلاقات النسائية المحرمة، أو شبهة الشرك وطاعة الجن وتنفيذ أوامر الجن من عيون المريض لكي يُشفى!!

* كثير من المعالجين سخّروا الجن لحسابهم ومساعدتهم فى استخراج الجن واللابس للإنسيّ، وهذا مما لا يجوز حتى لو أفتى عندي ألف عالم بجوازه؛ لأني أعلم بما يحدث من وراء هذا التَّسخير، وما يقع من وراء هذا التسخير من مخالفات صريحة للشرع.

* بعض المعالجين تكدست أمام بيته العربات الفارهة، المحملة بالهدايا والعطايا لمؤدب الجن ومُعذبهم!! وتسبب هذا في اغترار المعالج بنفسه وهذا أكبر مدخل لتلاعب الجن به، وحدث ذلك، وتلاعب الجن بهم فحلقوا لحاهم، وعادوا إلى حياة الدجالين والمشعوذين ونكصوا على أعقابهم.. نسأل الله السلامة.

* ترك كثير من المعالجين الذين كانوا أصحاب همة عالية في الدعوة والخطابة ومجالس العلم -تركوا هذا كله- بحثًا عن الشهرة مع عالم الجن، وأصبحنا نسمع أن فلانًا لا يُشق له غبار فى هذا الفن، وأن الجن تخاف منه وتعمل له ألف حساب... إلخ.

* أقول: إن معظم المعالجين بالقرآن يحتاجون إلى علاج؛ فهم أكثر الناس مرضى، وأكثرهم تعرضًا لهذا المرض، فهو يدخل في هذا المجال بغير زاد، ثم ما يلبس أن يتلبس بالجني ويظهر ذلك عليه، فإما يطلب العلاج ويبرئ بإذن الله، أو تكون مقره مستشفى الأمراض العقلية والنفسية، أو يكون طريح الفراش في البيت يُعالج بالمسكنات والمهدئات حتى يسكن ويرتاح منه أهل البيت!!

وكل هذا أثَّر سلبيًّا في العلاج بالقرآن، وأصبحنا نسمع أن القرآن لم يعد يجدي في العلاج ولم يأتِ بنتيجة... إلى غير ذلك من العبارات المشئومة التى ألقتها الشياطين على ألسنة المرضى والناس.

ولو ذهبنا نستقصي ما في هذا الباب من الأخطاء لجاء في مجلد كبير حافل بالغثاء الطافح على سطح الحياة المعاصرة.. والله المستعان.

المسألة التاسعة - *جواز قراءة القرآن في الماء واستعماله:*

نقل صاحب «البحر المحيط» (٦/ ٧٤) والقرطبى في «تفسيره» (٥/ ٦٤٧) عن مجاهد أنه لم ير بأسًا أن تُكتب آيات من القرآن ثم تُغسل ثم يُستقاهُ صاحب الفزع».

ونقلًا عن عائشة أنها كانت تقرأ بالمعوذتين في إناءٍ ثم تأمر أن يُصب على المريض.

وقال ابن مفلح فى (الآداب الشرعية) (٢/٤٤١): «وقال صالح بن الإمام أحمد: ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحًا فيه ماء فيقرأ عليه ويقول لي: اشرب منه، واغسل وجهك ويديك».

ونقل عبد الله أنه رأى أباه يُعَوّذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه، ويصب على نفسه منه.

قال عبد الله: ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جُب الماء ثم شرب فيها، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم، فيستشفي به ويمسح به يديه ووجهه.

وقال يوسف بن موسى: إن أبا عبد الله كان يؤتى بالكوز ونحن بالمسجد فيقرأ عليه ويُعوّذ.

ونقل الذهبي في «السير» ذلك عن الإمام أحمد في ترجمته، وأجاز الرقى في الماء والاغتسال به[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (مجموع الفتاوى) (١٠/٣٧): «ويجوز أن يُكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئًا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح (قلت: مثل المسك والزعفران وغيرهما) ويُغسل ويُسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره».

قال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي، ثنا يعلى بن عُبيد، ثنا سفيان، وعن محمد بن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إذا عَسَرَ على المرأة ولادتها فليكتب: بسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.
[الأحقاف: ٣٥]

---

(١) ابن عبد البر، والقرطبي، وراجع كلامه في (التفسير) (٥/ ٦٤٧-٦٤٩).

قال أبي: ثنا أسود بن عامر بإسناده وبمعناه.

وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى.

قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها.

قال عبد الله: رأيت أبي يكتب للمرأة في جام أو شيءٍ نظيف.

وقال أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيرى: أنا الحسن بن سفيان النَّسوى، حدثني عبد الله بن أحمد بن شبّويه، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، ثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد.. بنحوه.

قال علي: يكتب في كاغدة - قرطاس - فيعلق على عضد المرأة.

قال علي: وقد جربناه فلم نر شيئًا أعجب منه، فإذا وضعت تُحله سريعًا، ثم تجعله في خرقة أو تحرقه.

ونحو هذا قال شيخ الإسلام ابن القيم في (الطب النبوى)، ونقله الحافظ ابن حجر في (الفتح) كما سبق.

وفي فتاوى الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٩٢/١): أنه سُئِل عن النفث في الماء فأجاب: «لا بأس بذلك فهو جائز، بل قد صَرَّح العلماء باستحبابه، وبيان حكم هذه المسألة مدلول عليه بالنصوص النبوية، وكلام محققي الأئمة».

وقد أجاز سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقراءة القرآن في الماء والاغتسال والشرب في غيرما موضع في الفتاوى والناقلون عنه ذلك كثير.

ونُقل عن الشيخ الجبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الفتاوى) المطبوعة حديثًا أنه جوَّز ذلك أيضًا، وأجاز النفث في الماء والقراءة فيها الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: «قد فعله بعض السلف وهو مجرب ونافع بإذن الله تعالى»[١].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ٧٠-٧١).

وأيضًا أجازه وأفتى بذلك الشيخ العلامة صالح الفوزان كما في (إرشاد الخلان في فتاوى الفوزان).

أقول: ولقد جربت ذلك نحوًا من ربع قرن مع المرضى بشتى أنواعهم فوجدت له أثرًا كبيرًا فى النفع بإذن الله والشفاء، بل أصبح الاغتسال بالماء أساسًا في التداوي من الحسد والسحر واللبس، وحتى النزيف الذي يكون بعد الحيض عند النساء، ولا غنى عنه ولكن كيفية عمل الماء بالقرآن هو السر في سرعة الشفاء؛ لأن ذلك يحتاج إلى شدة الإخلاص والثقة في الله تعالى.

والطريقة المُجرَّبة هى:

أولًا - وضع اليد اليمنى في الماء مع النفث فيها.

ثانيًا - أن يكون القارئ في الماء متوضئًا.

ثالثًا - أن يكون مجودًا يُحسن القراءة.

رابعًا - أن لا يكون مدخنًا، أو خلافه.

خامسًا - أن يكون محافظًا على الصلاة في جماعة.

سادسًا - أن يكون مُلِمًّا بالسنة؛ فهذا أولى وأفضل وأكمل.

سابعًا - أن لا يكون ممن يحبون سماع الأغاني والأفلام وغيرها.

ثامنًا - أن يكون ممن يحافظون على الأذكار والأوراد المشروعة.

تاسعًا - أن يكون ممن يستعملون أيديهم وجوارحهم في الطاعة، فلا يكون ممن يكتبون الأغاني، أو الشعر الحرام، أو يكتبون المظالم على الناس، أو يبخسونهم حقوقهم.

عاشرًا - وأن يكون ممن يغضون أبصارهم عن المحرمات، وينزهون مسامعهم عن الحرام، ولا يخوضون بألسنتهم في الأعراض، فلاشك أن هذا كله مما يؤثر فى القراءة، وفوق كل هذا الإخلاص، وأن يقرأ محتسبًا دون أجر، فهذا مما يزيد النفع بالماء، والله أعلم.

المسألة العاشرة - *ما ورد في القراءة في الماء:*

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي، فلما فرغ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ، لاَ تَدَعُ مُصَلِّيًا وَلاَ غَيْرَهُ**»، ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾(١).

وعن محمد بن يوسف بن ثابت بن قيس بن شمّاس عن أبيه عن جدّه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على ثابت – قال أحمد: وهو مريض– فقال: «**اكشف الباس ربَّ الناس عن ثابت بن قيس بن شمَّاس**»، ثم أخذ ترابًا من بطحان –وادي بالمدينة– فجعله في قَدح ثم نفث عليه بماء وصبَّهُ عليه(٢).

وكان إمام أهل السنة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقرأ على الماء ويغتسل ويُغَسِّل ولده بها، وجاء من بعده آخرون من السلف الكرام وأفتى بذلك ثُلة مباركة من أهل العلم أمثال: القرطبى، وابن تيمية، وابن حجر، والشوكاني، وابن باز، والألباني، ومن قبلهم ابن القيم – رحم الله الجميع –.

المسألة الحادية عشر - *جواز الاغتسال بماء القرآن في الخلاء ودورات المياه:*

لم أر ما يمنع من ذلك، ولم أجد حديثًا أو أثرًا بعد طول بحث يرد الجواز، وإن كره بعض أهل العلم ذلك صيانة للقرآن! فقال ابن مُفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٤٤١): «قال الخلَّال: إنما كره الغُسل به؛ لأن العادة أن ماء الغسل يجري في البلاليع والحشوش، فوجب أن يُنزه ماء القرآن من ذلك، ولا يكره شربه لما فيه من الاستشفاء.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في الصغير [١١٧]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١١٤): إسناده حسن، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٥٢)، وصححه الألباني في الصحيحة [٥٤٨] وله شواهد.

(٢) أخرجه أبو داود [٣٨٨٥]، والنسائي فى عمل اليوم ص [٥٥٧]، وابن حبان (٣٦-٦)، وراجع الصحيحة [١٥٢٦].

قلت: لو جاز شربه، جاز الاغتسال به في الخلاء ودورات المياه؛ لأن من يشرب سوف يتبول في الخلاء ودورات المياه، ومن يغتسل كذلك، وهل كان اغتسال الإمام أحمد إلاّ في الخلاء، نعم. هو خلاف الأولى، لكن لا يمنع من الجواز، والله أعلم.

ولقد أفتى الألباني وابن باز وابن عثيمين وابن جبرين وغيرهم -رحم الله الجميع- بجواز الاغتسال بالماء المَقْروء عليه في الخلاء ودورات المياه، والله أعلم.

المسألة الثانية عشر - كتابة القرآن:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الزاد) (٤/٢٦٠): «ورأى جماعة من السلف أن تكتب الآيات من القرآن ثم يشربها».

وفي (مسائل الإمام أحمد) لأبي داود ص[٢٦٠]: «سمعت أحمد سُئِل عن الرجل يكتب القرآن في شيء ثم يغسله ويشربه؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس».

وفي (شرح السنة) (١٢/١٦٦) للبغوي: «قال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن، ثم غسله بماء وسقاه رجلًا كان به وجع، يعني: الجنون».

وفي (طبقات الشافعية الكبرى) (٥/١٥٩) قال تاج الدين السبكى: «رأيت كثيرًا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويُسقاها فى الإناء؛ طلبًا للعافية».

وأخرج ابن أبي شيبة (٤/٤٠): حدثنا هُشيم - يعني: ابن بشير - عن خالد عن أبي قلابة، وليث عن مجاهد أنهما لم يريا بأسًا أن يكتب آية من القرآن ثم يُسقاه صاحب الفزع» وإسناده صحيح.

ونقل الذهبي في (الطب النبوي) ص[٢٧٩]: «ونصَّ أحمد أن القرآن إذا كُتب في شيءٍ وغُسل وشُرب ذلك الماء فإنه لا بأس به، وأن الرجل يكتب القرآن في إناء ثم يسقيه المريض، وكذلك يقرأ القرآن على شيءٍ ثم يشرب، كل ذلك لا بأس به»

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كتابة الآيات والأدعية الشرعية بالزعفران في صحن نظيف أو أوراق نظيفة ثم يُغسل فيشربه المريض فلا حرج في ذلك، وقد فعله كثير من السلف إذا كان القائم بذلك من المعروفين بالخير والاستقامة».

وقال الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال النووي في (شرح المهذب): لو كُتب القرآن في إناءٍ ثم غسله وسقاه المريض. قال الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس به».

وقال القاضي حسين والبغوي وغيرهما: «لو كتب قرآنًا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله»[(١)].

المسألة الثالثة عشر - كتابة الأحرف المقطعة في الرقى:

منع من ذلك ابن عبدالسلام كما نقل عنه الحافظ في (الفتح) (١٠/ ١٩٧).

ومنع من ذلك جماعة من أهل العلم كما في «فتح المجيد»، وكذا أفتى جماعة من أهل العلم بالمنع من كتابة القرآن بالحروف واستعمال ذلك.

وأنا أرتاح جدًّا للمنع؛ لأن الجواز يفتح باب الشر على مصراعيه، وهي نفس طريقة السحرة والمشعوذين؛ أنهم يكتبون أشياء مبهمة بالحروف المقطعة ثم يطلبون من المرضى أن يضعوا ذلك تحت السُّرة أو الإبط أو في الصدر.

ولقد رأيت من ذلك عجبًا! فبعضهم لا يعرف القراءة والكتابة واشتهر بعمل الأحجبة، وقمت بفتح أحجبته كثيرًا، فوجدت دوائر وشخبطة كثيرة ثم يبيع الحجاب بأكثر من مائة جنيه!!

(١) كتاب العين والرقية والاستشفاء بالقرآن والسنة ص [٩٩] وكتاب فتح الحق المبين ص [٢٥٩].

وبعضهم يكتب الفاتحة بالحروف المقطعة، وبعضهم يكتب: حرز أبي دجانة وهو كذب ومختلق وموضوع على الصحابي كما قال الذهبي في «السير» من ترجمته.

وهذا الباب واسع لا يُستدرك، ففي كل يوم نجد من هذ كثيرًا وبأساليب مختلفة.

لهذا أذهب إلى حرمة كتابة القرآن بالحروف المقطعة؛ لأن هذه الطريقة على أقل أحوالها مخالفة لما نزل به القرآن، والقرآن لم ينزل حروفًا ثم رُكبت هذه الحروف، والله أعلم.

المسألة الرابعة عشر - مسائل متفرقة:

الأولى - جواز رقية المرأة للمرأة؛ لقوله ﷺ: «**عالجيها بكتاب الله**» وهو صحيح وقد سبق، ولقوله ﷺ: «**علميها رقية النَّملة**» وهو صحيح وقد سبق، ورقت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله ﷺ لما مرض، وكانت تنفث في يده ﷺ».

وأقول: الرقية المذكورة هي عبارة عن قراءة بعض الآيات والسور القصيرة، وبعض الأذكار والأوراد النبوية الصحيحة، فقط.

أما الرقية بمعنى أن تقرأ على امرأة أخرى مسحورة أو ملبوسة فهذه رقية محفوفة بالمخاطر، والمرأة ضعيفة حتى لو كانت تحفظ القرآن بالقراءات السبع، وتحفظ الأوراد كلها عن ظهر قلب وتقوم الليل وتصوم النهار؛ لأن التعامل مع الجن والمارد وخلافه يحتاج إلى قوة قلب، وقوة بدن، فربما أذى الجن الذي على المرأة المسحورة المرأة الراقية، وهذا قد وقع كثيرًا، ولما اقتحمت المرأة هذا المجال وقع ما لم يُحمد عقباه، وكانت العواقب وخيمة جدًّا، وقد شهدنا من ذلك كثيرًا، وإذا كان الراقي من الرجال يحتاج إلى صفات حتى لا يؤذى، فما بالنا بالمرأة! لهذا أقول: لا يجوز للمرأة اقتحام هذا المجال؛ حتى لا تأتي المرأة بشرٍّ أشد مما هو موجود.

وللمرأة الرقية في الماء، وقراءة المعوذات، والفاتحة، والإخلاص، وآية الكرسي، والأوراد والتحصينات الصحيحة على رأس أختها من المسلمات، وليس لها أكثر من ذلك، والله أعلم.

أقول: مرة أخرى المرأة لا تقحم نفسها في هذا المجال؛ لأن فساد ذلك معلوم، ودفع الشَّرِّ بشرٍّ أشد لا يجوز، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

الثانية - جواز رقية المرأة لزوجها كما في حديث عائشة السابق. وكما يجوز رقية المرأة لولدها ووالدها ووالدتها ومحارمها.

الثالثة - لا يجوز للمرأة أن ترقي رجلًا أجنبيًّا عنها، لكن يجوز للرجل أن يرقي امرأةً أجنبية إذا كان معها محرم.

الرابعة - للرجل أن يرقي امرأة معها نساء، وليس هناك ما يفسد الأمن ويجلب الخوف عليها وعليهم.

الخامسة - لا يجوز للرجل أن يرقي امرأة أجنبية يخلو بها مهما كان مرضها وحاجتها للرقية، فمرضها أرحم بكثير من الخلوة بها ووقوع الفساد من وراء ذلك.

السادسة - كشف الوجه عند علاج المرأة لا يضر، كما لا يجوز إلزام المرأة بتغطية وجهها لأجل العلاج، ولأن النقاب مختلف في وجوبه، فلا يلزم من ذلك تغطية وجه المرأة لأجل العلاج، وإن كان اللباس الشرعي من أسباب علاج المرأة سريعًا.

السابعة - جواز رقية المرأة وهى حائض، ويجوز أن ترقي وهى حائض كذلك، فلها أن تقرأ القرآن وهى حائض وأيضًا وهى جنب، كذلك ليس هناك نص صحيح صريح في منع المرأة من قراءة القرآن ومس المصحف والمكث في المسجد، فلا يوجد عندي نص صحيح يمنع من ذلك، بل الأدلة السلبية والإيجابية ترد على مَن منع المرأة من قراءة

القرآن والمكث في المسجد ومس المصحف، فإذا كان الأمر كذلك فلها أن ترقي وتقرأ القرآن ولا حرج، والله أعلم.

ثامنًا - هل يجوز رقية الرجل الأجنبي عن المرأةِ المرأةَ؟

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/١٣٦): «وأما حكم المسألة فتجوز مداواة الأجانب عند الضرورة وتقدر بقَدْرها فيما يتعلق بالنظر والجس باليد وغير ذلك».

تاسعًا - تجوز الرقية قبل وقوع الداء وبعده، ولقد حسمت الأحاديث الصحيحة الخلاف الدائر بين أهل العلم، وكان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين كل يوم، وكان يُعوِّذ نفسه ﷺ، والأحاديث في الجواز كثيرة، وهي جزء من التحصينات، والله أعلم.

عاشرًا - لا يجوز رقية النساء المتبرجات والسافرات حتى في وجود محرم، ولابد للمرأة من الثياب المشروعة، سواء عند الرقية وغيرها، وإذا كانت متبرجة أو سافرة فأُلزمت بالزِّي الشرعي واستجابت لذلك فلا مانع، وإن أبت ذلك فلا كراهة.





الرقية بالقرآن والسُّنَّة

أولًا - الرقية بالقرآن

ولأن القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود، وهو أعظم ما يُتقرب به إلى الله تعالى، وهو الشفاء الذى أنزله الله تعالى لُيستشفى به من الأمراض النفسية والعصبية، وهو الشفاء من كل داءٍ، وهو أصل العلاج من السحر واللبس والحسد فلا يستغني أحد عن كلام الله، ولا يشبع منه مؤمن يرجو الله والدار الآخرة، ولا يملّه القُرَّاء، وهو أنيس العُبّاد فى خلواتهم فهو يذهب بالداء أصلًا، ويجلو القلب من الهم والغم، ويداوي الأبدان من الأدواء، ولا يستغني عنه إلا من فسد قلبه، وتوالت عليه العلل، وتكالبت عليه الأمراض، وازدحمت عليه الغموم وأكلته الهموم، فمات قلبه، وازدادت علله، واستحوذت عليه الشياطين، فملكت سمعه وبصره، والتهمت قلبه، فلم يعد يتأثر بكلام الله تعالى، ولم يشعر أصلًا بتلاوته، والعياذ بالله.

وصدق الله تعالى القائل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾. والقائل ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فليس هناك ثمة شيء قط في الدنيا يشفي ما فى الصدور ويذهب ما فى القلوب، ويداوي الأمراض النفسية والعصبية مثل كتاب الله تعالى، والقرآن لا يخضع للتجارب، فربما قال أحدهم: أجرب القرآن فلعله يُجدي أو ينفع، مثل هؤلاء الرجال والـمُجَرِّبين ولا يجدي معهم القرآن نفعًا، لكن القرآن يحتاج من المريض أن يصنع الثقة فيه، وأن يثق به، ولا يضعه موضع التجربة، وأن يكون المريض معتقدًا الاعتقاد الصحيح في كلام الله تعالى.

وأكثر الناس يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، ثم يقولون: تعالجنا بالقرآن ولكنه لم ينفع!!

وبعضهم يضع القرآن في آخر ما يُجرِّبه في الشفاء، وبعضهم يتداوى به على أنه علاج مكمل وفقط.. آخر هذه الصور التى تسيئُ للقرآن، ثم بعد ذلك يتهمون القرآن على أنه لم يفعل شيئًا!!

ومَن أراد أن يتداوى بالقرآن فعليه أن يتلوه حق تلاوته ويعمل بما فيه فَيُحلّ حَلاَله ويُحرِّم حَرَامه، ويؤمن بمحكمه، ويقف عند عجائبه، ويعلم أنه الكتاب الذي نزل مهيمنًا على كل ما سبق من الكتب السماوية، وأنزل الله فيه الشفاء والدواء، وأن من تداوى به فهو المداوي، ومن التمس فيه الشفاء فهو الشافي الكافي، لهذا هو منهج حياة، فمثل هذا إذا التمس فيه الشفاء شفى، ومن التمس فيه الدواء تداوى.

فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة والسعادة الأبدية، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار، نعوذ بالله من ذلك.

ولقد ورد عن النبي ﷺ في التداوي والرقية به أحاديث كثيرة، فمنها ما جاء في فضله كله، ومنها ما جاء في فضل بعض السور والآيات، وإليك البيان.



الرقية بالفاتحة

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سَفْرةٍ سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيّد ذلك الحي فسعوا له بكلِّ شيءٍ فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيْ، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيّدنا لُدغ، وسعينا له بكلِّ شيءٍ لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيءٍ؟

فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكأنما نشط من عِقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبة.

قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ، فنذكر له الذي كان فننتظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له ذلك، فقال: «**وما يدريك أنها رقية؟!**» ثم قال: «**قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا**». وقد خرَّجته في (عمل اليوم) لابن السني [٦٣٦]، وله طرق وألفاظ كثيرة ذكرت بعضها في هذا الكتاب. والفاتحة هي أعظم سورة في القرآن.

فعن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أُعلمُكَ سورة هي أَعظمَ سورةٍ في القُرآن قَبلَ أنْ تَخرُجَ؟**» فَأَخَذَ بِيدِي، فَلَمَّا أَرَاد أن يخْرُجَ قُلتُ: يا رسولَ الله، إنَّكَ قُلتَ: ألا أعلمك أَعظمَ سورة في القرآن؟ قال: «**الحمد لله رب العالمين هيَ السبعُ المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيتُه**»(١).

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود [١٣٥٠]، والنسائي [٢٦]، وانظر: صحيح أبو داود [١٢٩٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال في أمِّ القرآن: «هي أمّ القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم» [أخرجه أحمد بسندٍ صحيح].

وأصله في (صحيح البخاري) بلفظ: «**هي أمّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني**».

وأخرج الدارمي والترمذي والحاكم بسند صحيح من حديث أُبي بن كعب مرفوعًا: «أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» ثم قال النبي ﷺ لأُبي: «**ما تقرأ في الصلاة؟**» قال: فقرأت عليه أم القرآن فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني**».

وفضائل هذه السورة كثيرة وعظيمة، وقد ذكر أكثرها ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في (تفسيره) (١/ ١٠-١٣)، ولعظم هذه السورة وعظم مكانتها كان لها كبير الأثر في الشفاء، وكيف لا؟ وهى ركن في الصلاة لا تصح الصلاة بدونها، وهي أم الكتاب جمعت كل معاني القرآن كما قال البخارى رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

وأخرج البخاري [٥٧٣٧] وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرّوا بماءٍ فيهم لديغ، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم راق؟ إن في الماء رجلًا لديغًا - أو سليمًا - فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة، فبرأ، فجاء بالشاة إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال الرجل: يا رسول الله إنا مررنا بحيٍّ من أحياء العرب فيهم لديغ فانطلقت فرقيته بفاتحة الكتاب على شاة فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ**».

وأخرج أحمد (٥/٢١٠) وأبو داود [٣٤٢٠] وغيرهما عن عم خارجة بن الصلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعًا من عنده، فمرَّ على قومٍ عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حُدِّثنا أن صاحبكم هذا، قد جاء بخير، فهل عندكم شيء نداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل إلَّا هذا؟**» وفي رواية: «**هل قلت غير هذا؟**» قلت: لا، قال: «**خذها، فلعمري لمن أكل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق**». وهو حديث صحيح خرجته في (عمل اليوم لابن السني [٦٢٤].

وعن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عَوَّذني رسولُ الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلًا»، وقد سبق تخريجه، وهو حديث حسن إن شاء الله.

وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ الحمد لله، والمعوِّذتين، وقل هو الله أحد سبعًا سبعًا في مجلسه، بعد الجمعة حُفِظَ إلى الجمعة الأخرى**».

قال وكيع بن الجراح: «فجرَّبناه فوجدناه كذلك»[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يرقي ويُحصن بالفاتحة»

قال: وقد سمّاها رسول الله ﷺ بالرَّاقية والشَّافية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في (المدارج) (١/١٠٢-١٠٣): «وقد اشتملت الفاتحة على الشفاءين: شفاء القلوب وشفاء الأبدان، أما تضمنها لشفاء الأبدان: ثم ذكر الأحاديث الماضية-

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص [١٣٥]، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٩)، وأبو عبيدة في الفضائل ص [٢٠٤] بسندٍ صحيح.

ثم قال: فقد تضمن هذا الحديث- حديث أبي سعيد- حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنته عن الدواء وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء.

هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير المسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلًا».

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (فتح القدير) (٣/٢٥٣): «واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قولين:

الأول - أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله.

الثاني - أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك. ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أو من باب حمل المشترك على معنييه»

قلت: المسألة لا تحتاج إلى حمل الشفاء على المعنيين واستخدام مثل هذه القواعد غير المطردة على كتاب الله أو كلامه، خاصة إذا كان في باب الامتنان -والله أعلم-، فالقرآن بالقطع فيه كل شفاء لكل الأمراض وهذه المنن لا يحتاج إلى إخضاعها للقواعد المختلف فيها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الزاد) (٤/١٧٨): «وبالجملة فيما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه وسؤاله مجامع النعم كلها، وهى الهداية التى تجلب النعم، وتدفع النقم، من أعظم الأدوية الشافية الكافية».

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (فيض القدير) (٤/٤١٩): «إن فاتحة الكتاب شفاء من كل داء من أدواء الجهل والمعاصي والأمراض الظاهرة؛ لما حوته من إخلاص العبودية والثناء على الله، وتفويض الأمر إليه والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها

وهي الهداية التي تجلب النعم وتدفع النقم، وذلك من أعظم الأدوية الشافية الكافية، وقيل: ومحل الرقية منها: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لما فيهما من عموم التفويض، والتوكل، والالتجاء، والاستعانة، والافتقار، والطلب، والجمع من أعلى الغايات، وهي عبادة الرَّب وحده وأشرف الوسائل، ومن الاستعانة به على عبادته ما ليس في غيرها»

قلت: والنقول كثيرة، والأقوال أكثر في مكانة الفاتحة، وكيفية التداوي بها، والاستشفاء بها.

أقول: وما جربته في العلاج بالفاتحة هو الآتي:

❁ قراءة الفاتحة على رأس المسحور أو الملبوس أو المحسود. يُمسِك القارئ بالرأس أو على الناصية ويقرأها سبع مرات كما في بعض روايات حديث أبي سعيد، ولا أرى في الزيادة على السبع ما يمنع، والله أعلم.

❁ قراءة الفاتحة سبع مرات على ماءٍ. يضع القارئ يده اليمنى وهو متوضئ، ثم يقرأ وينفث، ويشرب المريض - بأي مرض - ويغتسل عدة مرات؛ فإنه يبرأ بإذن الله.

❁ تُكتب الفاتحة على طبق أملس بمِسك مع زعفران ويُغسل هذا الإناء في ماء طاهر ثم يُشرب ويُغتسل به.

❁ ❁ ❁

الرقية بالبقرة

ولقد ورد عن النبي ﷺ أن سورة البقرة تُبطِل السحر، ولا تستطيعها السحرة، وحفظها بركة، ومن بركاتها: إبطال السحر، وتُحصِّن ضد السحر، فعن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(١).

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الفيض) (٢/٦٦): «اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم - أي: في أماكنكم التي تسكنونها، بيتًا أو خلوة أو خباءً أو غيرها - ولا تجعلوها قبورًا - أي: كالمقابر الخالية عن الذكر والقراءة -، بل اجعلوا لها نصيبًا من الطاعة، أي: كما قال ﷺ: «**إن لكل شيء سنامًا وسنام القرآن سورة البقرة، وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تُقرأ خرج من البيت الذي تُقرأ فيه**». [حسن: أخرجه الحاكم (١/ ٥٦١)، وحسَّنهُ الألباني في (الصحيحة) (٥٨٨)، وأصله في (صحيح مسلم) (٧٨٠) والترمذي [٣٠٤٩] وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة**»، وفي رواية: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِى تُقْرَأُ الْبَقَرَةُ فِيهِ لا يدخله الشيطان**».

وفي رواية عند ابن حبان من حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «**من قرأها** - يعني: سورة البقرة - **ليلًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال، ومن قرأها نهارًا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام**».

وعن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**السورة التي تُذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها، فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٩)، ومسلم [٨٠٤] وغيرهما.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٥)، ومسلم [٢٥٢] وغيرهما.

وسورة البقرة سنام القرآن، والسنام أعلى شيء، وكيف لا؟ وقد حوت ألف حكم وألف أمر وألف نهي وألف خبر، كما قال ابن العربي المالكي في «أحكامه» ونقله عنه القرطبي وغيره.

وسورة البقرة تُحصن العبد من السحر، كما هى علاجه وأعظم دوائه.

وسورة البقرة أخذها بركة، وأخذها حفظها والعمل بها والقيام بحقها، ولقد ورد عن ابن عمر كما في (موطأ مالك) أنه قال: إن عمر بن الخطاب حفظ البقرة في عشر سنين، كان لا يحفظ آية إلا قام بها وعمل بما فيها وانتهى عما نهت عنه.

فالمداومة عليها وقراءتها وكثرة تلاوتها في البيت وفى المصنع وفى الدكان وفى كل مكان يحفظ العبد من شرّ الشيطان ويفر منه شيطانه كما يفر من البيت.

فالبقرة مع الفاتحة من أعظم ما يُتداوى بهما من جميع الأمراض البدنية والنفسية والعصبية، ومن السحر والحسد واللبس وغيرها من الأمراض.

ومنذ أكثر من ربع قرن وأنا أُجربهما معًا في علاج السحر والحسد واللبس، وكانت نسبة التداوي وتأثيرهما في سرعة الشفاء فوق تخيل البشر، ولله الحمد.

فلله الحمد على أنه أنزل القرآن شفاء، والحمد لله ثم الحمد لله أن أنزل الفاتحة والبقرة فيما أنزل من القرآن.

قال ابن التركماني وهو يسرد سيرة أحد شيوخه: «وكان قد ابتلى الله تعالى هذا الشيخ العالم ببلاء آخر وهو شيطان من الجن، ورد على الشيخ في قراءته، فلعنه الشيخ وكذبه، فأخذ الشيخ في عين المعاداة، فكان الشيطان إذا دخل الليل يُرجِف قلوبهم ويرمي عليهم الأحجار، فشكا ذلك للمؤلف -فإنه كان من جنسه ومن طلبته-، قال: يا بني، يرمي علينا كل يوم قفتين. قلت له: فكان يكسر شيئًا من الأواني أو يصيبكم أنتم؟

قال: لا، ولكن مراده أن يرجفنا. ويرميهم بالأحجار في وسط الدار، وكان للشيخ سلم وفيه مسمار كبير، فقومه الشيطان وأخرجه ورمى به في وجوههم، قال الشيخ: وكان عندي صندوق مقفول وفيه كتب، ففتح الصندوق ورمى كل ما فيه في وجوهنا، وكان يأخذ الغزل من بين يدي الزوجة ويغيب ثم يرمي به على وجوهنا. قال المؤلف: فقلت له: أنا وفلان نجيء إلى بيت سيدي ونقرأ شيئًا من كتاب الله تعالى. فجئنا وقرأنا سورة البقرة بكمالها، ثم دعونا الله سبحانه؛ فصدَّ الحقُّ الشيطان ببركة القرآن، وبعد ذلك ما قرب الدار»[١].



(١) انظر: كتاب اللمع في الحوادث والبدع ص [٤٣٦-٤٣٧] من كتاب فتح الحق المبين ص [١٤٦-١٤٧].

الرقية بآية الكرسي

لقد ورد في فضل آية الكرسي أحاديث كثيرة تربو على المائة، منها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وأما الآثار فكثيرة جدًّا، وكلها تهدف إلى إظهار مكانة هذه الآية حتى كانت هي أعظم آي القرآن، وتبوأت مكانة كبيرة حتى كانت سيدة آي القرآن، ولها سر عظيم لما حوته من أسماء الله وصفاته في صيانة العبد وحفظه من كل شرٍّ، وكل شيطان.

فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسيّ دبُر كُلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يَمْنَعْهُ من دُخُولِ الْجنَّة إلا الموتُ»**. [وهو حديث حسن كما أوضحت ذلك في (عمل اليوم) لابن السني رقم [١٢٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من قرأ آية الكرسي، وحم الأول - يعني: من سورة المؤمن -حتى ينتهي إلى: (وإليه المصير) حين يُمسي حُفظ بهما حتى يُصبح، ومن قرأ بهما مُصبحًا حُفظ بهما حتى يُمسي»(١).

عن أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى». [وإسناده فيه ضعف كما أوضحت في (عمل اليوم) [٣٤٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عُصم ذلك اليوم من كُلِّ سوء»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٨٧٩]، والدارمي [٣٣٨٦]، والبيهقي في الشعب [٢٢٤٥]، والبغوي [١١٩٨]، وابن السني في عمل اليوم [٧٦]، وإسناده فيه ضعف كما بينت ذلك في الكتاب الأخير.

(٢) أخرجه الترمذي [٢٨٧٩]، والطبراني في الدعاء [٣٢٢]، وابن السني [٦٨٨]، والبغوي [١١٩٨]، وإسناده ضعيف كما أوضحت في عمل اليوم [٦٨٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِي (اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُ الْقَيُّومُ) حتى تَخْتِمَهَا فإنه لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حتى تُصْبِحَ»[١].

وعن أُبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه كان له جرن فيه تمر وأنه كان يتعاهده، فوجده ينقص، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، فقلت له: أجنيّ أم إنسيّ؟ قال: بل جنيّ، وفيه أنه قال له: بلغنا أنك تحب الصدقة وأحببنا أن نصيب من طعامك، قال: فما الذي يُجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية آية الكرسي، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**صدق الخبيث**»[٢].

❁ وحديث أبي أيوب الأنصاري أنه كان له سهوة فيها تمر، وفيه: فقال له الغول: «إني ذاكرة لك شيئًا آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره»، فلما جاء إلى النبي ﷺ وأخبره قال له النبي ﷺ: «**صدقتك وهي كذوب**»[٣].

❁ وحديث أبي هريرة السابق في باب: «الجن يسرق»: أن النبي ﷺ قال: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَة؟**» ثُم ذَكَر أنهُ قَدْ أَوصَاه بِقْراءة آيَةِ الْكُرْسِي فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»[٤].

❁ وحديث أبي أسيد الساعدي أن النبي ﷺ قال له مثل ذلك؛ وهو عند الطبراني، وأبي نعيم، وابن أبي الدنيا[٥].

❁ وحديث زيد بن ثابت عند ابن أبي الدنيا وأبي الشيخ في (العظمة)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري [٢٣١١] [٣٢٧٥] [٥٠١٠] وغيره.

(٢) **صحيح**: وقد سبق تخريجه، وانظر: صحيح الترغيب [٦٥٨].

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٥)، والترمذي [٣٠٥٢]، والطحاوي (١/ ٣٤١)، والحاكم (٣/ ٤٥٩)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٦٢)، وأبو نعيم في الدلائل ص [٥٢٦] وغيرهم، وانظر: صحيح الترمذي [٢٣٠٩].

(٤) صحيح وقد سبق.

(٥) انظر: الفتح (٤/ ٤٨٩).

(٦) انظر: الفتح (٤/ ٤٨٩).

❁ وحديث معاذ بن جبل عند الحاكم (١/ ٥٩٣-٥٦٤)، والبخاري في (التاريخ) (١/ ٢٨)، وأبي نعيم في (الدلائل) ص[٥٢٦-٥٢٧]، والبيهقي في (الدلائل) (٧/ ١٠٩-١١٠) وغيرهم ولفظه:

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ضم رسول الله ﷺ تمر الصدقة، فكنت أجد فيه كل يوم نقصانًا، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «**هو عمل الشيطان فارصده**»، فرصدته، فأقبل في صورة فيل، فلما انتهى إلى خلل الباب، دخل من خلل الباب في غير صورته، فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت على ثيابي فتوسطته.

وفي رواية الروياني: فأخذته فالتفت يدي على وسطه فقلت: يا عدو الله، وثبت إلى تمر الصدقة فأخذته وكانوا أحق به منك، لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك».

وفي رواية الروياني: ما أدخلك بيتي تأكل التمر؟ قال: أنا شيخ كبير فقير ذو عيال، وما أتيتك إلا من نصيبين، ولو أصبت شيئًا دونه ما أتيتك. ولقد كنا في مدينتكم هذه حتى بُعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان تفرقنا منها، فإن خليت سبيلي علمتكهما. قلت: نعم، قال: آية الكرسي وآخر سورة البقرة، من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخرها».

قال عبد الله بن مسعود: «لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلًا من الجن، فصارعه، فصرعه الإنسيّ، فقال له الإنسيّ: إني لأراك ضئيلًا شخيتًا[1]، كأن ذريعتيك ذريعتي كلب، فكذاك أنتم معشر الجن؟ أم أنت من بينهم كذلك؟

قال: لا والله، إني منهم لضليع[2]، ولكن عاودني الثانية، فإن صرعتني، علمتك شيئًا، ينفعك.

(١) الشخيت: النحيف.

(٢) الضليع: عظيم الخلق.

قال: نعم.

قال: تقرأ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾.

قال: نعم.

قال: فإنك لا تقرؤها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج[1]، كخبج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح.

وزادوا:

قال: فقيل لعبد الله: أهو عمر؟

قال: ومن عسى أن يكون إلا عمر[2]؟



(١) الخبج: الضراط.

(٢) أخرجه الدارمي (٢/ ٤٤٧)، والطبراني (٩/ ١٨٣-١٨٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٤)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ١٢٣) وحققته في مناقب عمر.

الرقية بأواخر البقرة

عن أبي مسعود البدري الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في (شرح مسلم) (٦/٤١٧): «قيل معناه: كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من الآفات، ويحتمل من الجميع».

وقال ابن القيم في (الوابل الصيب) ص [٢٥]: «الصحيح: كفتاه شرَّ ما يؤذيه».

وقال القارئ في (مرقاة المفاتيح) (٥/٢٤): «كفتاه: أى دفعتا عنه الشر والمكروه، وهو من: كفى يكفي إذا دفع عن أحد شيئًا وأغناه وقيل: وكفتاه عن قيام الليل...».

وقال المناوي في (الفيض) (٦/١٩٧-١٩٨): «...أو وقتاه من كل سوء ومكروه، وكفتاه شر الشيطان، أو الآفات، أو دفعتا عنه شر الثقلين...».

وقال المباركفوري في (تحفة الأحوذى) (٨/١٥٢): «...كفتاه من كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن....» وقد نقله عن الحافظ في (الفتح) (٩/ ٦٥).

قلت: ولأن فضل هذه الآيات عظيم جدًّا، فلهن فضل لذاتهن ثم فضل لأنهن جزء من سورة البقرة، فلهن فضل زائد، وقدر فائض عن غيرهن، مثلهن مثل آية الكرسي، لذا كانتا كافيتين عن كل شر ومن كل سوء، ومن شر شياطين الإنس والجن.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يُعطهن نبي قبلي**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١١٨)، والبخاري [٤٠٠٨] [٥٠٠٨- ٥٠٠٩]، ومسلم [٨٠٨]، وأبي داود [١٣٩٢]، والترمذي [٣٠٥٥]، والنسائي (٥/ ١٤)، وابن ماجه [١٣٦٨].

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٥١-١٨١)، وراجع الصحيحة [١٤٨٢].

ولأن هاتين الآيتين منحة من الله تعالى كما قال ﷺ: **«أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ»**(١).

وهذه الآيات أيضًا كنز من تحت العرش كما سبق، ولحديث عقبة بن عامر الجهني قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«اقْرَأْ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَإِنِّي أُعْطِيتُهُمَا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ»**(٢).

وأخرج مسلم (٤/١) ص [٣٧١]، وأحمد (٣٨٣/٥) عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ **«فُضِّلْنَا على الناس بِثَلاَثٍ: أُوتِيتُ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ من آخِر سُورة البَقَرة منْ بيت كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لم يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلاَ يُعْطَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي»**؛ لهذا قال علي بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فيما رواه ابن مردويه - (تفسير ابن كثير) (١/ ٧٤٢)، والدارمي [٣٣٨٤] أنه قال: «لا أرى أحدًا عَقِل الإسلام ينام حتى يقرأ خواتيم سورة البقرة فإنها كنز أعطيه نبيكم ﷺ من تحت العرش».

ولقد صرح النبي ﷺ أنه: **«من قرأها في دار ثلاث ليال فلا يقربها شيطان»**. [رواه الترمذي [٢٨٨٢]، والدارمي [٣٣٨٧]، وأحمد (٤/ ٢٧٣)، والنسائي في (عمل اليوم) [٩٦٧]، والحاكم (٢/ ٢٦٠) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«إنّ الله كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَي عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ، وَلاَ يُقْرآنِ فِي دَارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»** وهو حديث صحيح إن شاء الله، ولهذه الآيات فضائل كثيرة غير ما ذكرنا تطلب من مظانها، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير في (تفسيره) (١/ ٧٤٢-٧٤٣)، والسيوطي في (الدر المنثور)، وغير واحد من المفسرين، وهذه الفضائل لما اشتملت عليه من التوحيد

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٧٩-١٥٧)، والترمذي [٣٢٧٦]، والنسائي (١/ ٢٤٣)، وأحمد (١/ ٣٨٧) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «أُعطيَ رسول الله ﷺ ثلاثًا..» فذكره.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٨)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٤) وهو كذلك.

والإيمان بالله وبالكتب وبالرسل، وما اشتملت عليه من الدعاء والنصرة على الكافرين وغير ذلك، فمن جملة الكفرة الذين نطلب من الله النصرة عليهم هم الشياطين الذين يغوون البشر ويضلونهم صباح مساء؛ لهذا كانت هاتان الآيتان كافيتين، والحمد لله على نعمه.

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفيض» (٣٤٨/٢): «ولا يقرآن في دار - يعني: مكانًا، دارًا أو خلوة أو مسجدًا أو مدرسة أو غيره ثلاث ليال في كل ليلة منها، وكذا في ثلاثة أيام فيما يظهر، وإنما خص الليل؛ لأنه محل سكون الآدميين وانتشار الشياطين، «**فيقربها شيطان**» فضلًا عن أن يدخلها فعبَّر بنفي القرب ليفيد نفي الدخول بالأَولى»

وأخرج الدارمي (٤٤٨/٢) بسند صحيح عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «من قرأ أربع آيات من أوّل سورة البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثًا من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقرآن على مجنون إلَّا أفاق».



الرقية بسورة الإخلاص

وكان النبي ﷺ يرقي نفسه بها، ويجمع كفيه وينفث فيهما ويمسح ما استطاع بهما من جسده، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ فغيره أولى وأَولى.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كل ليلة، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ **وَيَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ وَيَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ ومَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا**»[(١)].

قلت: قولها: «**كل ليلة**» يستشعر منه الاستمرارية على هذا العمل، ومع كون الله كافيه، وأن الله عصمه من الناس، وأن الله يحبه، واتخذه خليلًا، وكونه من أولي العزم من الرسل، بل هو أولهم وسيدهم، وخير البشر على الإطلاق، ومع كونه مؤيدًا بالوحي وأن قلبه لا يغفل عن ذكر الله ليلًا أو نهارًا كما قال «**تنام عيني ولا ينام قلبي**» ومؤيدًا بالمعجزات وأن الله حافظه على الدوام إلا أنه كان يرقي نفسه ويرقي غيره ويرقي الحسن والحسين ويعوذهما بالمعوذات، فهو أفضل من أخذ بالأسباب، وأفضل الخلق توكلًا على الله تعالى، ومع هذه الرتبة العالية، والمحل الأعلى كان يَرقي ويُرقى ﷺ، ولم يتأفف من ذلك بل ولم ينس هذا، بل كان مداومًا على هذا العمل، فإذا كان هذا حاله وشيمته، فمن باب أولى أن لا ينسى هذه الرقية أحد على الإطلاق، وغيره أحرى بأن يداوم على ذلك وأحرى.

وكان ﷺ إذا اشتكى أشد تمسكًا بهذه الرقية، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعُهُ كنتُ أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٧/ ٥)، وأبو داود [٥٠٥٦]، والترمذي [٣٦٤٢]، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري [٥٠١٦] وغيره.

قال العلامة القارئ في (مرقاة المفاتيح) (٥/٢٩): «النفث: إخراج ريح من الفم مع شيء من الريق».

وقال الجزري في (المفتاح): «النفث شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل لا يكون إلَّا ومعه شيء من الريق، قال: و«**فيهما**» أي: في الكفين، ثم نقل عن الطيبي: دل ظاهره على أن النفث مقدم على القراءة، فقيل: خالف السحرة أو المعنى، ثم أراد النفث فقرأ فنفث.. والمعنى: جمع كفيه ثم عزم على النفث فقرأ فيهما».

ونحو ما قاله القارئ قاله المباركفوري في (تحفة الأحوذي) (٩/٢٤٥-٢٤٦)، ونقل عن المظهري في (شرح المصابيح) أنه قال: «ظاهر الحديث يدل على أنه نفث في كفِّه أولًا ثم قرأ، وهذا لم يقل به أحد ولا فائدة فيه، ولعله سهو من الراوي، والنفث ينبغي أن يكون بعد التلاوة؛ ليوصل بركة القرآن بشدة إلى القارئ والمقروء له، وأجاب الطيبي كما سبق.

قلت: قوله: «جمع كفَّيه ثم نفث فيهما وقرأ» يدل على أن النفث أولًا ثم القراءة، وإذا قرأ ثم نفث استفاد من النفث المبارك بالقراءة، وإذا نفث ثم قرأ فقد خالف السحرة واتبع السنة، والله أعلم».

عن عبد الله بن خُبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي بنا، قال: فأدركته فقال: «**قُلْ**» فلم أقل شيئًا، ثم قال: «**قُلْ**» فلم أقل شيئًا، قال: «**قُلْ**» فقلت: ما أقول؟ قال: «**قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء**»[(١)].

قال القارئ في (مرقاة المفاتيح) (٥/٥٥): «قال الطيبي: أي تدفع عنك كل سوءٍ فمن زائدة في الإثبات على مذهب جماعة وعلى مذهب الجمهور أيضًا؛ لأن «يكفيك» متضمنة للنفي

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي [٣٨٢٨]، وانظر: صحيح الترمذي [٢٨٢٩]، وأخرجه أبو داود [٥٠٨٢]، والنسائي (٨/ ٢٥٠)، وانظر: صحيح النسائي [٥٠١٧].

كما يُعلم من تفسيرها بـ«تدفع»، ويصح أن تكون لابتداء الغاية، أي: تدفع عنك من أول مراتب السوء إلى آخرها أو تبعيضية، أي: بعض كل نوع من أنواع السوء ويحتمل أن يكون المعنى: تغنيك عما سواها، وينصر المعنى الثاني ما في حديث عقبة بن عامر: «**فما تعوذ متعوِّذ بمثلهما**».

قلت: تضمن هذا الحديث في سياق الامتنان، وما كان كذلك فهو يعم الكفاية، غير أن كلام النبي ﷺ يحمل على عمومه، ولما أضيفت إليه «**من كل شيء**» زاد المعنى وضوحًا وتأكيدًا خاصة أن «**كل**» للاستغراق، فهي تستغرق كل الكفاية لا بعضها ولكن يشترط في قائلها لكى تكفيه الكفاية العامة التامة: حسن الاعتقاد مع الثقة في الله، والله أعلم.

ثانيها - أن لفظة «**شيء**» نكرة في سياق الامتنان؛ فهى تعم كل شيء موجودًا كان أو معدومًا، إنسانًا أو حيوانًا أو شيطانًا، حتى هوام الأرض، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته، مع بيان عظمة هذه السورة التى تعدل في قراءتها مرة واحدة بثلث القرآن، والله تعالى أعلم.



الرقية بسورة الكافرون

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ تمثل التوحيد العملى، كما أن سورة الإخلاص تمثل التوحيد العلمي، وإذا اجتمع على المسحور فى الرقية التوحيدان -العلمي والعملي- فهو مؤثر جدًّا جدًّا وبخاصة إذا كان الموكل بالسحر جنًّا نصرانيًّا، وغالبًا يكون جنًّا بدرجة قس أو راهب حتى يمعن في الضرر بالمسحور، ولا يتأثر الجن النصراني أو الصليبي إلا بآيات التوحيد وآيات عاقبة المشركين، وإذا أراد الراقي استنفار غضبه -أي: الجن- قرأ على المسحور آيات كفر النصارى وغيرها.

وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لدغت النبيَّ ﷺ عقرب وهو يصلِّي، فلما فرغ قال: «**لعنَ الله العقربَ؛ لا تَدَعُ مصلِّياً ولا غيرَه**»، ثُمَّ دعا بماءٍ وملحٍ فجعلَ يمسحُ عليها، ويقرأ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الطب النبوى) ص [١٨٠-١٨١] ما مختصره في تعليقه على هذا الحديث: «ففي هذا الحديث العلاج بالدواء المركب من الأمرين: الطبيعي والإلهي، فإن في سورة الإخلاص من كمال التوحيد العلمي الاعتقادي، وإثبات الأحدية لله، المستلزمة نفي كل شركة عنه، وإثبات الصمدية المستلزمة لإثبات كل كمال له مع كون الخلائق تصمد إليه في حوائجها، أي: تقصده الخليقة، وتتوجه إليه، علويها وسفليها، ونفي الوالد والولد، والكفء عنه المتضمن لنفي الأصل، والفرع والنظير، والمائل مما اختصت به وصارت تعدل ثلث القرآن، ففي اسمه الصمد إثبات كل الكمال، وفي نفي الكفء والتنزيه عن الشبيه والمثال. وفي الأحد نفي كل شريك لذي الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد.

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٥٢)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٢٣)، وأبو محمد الخلال في فضائل قل هو الله أحد (١/ ٢٠٢)، والطبراني في الصغير [١١٧]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٥٤٨].

وأما العلاج الطبيعي فيه، فإن في الملح نفعًا لكثير من السموم، ولاسيما لدغة العقرب، قال صاحب (القانون): يضمد به مع بزر الكتان للسع العقرب، وذكره غيره أيضًا، وفي الملح من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها، ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج إلى تبريد وجذب وإخراج جمع بين الماء المبرد لنار اللسعة، والملح الذي فيه جذب وإخراج، وهذا أتم ما يكون من العلاج وأيسره وأسهله، وفيه تنبيه على أن علاج هذا الداء بالتبريد والجذب والإخراج، والله أعلم».

وهذه السورة قراءتها قبل النوم تجعل صاحبها بريئًا من الشرك كما في (مسند أحمد) (٥/ ٤٥٦) وأبي داود [٥٠٥٥]، والترمذي [٣٤٠٣]، والنسائي في (عمل اليوم) [٨٠١] من حديث نوفل بن معاوية أن رسول الله ﷺ قال له: «**اقرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثمَّ نَمْ على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشرك**» وصححه الألباني.

وذكرنا قبل ذلك أن أي آيات تزيل الشرك وتبرئ صاحبها من الشرك، لها فضل عند تلاوتها، فلها فضل في الرقية والاستشفاء بها، والله أعلم.



الرقية بالمعوِّذتين

سبق في الحديث الذى رواه البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان يجمع كفيه وينفث فيهما ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وأنه ﷺ كان يداوم على ذلك، وأنه عند مرضه كانت تجمع له كفيه لعدم القدرة على ذلك؛ وذلك لأهمية الرقية بالمعوذات، ومداومة النبي ﷺ على الرقية بهما وعلى رقية الحسن والحسين والمحافظة على الوصية عليها كما في حديث عقبة الآتي يوضح ما لهما من أهمية في الرقية بهما، وأن الله تعالى وضع فيهما خاصية كبيرة جدًّا من دفع الشرور.

أخرج أحمد (٦/١٠٤-١١٤)، والبخاري [٥٠١٦]، ومسلم [٢١٩٢] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده؛ رجاء بركتها».

وفى رواية عند البخارى [٤٤٣٩] وغيره: «**كان رسول الله ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ**».

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفائدة النفث التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذي ماسَّهُ الذكر كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر، وفيه تفاؤل بزوال الألم، وانفصاله كانفصال ذلك الريق، وخصّ المعوذات لما فيها من الاستعاذة من كل مكروه جملةً وتفصيلًا؛ ففي الإخلاص كمال التوحيد الاعتقادي، وفى الاستعاذة من شرِّ ما خلق ما يعم الأشباح والأرواح».

وكان النبي ﷺ يعوِّذ أهل بيته بالمعوِّذات كما فى حديث عائشة عند مسلم [٢١٩٢] أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات».

قلت: أي أنه ﷺ أخذ بالسبب الشرعى فى إزالة الألم أولًا، فإذا لم يقع أخذ بالسبب الآخر وهو التداوي ولهذا كان يأمر بالتداوي كما في الحديث الصحيح: «**تداووا عباد الله فإن الله تعالى ما خلق داء إلاّ وخلق له الدواء**»، وسيأتي تخريجه.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (شرح مسلم) (١٥/٣٥١-٣٥٢): «قولها: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوِّذات» هي بكسر الواو والنفث نفخ لطيف بلا ريق. فيه استحباب النفث في الرقية، وقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. قال القاضي: وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقى، وأجازوا فيها النفخ بلا ريق، وهذا المذهب والفرق إنما يجيء على قول ضعيف. قيل: إن النفث معه ريق. قال: وقد اختلف العلماء في النفث والتفل، فقيل: هما بمعنى، ولا يكونان إلا بريق. قال أبو عبيدة: يشترط في التفل ريق يسير، ولا يكون في النفث، وقيل عكسه. قال: وسئلت عائشة عن نفث النبي ﷺ في الرقية، فقالت: كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه. قال: ولا اعتبار بما يخرج عليه من بلة، ولا يقصد ذلك، وقد جاء في حديث الذي رقى بفاتحة الكتاب: فجعل يجمع بزاقه ويتفل، والله أعلم».

وقال: «وفي هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار، وإنما رقى بالمعوذات؛ لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلًا، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس، والله أعلم».

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما»[(١)].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي [٢١٥٠]، والنسائي (٤/ ٤٤١)، وابن ماجه [٣٥١١]، وهو في صحيح الترمذي [١٦٨١] وصحيح ابن ماجه [٢٨٣٩].

قال العلامة المناوي في (الفيض) (٥/٢٠٢): «كان يتعوذ من الجان، أي يقول: «**أعوذ بالله من الجان وعين الإنسان**» من ناس ينوس إذا تحرك وذلك يشترك فيه الجن والإنس وعين كل ناظر «حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما» أي: مما كان يتعوذ به من الكلام غير القرآن، لما ثبت أنه كان يرقي بالفاتحة وفيهما الاستعاذة بالله، فكان يرقي بها تارة ويرقي بالمعوذتين أخرى لما تضمنتاه من الاستعاذة من كل مكروه؛ إذ الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه في الأشباح والأرواح. والاستعاذة من شر النفاثات تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الخبيثة المؤذية. والسورة الثانية تتضمن الاستعاذة من شر الإنس والجن؛ فجمعت السورتان الاستعاذة من كل شر فكانتا جديرتين بالأخذ بهما وترك ما عداهما، قال ابن حجر: وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل يدل على الأولوية سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اكتفى بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الكلم والاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلًا».

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجُحفَةِ والأبواءِ؛ إذ غشيتنا ريحٌ وظلمةٌ شديدةٌ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذُ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ويقول: «**يا عُقبة، تعوَّذ بهما، فما تعوَّذ متعوذٌ بمثلهما**»[1].

قال العلامة القاري في (مرقاة المفاتيح) (٥/٥٥): «أي: بل هما أفضل التعاويذ ومن ثَمَّ لما سحر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مكث مسحورًا سنة حتى أنزل الله عليه ملكين يعلمانه أنه يتعوذ فعل فزال ما كان يجد من السحر».

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي [٣٥٧٥]، وأبو داود [٥٠٨٢]، والنسائي (٨/ ٢٥٠).

وعند مسلم (٥٨٨/١) رقم [٢٦٤]، وأحمد (١٤٤/٤)، والترمذي [٣٣٦٧]، عن عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

وعند أحمد (١٤٤/٤)، والنسائي [٥٤٥٢]، وأبو داود [١٤٦٢] بسند صحيح عنه أنه قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب؛ إذ قال لي: «**يا عقبة، ألا تركب؟**» قال: فأجْلَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟**» فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، فَنَزَلَ وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً، وَنَزَلْتُ، وَرَكِبَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**يا عقيبُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رسول الله ﷺ فقرأ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، فَقَالَ: «**كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةَ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ**».

وعند أحمد (١٥٥/٤)، وأبو داود [١٥٢٣]، والترمذي [٢٩٠٣]، وهو صحيح عن عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة».

وفي رواية لأحمد (٦/ ١٤٦) مرفوعًا عنه: «**اقرأ بالمعوذتين؛ فإنك لن تقرأ بمثلهما**»

وعند النسائي في (الكبرى) [٧٨٥٦] عنه مرفوعًا قال: «**إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»، وفي رواية عند النسائي [٥٤٥٣]، وفي (الكبرى) [٧٨٣٨] وصححه الألباني مرفوعًا: «**ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما**».

وعند أحمد (١٤٩/٤)، والنسائي [٥٤٤٧] بسند صحيح عنه مرفوعًا: «**لن تقرأ شيئًا أنفع عند الله من** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾».

وأخرجه النسائي [٥٤٤٧]، وأحمد (٤/ ١٥٣) بسند صحيح عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن عائش، أَلَا أَدُلُّكَ – أَوْ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ – بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟**» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ **هَاتَانِ السُّورَتَانِ**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في (تفسيره) (٨/٥٠٤) بعدما ساق الروايات والألفاظ والطرق: «فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث».

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ يَا جَابِرُ**»، قُلْتُ: وَمَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «**اقْرَأْ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فَقَرَأْتُهُمَا فَقَالَ: «**اقْرَأْ بِهِمَا وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا**»[1].

قال المباركفوري في (التحفة) (٨/١٧٣): «قوله: «**لم ير مثلهن**» بصيغة المجهول وبرفع مثلهن، أي: في بابها وهو التعوذ، يعني: لم يكن آيات سورة كلهن تعويذًا للقارئ غير هاتين السورتين، ولذلك كان ﷺ يتعوذ من عين الجان وعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سواهما، ولما سُحر استشفى بهما.

وإنما كان كذلك لأنهما من الجوامع في هذا الباب ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة خبر مبتدأ، أي هي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾... إلخ. وفي هذا الحديث بيان عظم فضل هاتين السورتين، وفيه دليل واضح على أنهما من القرآن، وفيه أن لفظة: ﴿قُلْ﴾ من القرآن ثابتة من أول السورتين بعد البسملة، وقد اجتمعت الأمة على هذا كله».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الطب النبوي) ص [١٨١-١٨٢]: «وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملةً وتفصيلًا؛ فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه، سواء

---

(١) أخرجه النسائي [٥٤٥٦] بسندٍ صحيح.

كان في الأجسام أو الأرواح، والاستعاذة من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار، فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت. والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن، والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها.

والسورة الثانية تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولهما شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها. ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة، وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة. وقال: ما تعوذ المتعوِّذون بمثلها. وقد ذكر أنه ﷺ سُحر في إحدى عشرة عقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فجعل كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وكأنما أنشط من عقال».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهمية سورة الفلق: «هي من أكبر أدوية الحسد، فإنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه، والاستعاذة به من حاسد النعمة، فهو مستعيذ بولي النعم ومو ليها. كأنه يقول: يا من أولاني نعمته وأسداها إلي، أنا عائذ بك من شرِّ من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني، وهو حَسْب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمِّن خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير. فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاّه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمَّنَه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع» .

❁ ❁ ❁

بعض أقوال السلف في الرقية ببعض الآيات والسور

١- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي، وساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة الطويل»[١].

وقال في موضع آخر عن أثر آية الكرسي: «ومع هذا فقد جرب المجربون -الذين لا يحصون كثرة- أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيرًا عظيمًا في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين، مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب، وأرباب استماع المكاء[٢] والتصدية[٣]، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين، وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان، ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني، إذا كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمور يظنها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين»[٤].

٢- **قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الطب) ص [١٧٨]:** «ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا «يعني فاتحة الكتاب»، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع».

٣- **وقال أيضًا في (الطب):** «فاتحة الكتاب: وأم القرآن، والسبع المثاني، والشفاء التام، والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهم والغم

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٨١).

(٢) **المكاء:** الصفير.

(٣) **التصدية:** التصفيق.

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥١-٥٥).

والخوف والحزن لمن عرف مقدارها وأعطاها حقها، وأحسن تنزيلها على دائه، وعرف وجه الاستشفاء والتداوي بها، والسر الذي لأجله كانت كذلك».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اشتملت الفاتحة على الشفاءين: شفاء القلوب، وشفاء الأبدان، فأما اشتمالها على شفاء القلوب: فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال؛ فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم وفساد القصد.

وأما تضمنها لشفاء الأبدان: فنذكر منه ما جاءت فيه السنة، -ثم ساق- رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أن قال: فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنته عن الدواء وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء.

هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلًا»[١].

قال أيضًا في حديث الرقية بالفاتحة: «إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصَّ ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب. فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها وإثبات المعاد، وذكر التوحيد والافتقار إلى الرب في طلب الإعانة والهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته، وضال بعدم معرفته له. مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس وإصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع. وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يُستشفى بها من كل داء» انتهى[٢].

(١) المدارج (١/ ٥٨-٥٩).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٧٧) مختصرًا.

٤- قال الحافظ في (الفتح) (٥٤/٩): «قال القرطبي: اختصت الفاتحة بأنها مبدأ القرآن وحاوية لجميع علومه لاحتوائها على الثناء على الله والإقرار بعبادته والإخلاص له وسؤال الهداية منه والإشارة إلى الاعتراف بالعجز عن القيام بنعمه، وإلى شأن المعاد وبيان عاقبة الجاحدين، إلى غير ذلك مما يقتضي أنها كلها موضع رقية».

٥- قال النسفي في (تفسيره) (٣/١): «ويقال لها -يعني: الفاتحة- (الوافية) و(الكافية) لاشتمالها على المعاني التي في القرآن، ولقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ**»[1]، وسورة (المثاني) لأنها تثنَّى في كل صلاة، وسورة (الحمد والأساس) فإنها أساس القرآن، قال ابن عباس: إذا اعتللت أو اشتكيت فعليكم بالأساس».

٦- جاء في تفسير ابن كثير لسورة البقرة عند قوله تعالى: «﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ...﴾. قلت: أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المعوذتان، وفي الحديث: «**لم يُتعوَّذ بمثلهما**»، وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان»[2].

٧- قال أبو الشيخ: «حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن حبيب قال: سمعت علي بن أحمد بن القاسم، قال: سمعت أبي، عن جدي يقول: قال حمزة الزيات: خرجت ذات ليلة أريد الكوفة فأواني الليل إلى خربة فدخلتها، فبينما أنا فيها إذ دخل عليَّ عفريتان من الجن، فقال أحدهما لصاحبه: هذا حمزة بن حبيب الزيات الذي غرَّ الناس بالكوفة قال: نعم والله لأقتلنه، فلما أزمع على قتلي قلت: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وأنا على ذلك من الشاهدين، فقال له صاحبه: دونك الآن فاحفظه راعيًا إلى الصباح»[3].

---

(١) أخرجه مسلم [٣٩٤]، وأبو داود [٨٢١-٨٢٢]، والنسائي [٢٤].

(٢) تفسيره (١/ ١٤١).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة [١١١٢].

٨- جاء في تفسير ابن كثير لسورة يونس عند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ [يونس:٨١] ما يلي:

قال ابن أبي حاتم، عن ليث وهو ابن أبي سليم، قال: «بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تُقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور:

- ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس:٨١-٨٢].
- ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف:١١٨-١٢٢].
- ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه:٦٩].

٩- قال القرطبي: «قال ابن عباس: من أخذ مضجعه من الليل، ثم تلا هذه الآية: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ لم يضره كيد ساحر، ولا تكتب على مسحور إلا رفع الله عنه السحر»[(١)].

١٠- قال ابن القيم: «وكان كثيرًا ما يقرأ شيخ الإسلام ابن تيمية في أُذُن المصروع: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]»[(٢)].

١١- قال ابن القيم: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين. منزلة السكينة» (٢/ ٥٢٣-٥٢٥): هذه المنزلة من منازل المواهب. لا من منازل المكاسب. وقد ذكر الله سبحانه «السكينة» في كتابه في ستة مواضع:

الأول - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

---

(١) تفسير القرطبى (٨/ ٣٦٨).

(٢) الطب النبوى ص [٦٨].

الثاني - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

الثالث - قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾.

الرابع - قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

الخامس- قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

السادس- قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة.

وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها -من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة- قال: فلما اشتد الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَة.

وقد جربت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرا عظيمًا في سكونه وطمأنينته».

١٢- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الطب» [١٧٤]: «وقد ذكر عن أبي عبد الله الساجي، أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة، وكان في الرفقة رجل عائن، فلما نظر إلى شيء إلا أتلفه، فقيل لأبي عبد الله: احفظ ناقتك من العائن، فقال: ليس له إلى

ناقتي سبيل، فأخبر العائن بقوله، فتحين غيبة أبي عبد الله، فجاء إلى رحله، فنظر إلى الناقة، فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد الله، فأخبر أن العائن قد عانها، وهي كما ترى، فقال: دلوني عليه، فدل، فوقف عليه، وقال: بسم الله، حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، وردت عين العائن عليه، وعلى أحب الناس إليه، ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك :٣-٤] فخرجت حدقتا العائن، وقامت الناقة لا بأس بها».

١٣- قال ابن القيم: «والمقصود الكلام على هاتين السورتين -يعني: المعوذتين- وبيان عظيم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًّا في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس. فنقول والله المستعان: قد اشتملت السورتان على ثلاثة أصول وهي أصول الاستعاذة نفس الاستعاذة والثانية المستعاذ به والثالثة المستعاذ منه. فبمعرفة ذلك تعرف شدة الحاجة والضرورة إلى هاتين السورتين». انظر: (البدائع) (١/ ١٩٩-٢٠٠).

١٤- قال الحافظ في (الفتح) (١٠/١٩٧): «قال ابن بطال في المعوذات: جوامع من الدعاء».

وقال ابن التين: «الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني».

١٥- قال صِدِّيق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الدين الخالص) (٢/٣٢٠): «وللمعوذتين أثر عظيم في إزالة السحر، فمن داوم على قراءتهما في الأيام والليالي لا يضره السحر بإذن الله تعالى، وإذا قرأها المسحور زال أثره إن شاء الله».

١٦- قال الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن بطال: في المعوذات سرٌّ ليس في غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك. ولهذا كان يكتفي بها»[(١)].

وقال أيضًا عن الرقية بفاتحة الكتاب: «وقد قرأها النبي ﷺ وقال: «**إنها رقيا حق**»، وأقره على اجتهاده فيها، وشُفيَ اللديغ بها، فلأن يشفى بها من سم العين ونحوها من باب أولى.. وهنا يمكن أن يقال في حق الرقية بالقرآن إنه يحق لكل مسلم نفث في روعه واطمأنت نفسه لنص من كتاب الله يرقي به نوعًا ما من أنواع المرض أن له ذلك، فإن شفي المريض فبفضل من الله، وإلا فإما خطأ منه وإما فقد شرط من شروط الرقية بكتاب الله.. وتقدم أنها شروط ثلاثة: إيمان ويقين من الطرفين، وكونها من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، أو عن السلف الصالح، مع اعتقاد أن الشفاء حقيقةً من الله»[(٢)].

قال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي (القبس) (٣١٤/٤): ومن فضول الشريعة وفضلها وحكمتها البالغة ما وضع الله من الرقى في إذهاب الأمراض من الأبدان بها، وإبطال سحر الساحر منها، ورد عين العائن عند الاسترقاء بها، ودفع ضرر كل مُضر بإذن الله سبحانه بالشخص فيها، وذلك لا تستقر به نفوسكم ولا تنشرح عليه صدوركم إلاّ إذا علمتم أن الباري تعالى هو الذى خلق الشفاء عند استعمال الأدواء، لا حظَّ في الدواء في ذلك إلاّ جرى العادة... إلخ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: العين والرقية والاستشفاء ص [٩٨].

(٢) انظر: العين والرقية والاستشفاء ص [١٠١].

ثانيًا- الرقية بالسُّنة

عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه اشتكى إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له النبي ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الّذِي تَأَلّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[١].

زاد أبو داود وغيره: «ففعلتُ ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمُر به أهلي وغيرهم»، وقوله: «وجعًا» زاد أبو داود وغيره: «كاد يُهلكني»، وللطبراني والحاكم: «**ضع يمينك على المكان الذي تشتكي فامسح بها سبع مرات**» وعندهما: «أنه يقول ذلك في كل مسحة من السبع».

قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي في (عون المعبود) (٧/٣٧): «لأنه من الأدوية الإلهية والطب النبوى، لما فيه من ذكر الله، والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته وقدرته، وتكراره يكون أنجح وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي»[٢].أخرج الترمذي [٣٨٤٠]، والحاكم (٤/ ٢١٩)، وصححه الألباني في (الصحيحة) [١٢٥٨] عن محمد ابن سالم عن ثابت البناني قال: «يا محمد، إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي، ثم قُل: (**بسم الله أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد من وجعي هذا**) ثم ارفع يدك ، ثم أعد ذلك وترًا؛ فإن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثني أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك».

قال العلامة الإمام محمد بن خليفة الأبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (إكمال المعلم على شرح مسلم) (٧/٣٧٣): قوله «**ضع يدك**» هذا أمر إرشاد إلى ما ينفع المريض من وضع يد الراقي عليه وتمسحه بها. ويقال: إن ذلك ليس خاصًّا به ﷺ فيتعين أن يفعل ذلك،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢١-٢١٧)، ومسلم [٢٢٠٢]، وأبو داود [٣٨٩٨]، والترمذي [٢١٧٧]، والنسائي [٧٥٤٦]، وابن ماجه [٣٥٢٢].

(٢) وهو موجود في تحفة الأحوذي (٦/ ٢١٢).

ولا يعدل عنه إلى المسح بحديدة أو غيرها فإن ذلك لم يفعله أحدٌ ممن تقدم وإنما كانوا يفعلون المسح حسبما تضمنته الأحاديث، وكذلك ينبغي للراقي النفث والتفل، وكذلك تكرير التسمية ثلاثًا والتعوذ سبعًا كما في الحديث، وفي ذلك كله أسرار يدفع الله سبحانه بها الضرر، وأما ما يفعله المعزمون من الآلات فذلك تمويه وتطرق لأكل المال بالباطل».

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (فيض القدير) (٥/٨٦-٨٧): «وفائدة التقييد به أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرض آخر، وكان يدعو له بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء. وقال الطيبي: قوله «**شفاء**» إلى آخره تكميل لقوله: «اشف» وتنكير «سقما» للتقليل، واستشكل الدعاء بالشفاء مع ما في المرض من كفارة وأجور! وأجيب بأن الدعاء عبادة وهو لا ينافيها؛ لأنهما يخصان بأول المرض وبالصبر عليه، والداعي بين حسنيين إما أن يحصل له مقصوده أو يعرض عنه، بجلب نفع أو دفع ضر وكل ذلك من فضل الله تعالى». قال ابن القيم: وفي هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته ورحمته وأنه وحده الشافي».

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى مريض أو أُتِيَ به قال: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**». [أخرجه أحمد (٦/ ٤٤-٤٥، ١٠٩)، والبخاري [٥٧٤٣]، ومسلم [٢١٩١]، وفي رواية عند البخاري [٥٧٤٤] ومسلم [٢١٩١] عنها بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يرقي بهذه الرقية: «**أَذهِب الْبَأسَ رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لا كَاشِفَ لَهُ إِلا أَنْتَ**».

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله فيقول سبع مرات: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عُوفِيَ**»[(١)].

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣-٢٤٢)، وأبي داود [٣١٠٦]، والترمذي [٢١٨٠]، وهو في صحيح أبو داود [٢٦٦٣].

وهذا الدعاء، وهذا التوسل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ما أنفعه للعبد، وهو أنجع دواء، وأقرب الطرق لالتماس الشفاء، هو صدق اللجوء إلى الله تعالى، وحسن الثقة به سبحانه، فإذا دعا العبد وتوسل به إلى الله تعالى مع الثقة بالله، وصدق اللجوء إليه لاشك أنه لا يخيب توسله، ولا تُرد عليه دعوته؛ فإن الذي يملك الضرر والنفع هو الله تعالى، وهو الذى يملك الشفاء ويهبه لمن يشاء من عباده، الذين اتقوا وأحسنوا الظن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وبما أنه رب العرش، وهو العظيم، الذى لايحيط بعظمته أحد، وهو القادر الذي يملك القدرة، والقادر على كل شيء، وبكل شيء قدير، وعلى كل شيء قدير، فهو الذى يملك القدرة على الشفاء وذهاب الأمراض، لا إله غيره ولا رب سواه.

والعبد الذى يعلم أن لله عرشًا، وأنه عظيم، وأنه قادر، ويثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ ثم يرمي جنابه على الله ويحسن التوكل عليه، ويأخذ بالأسباب الشرعية والمادية، ويثق في الله تعالى هو العبد الذي يملك مفاتيح الشفاء ولاشك، والله أعلم.

وهذه رقية أخرى كان يرقى بها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبينا ﷺ، فكان يرقيه يقول: «**بِسْمِ الله أَرْقِيك، مِنْ كُلّ شَيْء يُؤْذِيك، مِنْ شَرّ كُلّ نَفْس أَوْ عَيْن حَاسِد الله يَشْفِيك**» يكرر ذلك ثلاث مرات(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي (الطب النبوي) ص [٢٧٠]: «فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله مغمورًا بذكره وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه، وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية ولهذا غالب ما يؤثر فيمن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٦) (٣/ ٢٨)، ومسلم [٢١٨٦]، والترمذي [٩٨٥] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (شرح مسلم) (١٤- ٣٤٢/١٥): «ففي هذا الحديث توكيد الرقية والدعاء وتكريره وقول الرسول ﷺ: «**من شر كل نفس**»، قيل: يحتمل أن المراد العين، فإن النفس تطلق على العين، ويُقال: رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه ويشهد لذلك الرواية الأخرى: «**من شر كل ذي عين**» فيكون قوله: «**أو عين حاسد**» من باب التوكيد بلفظ مختلف أو شك من الراوي في لفظه، والله أعلم».

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «**إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»[1].

قال المباركفوري: «**كلمات الله**» قيل: هي القرآن، وقيل: أسماؤه وصفاته.

وقال: «**التامة**» قال الجزري: «إنما وصف كلام الناس، وقيل معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه» انتهى.

وقال: «**الهامة**» كل ذات سم يقتل والجمع هوام فأما ما يسم ولا يقتل فهو السامة كالعقرب والزنبور. وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات كذا في «النهاية».

وقال: أي من عين تصيب بسوء، ويقول: «**هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق، وإسماعيل**»[2].

وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٤١٠/٦): «قوله: «**إن أباكما**» يريد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقوله: «**بكلمات الله**» قيل: المراد بها كلامه على الإطلاق».

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٦)، والبخاري [٣٣٧١]، وأبو داود [٤٧٣٧] والترمذي [٢١٥٣].

(٢) التحفة (٦/ ١٨٤).

قال الخطابي: «كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، قوله: «**وهامة**» واحدة الهوام ذوات السموام، وقيل: كل نسمة تهم بسوء، قوله: «**ومن كل عين لامة**» قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل. وقال أبو عبيد: أصله من ألممت إلمامًا، وإنما قال: «**لامة**» لأنه أراد أنها ذات لمم».

عن عبد الرحمن بن خنبش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جِبْرِيلُ، فَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، قُلت: وَمَا أَقُولُ؟ ، قَالَ: قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرَأَ وَذَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وبَرَأَ، ومن شر مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ، إلاَّ طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ**»[١] .

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: «**بِسْمِ الله يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ**»[٢] .

قال المناوي في (الفيض) (١٠٢/٥): «لأن كل عائن حاسد ولا عكس فلما كان الحاسد أعم كان تقديم الاستعاذة منه أهم، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعيون تصيبه تارة وتخطئه أخرى، فإن صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه أثرت فيه ولابد، وإن صادفته حذرًا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام خابت، فهو بمنزلة الرمي الحسي لكن هذا من النفوس والأرواح وذلك من الأجسام والأشباح، ولهذا قال ابن القيم: استعذ من الحاسد لأن روحه مؤذية للمحسود مؤثرة فيه أثرًا بينًا لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين؛ فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة تقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصة.

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٩)، والطبراني وابن السني [٦٣١]، وانظر (الصحيحة) [٨٤٠].

(٢) أخرجه أحمد [١٦٠١٦]، ومسلم [٢١٨٥].

والتأثير كما يكون بالاتصال قد يكون بالمقابلة وبالرؤية وبتوجه الروح وبالأدعية والرقى والتعوذات وبالوهم والتخييل وغير ذلك، وفيه ندب الرقية بأسماء الله وبالعوذ الصحيحة من كل مرض وقع أو يتوقع وأنه لا ينافي التوكل ولا ينقصه».

قال ابن كثير في (تفسيره) (٤١٢/٤): «روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة ابن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي: «أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتمًّا، فقال: يا محمد، ما هذا الغمّ الذي أراه في وجهك؟ قال: «**الحسن والحسين أصابتهما عين**»، قال: صدّق العين؛ فإن العين حقّ، أفلا عوّذتهما بهؤلاء الكلمات؟ قال: «**وما هنّ يا جبريل؟**» قال: قل: «**اللهم ذا السلطان العظيم، ذا المنّ القديم، ذا الوجه الكريم، ولي الكلمات التامات، والدعوات المستجابات، عافِ الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس**»، فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي ﷺ: «**عوِّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ؛ فإنه لم يتعوّذ المتعوذون بمثله**».

قال ابن القيم في (الطب) ص [١٦٨-١٧٠]: «فمن التعوذات والرقى للعين الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية:

نحو: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**».

ونحو: «**أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**».

ونحو: «**أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن**».

ومنها: «**اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم، وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك، سبحانك وبحمدك**».

ومنها: «**أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وأسماء الله الحسنى، ما علمت منها وما لم أعلم، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر كل ذي شر لا أطيق شره، ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، إن ربي على صراط مستقيم**».

ومنها: «**اللهم أنت ربي لا إله لا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لاحول ولا قوة إلا بالله، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم**».

وإن شاء الله قال: «**تحصنت بالله الذي لا إله إلا هو، إلهي وإله كل شيء، اعتصمت بربي ورب كل شيء، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوق، حسبي الرازق من المرزوق، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يُجار عليه، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم**».

ومن جرَّب هذه الدعوات والعوذ، عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العين، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه؛ فإنها سلاح، والسلاح بضاربه.

رقية القرح والجروح

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ بِأُصْبُعِه هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمّ رَفَعَهَا، وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهل والمراد بقوله: «تربة أرضنا» جميع الأرض أو أرض المدينة خاصة؟ فيه قولان، ولاريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة، ويشفي بها أسقامًا رديئة».

قال جالينوس: «رأيت بالإسكندرية مطحولين، ومستسقين، كثيرًا يستعملون طين مصر، ويطلون به على سوقهم، وأفخاذهم، وسواعدهم، وظهورهم، وأضلاعهم، فينتفعون به منفعة بينة. قال: وعلى هذا النحو فقد ينفع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهلة الرخوة، قال: وإني لأعرف قومًا ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل، وانتفعوا بهذا الطين نفعًا بينًا، وقومًا آخرين شفوا به أوجاعًا مزمنة كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنًا شديدًا، فبرأت وذهبت أصلًا. وإذا كان هذا في هذه التربات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها، وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ وقارنت رقيته باسم ربه، وتفويض الأمر إليه، وقد تقدم أن قوى الرقية وتأثيرها بحسب الراقي، وانفعال المرقي عن رقيته، وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم، فإن انتفى أحد الأوصاف فليقل ما شاء».

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (١٠/٢٠٥-٢٠٨): «قال ابن القيم: وهذه الكيفية لا ينتفع بها من أنكرها ولا من سخر منها أو فعلها مجربًا غير معتقد».

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٩٣)، والبخاري [٥٧٤٥-٥٧٤٦]، ومسلم [٢١٩٤]، وأبو داود [٣٨٩٥].

وقال أيضًا: «قال النووي: معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على أُصبعه السبابة، ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل أو الجريح قائلًا الكلام المذكور في حالة المسح».

وقال: «قال البيضاوي: قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلًا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ورفع الضرر بإذن الله، وأما الريق فهو يختص بالتحليل والإنضاج وإبراء الجرح والورم لاسيما من الصائم الجائع، ثم إن الريق والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها».

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال النووي: فيه استحباب النفث في الرقية، وقد أجمعوا على جوازه واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ثم إن الرقى والعزائم لها أثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها»[(١)].

سُئِل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن الحديث آنف الذكر «**تربة أرضنا**» فأجاب -حفظه الله- بقوله: «ذكر بعض العلماء أن هذا مخصوص برسول الله ﷺ وبأرض المدينة فقط وعلى هذا فلا إشكال.

ولكن رأي الجمهور أن هذا ليس خاصًّا برسول الله ﷺ ولا بأرض المدينة بل هو عام في كل راقٍ وفي كل أرض، ولكنه ليس من باب التبرك بالريق المجردة؛ بل هو ريق مصحوب برقية وتربة للاستشفاء وليس لمجرد التبرك»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، نقلًا من كتاب فتح الحق المبين [٢٥٩].

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين [١٠٩] من كتاب فتح الحق المبين [٢٥٩].

فصل

شروط الرقية الشرعية[١]

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب: «قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢- أن يكون باللسان العربي وبما يعرف معناه.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى»[٢].

قال ابن حجر في (الفتح) (٢٠٦/١٠): «قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع هذه الشروط».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (مجموع الفتاوى) (٢٧٧/٢٣): «وأما معالجة المصروع بالرقى والتعويذات فهذا على وجهين:

(أ) فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناه ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم بها الرجل داعيًا الله ذاكرًا له ومخاطبًا لخلقه ونحو ذلك فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ويعوذ، فإنه قد ثبت في (الصحيح) عن النبي ﷺ أنه أذن في الرقى، ما لم تكن شركًا. رواه مسلم [٢٢٠٠]، وقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[٣].

(ب) وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل: أن يكون فيها شرك أو كانت مجهولة المعنى يحتمل أن يكون فيها كفر -فليس لأحد أن يرقي بها ولا يعزم ولا يقسم، وإن كان الجن قد ينصرف عن المصروع بها فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه»[٤].

---

(١) هذا الفصل برمته منقول من غير بحث من كتاب فتح الحق المبين ص [٢٦-٢٧٦].

(٢) تيسير العزيز الحميد ص [١٦٧].

(٣) صحيح مسلم [٢١٩٩] عن جابر.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٧٧).

وقال في موضع آخر (١٩/١٣): «وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن.

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها؛ لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك.

وفي (صحيح مسلم) عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعْرِضُوا عَلَيّ رُقَاكُمْ، لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيه شِرْك**»[١].

وقال أيضًا (٢٤/٢٨٠): «وليس للعبد أن يدفع كل ضرر بما شاء ولا يجلب كل نفع بما يشاء؛ بل لا يجلب النفع إلا بما فيه تقوى الله، ولا يدفع الضرر إلا بما فيه تقوى الله، فإن كان ما يفعله في العزائم والأقسام، ونحو ذلك ما أباحه الله ورسوله فلا بأس به، وإن كان مما نهى الله عنه ورسوله لم يفعله».

وقال: «ولا يشرع الرقى بما لا يعرف معناه لا سيما إن كان فيه شرك؛ فإن ذلك محرم، وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرأون مع ذلك شيئًا من القرآن ويظهرونه ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله»[٢].

وسُئِل عمن يقول: يا أزران! يا كيان! هل صح أن هذه أسماء وردت بها السنة ولم يحرم قولها؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله.. لم ينقل هذه عن الصحابة أحد، لا بإسناد صحيح، ولا بإسناد ضعيف، ولا سلف الأمة، ولا أئمتها. وهذه الألفاظ لا معنى لها في كلام

(١) صحيح مسلم [٢٢٠٠].

(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص [٤٥].

العرب؛ فكل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقي به، فضلًا عن أن يدعو به ولو عرف معناها وأنه صحيح، لكره أن يدعو الله بغير الأسماء العربية»(١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به، فضلًا عن أن لا يحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا فليس من دين الإسلام»(٢).

قال النووي: «الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة لا نهي فيه، بل هو سُنة، وقد نقلوا الإجماع على جواز الرقى بالآيات وأذكار الله تعالى»(٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المازري: جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت باللغة الأعجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيها كفر»(٤).

قال ابن حجر في (الفتح): «قال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

١- ما كان يرقى به في الجاهلية وما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه؛ لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى شرك.

٢- ما كان بكلام الله أو أسمائه أو المأثور عن النبي ﷺ فهو مستحب وجائز.

٣- ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظَّم، فتركه أولى»(٥).

قلت: ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النقطة الثالثة بخصوص الرقية بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم واعتبار ذلك من أقسام الجواز بقوله: «فتركه أولى» مخالف للصواب،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٨٣).

(٢) فتح المجيد ص [١٣٦].

(٣) صحيح مسلم بالشرح (١٣-١٥/ ٣٤١).

(٤) صحيح مسلم بالشرح (١٣-١٥/ ٣٤١).

(٥) فتح الباري (١٠/ ١٩٦).

فقد أجمع أهل العلم على النهي عن الرقى بغير كتاب الله أو المأثور عن رسول الله ﷺ أو ما وافق الشروط الأساسية للرقية الشرعية كما تم الإشارة آنفًا، وقد تقصدت أن أورد كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع بالذات؛ لأجل أن لا يصبح كلام بعض أهل العلم الذي لم يوافق الصواب قنطرة يعبر عليها كل نطيحة مترديـة وأكيلة سبع وكل مُدَّعٍ للرقية، وأقول ما قاله الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلٌّ يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذه السارية»، فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الشيخ عطية محمد سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ معقبًا على النقطة الثالثة من كلام الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن تجنب هذا القسم الثالث واجب لأننا قدمنا أن الرقية «عوذة»، والعوذ لا يكون إلا بالله، وإذا استعذت فاستعذ بالله...»(١).

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): «قال ابن التين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع نزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، ويجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم، ويقال: إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب علماء الأمة»(٢).

---

(١) العين والرقية والاستشفاء ص [٦٤].

(٢) الفتح (١٠/ ١٩٦).

قال القرافي: «الرقى ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأدواء والأسباب المهلكة، ولا يقال لفظ الرقى على ما يحدث ضررًا، بل ذلك يقال له السحر، وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهم، وربما كان كفرًا، ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى بالعجمية لاحتمال أن يكون فيه محرم»(١).

قال العيني: «قال الخطابي: الرقية التي أمر بها رسول الله ﷺ هي ما يكون بقوارع القرآن، وبما فيه ذكر الله تعالى على ألسن الأبرار من الخلق الطاهرة النفوس، وهو الطب الروحاني، وعليه كان معظم الأمر في الزمان المتقدم الصالح أهله، فلما عزّ وجود هذا الصنف من أبرار الخليقة مال الناس إلى الطب الجسماني، حيث لم يجدوا للطب الروحاني نجوعًا في الأسقام؛ لعدم المعاني التي كان يجمعها الرقاة، وما نهي عنه هو رقية العزَّامين ومن يدعي تسخير الجن»(٢).

قال النووي: «قال الخطابي: وقد رقى النبي ﷺ وأمر بالرقية، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى فهى مباحة، وإنما جاءت الكراهية منها لما كان بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفرًا أو قولًا يدخله الشرك. ويحتمل أن يكون الذى كره من الرقية، ما كان منها على مذاهب الجاهلية في العوذ التي كانوا يتعاطونها ويزعمون أنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أنها من قبل الجن ومعونتهم»(٣).

قال الذهبي: «قال الخطابي: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهى مباحة فإن النبي ﷺ كان يرقي الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيقول: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمَنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**». وبالله المستعان وعليه التكلان(٤).

---

(١) الفروق (٤/ ١٤٧).

(٢) عمدة القارئ (١٧/ ٤٠٣).

(٣) شرح مسلم (١٥-١٤-١٣/ ٣٤٢).

(٤) الكبائر ص [١٧].

قال القاضي علي بن أبي العز الدمشقي: «واتفقوا على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به؛ لإمكان أن يكون فيه شرك ولا يعرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»(١).

قال الهيثمي: «وإن كانت العزيمة أو الرقية مشتملة على أسماء الله تعالى وآياته والإقسام به، جازت قراءتها على المصروع وغيره وكتابتها كذلك»(٢).

قال الشوكاني: «جواز الرقية بكتاب الله تعالى ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور»(٣).

قال صِدِّيق حسن خان: « إن كل عمل ودعاء ينشر المرض والداء، وينفع من الأسقام والأدواء يصدق أنه نشره، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسنة، أو من المأثور من السلف الصلحاء، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته، باللسان العربي، وإلا كان حرامًا أو شركًا»(٤).

قال الشيخ حافظ بن أحمد حَكَمي: «إن الرقى الممنوعة هي ما لم تكن من الكتاب ولا السنة، ولا كانت بالعربية، بل هي من عمل الشيطان واستخدامه، والتقرب إليه بما يحبه، كما يفعله كثير من الدجاجلة والمشعوذين والمخرفين، وكثير ممن ينظر في كتب الهياكل والطلاسم، كشمس المعارف، وشموس الأنوار، وغيرهما مما أدخله أعداء الإسلام عليه وليست منه في شيء، ولا من علومه في ظل ولا فيء»(٥).

(١) شرح الطحاوية ص [٥٧٠].

(٢) الفتاوى الحديثية ص [١٢٠].

(٣) نيل الأوطار (٣/ ٢٩١).

(٤) الدين الخالص (٢/ ٣٤٣).

(٥) أعلام السنة المنشورة ص [١٥٥].

قال العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن رسول الله ﷺ دخل على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»، وفي الحديث مشروعية الترقية بكتاب الله تعالى ونحوه مما ثبت عن النبي ﷺ من الرقى، كما ثبت عن الشفاء قالت: دخل علينا النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «**ألا تعلِّمين هذه رقية النملة كما علَّمتيها الكتابة؟**»[(١)]، وأما غير ذلك من الرقى فلا تشرع، لاسيما ما كان منها مكتوبًا بالحروف المقطعة والرموز المغلقة التي ليس لها معنى سليم ظاهر، كما ترى أنواعًا كثيرة منها في الكتاب المسمى بـ(شمس المعارف الكبرى) ونحوه[(٢)].

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: «فالرقية الشرعية هي التي يكون فيها توحيد الله جَلَّ وَعَلَا استعانة واستعاذة وفيها الإقبال على الله جَلَّ جَلَالُهُ دونما سواه، ولهذا قال العلماء: إن الرقية تجوز بشروط ثلاثة وذكر -حفظه الله- هذه الشروط كما بينها العلماء»[(٣)].

وقال أيضًا: «والرقية لابد أن تكون باللغة العربية وهذا شرط من شروط شرعيتها أو بما يفهم معناه من غير العربية، وإذا كانت باللغة العربية يجب أن تكون معلومة المعنى.. ليست كلمات متقاطعة وكلمات لا يعرف معناها وأسماء مجهولة.. فلا بد أن تكون الرقية بأسماء الله جَلَّ وَعَلَا وصفاته أو بما أُبيح من الأدعية التي فيها التوسل بأسماء الله وصفاته.. ولا يكون في الرقية أسماء مجهولة.. وقد سُئِل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الرقية التي فيها

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦-٥٧)، والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٦٦)، كتاب الطب [٣٨] برقم [٧٥٤٣]، السلسلة الصحيحة ص [١٧٨].

(٢) السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٦٦).

(٣) مجلة الدعوة، صفحة [٢١] العدد [١٦٨٣] من ذي القعدة ١٤١٩هـ.

أسماء مجهولة، فقال: وما يدريك لعلها كفر» بمعنى أن تكون الرقية بأسماء شياطين أو ملائكة فينادون ويتقرب بهم ويتوسلون بهم فيكون ذلك كفرًا»[(١)].

قال الدكتور إبراهيم بن محمد البريكان حَفِظَهُ اللَّهُ: «ويُشترط للرقى المباحة عدة شروط هي:

أولا – أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه، أو صفاته، أو بالأدعية النبوية المأثورة عنه في ذلك.

ثانيًا – أن تكون باللسان العربي.

ثالثًا – أن تكون مفهومة المعنى.

رابعًا – ألا تشتمل على شيء غير مباح، كالاستغاثة بغير الله أو دعاء غيره، أو اسم للجن، أو ملوكهم ونحو ذلك.

خامسًا – ألا يعتمد عليها.

سادسًا – أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها، بل بإذن الله القدري.

فإن اختل شرط من تلك الشروط فهي رقية محرمة، فإن اعتقد أنها الفاعلة أو سبب مؤثر كان ذلك كفرًا أكبر، وإن اعتقد مقارنتها للشفاء كان ذلك شركًا أصغر.

وعليه، فالرقى على قسمين: رقى شرعية: وهي ما توفرت فيها الشروط المتقدمة، ورقى بدعية: وهي ما اختل فيها شرط من شروط الرقية الشرعية، وهي:

أولًا – ما كانت بغير العربية.

ثانيًا – ما كانت غير مفهومة المعنى.

ثالثًا – إذا اشتملت على الشرك،أو أسماء للجن، أو ملوكهم، وما لا معنى له من حروف مقطعة، أو نحوها.

---

(١) مجلة الدعوة، صفحة [٢١] العدد [١٦٨٣] من ذي القعدة ١٤١٩هـ.

رابعًا - أن يعتقد أنها مؤثرة بذاتها، حتى لو كانت مما توفرت فيها شروط الرقى الشرعية.

وأفضلها ما كان من القرآن الكريم؛ لقوله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ ومن ثمَّ ما كان من الأدعية النبوية»[١].



(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ص [١٥٢]، وراجع كتاب فتح الحق المبين [٢٧٢-٢٧٣] فيه زيادة، جزى الله مؤلفه خيرًا.

الأدويــة



باب التداوي

أعلم أن هذا الباب واسع جدًّا ويحتاج إلى مصنف مستقل؛ لكي يستوعب ما جاء في القرآن والسنة من أدوية، ولكن لا أحتاج إلى هذا هنا، إنما أذكر في هذا الباب ما يتسع المقام لذكره، ثم ما يهم أدوية السحر والعين والمس فقط؛ لأنه متصل بما سبق من الأبواب.

وفي هذا الباب أذكر أولًا فضل المرض، وإن كنت أفردتُ له كتابًا لكن لا مانع من ذكر بعض هذه الأحاديث كمدخل للتداوي، ثم أذكر فضل الصرع وفضل الصابر المحتسب، ثم أذكر بعض الأدوية النافعة -إن شاء الله- للسحر والحسد والمس، ثم أذكر معه بعض ما جُرب في علاج السحر والحسد والمس، ثم أذكر من طَبَّبَ ولم يُعرف عنه ذلك.



بعض الأحاديث الواردة في فضل المرض والصرع

١- عن صُهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فَكَانَ خَيْرًا لهُ**»[(١)].

٢- عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ حَمِدَ اللهَ وَشَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ حَمِدَ اللهَ وَصَبرَ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْجَرُ فِى كُلِّ أَمْرِهِ، حَتَّى فِى اللُّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ**»[(٢)].

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[(٣)].

قال الحافظ في (الفتح) (١٠/١٣٤): «وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن؛ لأن الآدمي لا ينفك غالبًا من ألم بسبب مرضي، أو همٍّ، أو نحو ذلك مما ذُكر، ولأن الأمراض والأوجاع والآلام -بدنية كانت أو قلبية- تُكفِّر ذنوب من تقع له.

وسيأتي ما رواه البخاري [٥٦٤٧] من حديث ابن مسعود: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً إلاّ حاتَّ الله عنهُ خَطَاياه**»، وظاهره تعميم جميع الذنوب، لكن الجمهور خصّوا ذلك بالصغائر، وقوله: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**» قال أبو عبيد الهروي: معناه: «يبتليه بالمصائب ليُثيبه عليها»، وقال غيره: «معناه: يُوجِّه إليه البلاء فيصيبه».

أقول: إن الله - تعالى - اختص من عباده أقوامًا واصطفاهم بالخيرية فعلَّمهم القرآن، كما قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، وهو في (الصحيحين)

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٢-٣٣٣)، ومسلم [٢٩٩٩]، والدارمي [٢٧٧٧] وغيرهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ١٨٢)، والطيالسي [٢١١]، وعبدالرزاق (١١/ ١٩٧)، ومحمد بن حمد [١٣٩، ١٤٣]، والنسائي في اليوم والليلة [١٠٦٧].

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٣)، وابن حبان [٢٩٧٠]، والبيهقي في الشعب [٩٧٨٠].

عن معاوية؛ فهؤلاء خصَّهم الله تعالى وأراد لهم الخير فعلمهم القرآن والسنة، وهؤلاء هم خيرة أهل الأرض من الناس بعد النبيين والمرسلين، فكذلك خصَّ الله تعالى قومًا بالخيرية فابتلاهم بالأمراض والأوجاع وذلك ليكفّر عنهم سيئاتهم وليقربهم إليه وليرفع لهم الدرجات يحط عنهم الخطايا، وهذه الخيرية زيادة في الحب وزيادة في القرب، فمن أراد الله به خيرًا ابتلاه؛ وذلك ليقربه وليرفع درجته، والله أعلم.

٤- وعن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أحبَّ الله تعالى قَوْمًا ابتلاهم، فمَن صَبَر فَلَهُ الصبر، ومن حَرِجَ فَلَهُ الحَرَجُ**»، وفي رواية أحمد: «**ومن جزع فله الجزع**»[(١)]، وله شواهد منها:

٥- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إنّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عظمِ الْبَلاَء، وَإِنّ الله إِذَا أَحَبّ قَوْماً ابْتَلاَهُم فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخَطُ**»[(٢)].

٦- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما مِنْ مرضٍ أو وجعٍ، يُصيبُ المؤمنَ إلاّ كان كفارة لذنبه حتى الشوكة**»[(٣)].

٧- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا فوقه إِلَّا حَطَّ الله خَطَايَاهُ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرُ وَرَقَهَا**»، وهو في (الصحيحين) كما سيأتي.

٨- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إلاَّ رَفَعهُ الله بِهَا دَرَجَةً وَحَطّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) [٤٢٩].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي [٢٣٩٦]، وابن ماجه [٤٠٣١]، وانظر: الصحيحة [١٤٦]. فأضاف هذا الحديث الحب مع الخيرية، فمن أحبهم الله واختارهم ابتلاهم، وهذا زيادة في القرب وزيادة في الرفعة.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٣) فتح، ومسلم [٢٥٧٢]، وأحمد (٦/ ٨٨-١٢٠).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٤٢-٤٣)، ومسلم [٢٥٧٢]، والترمذي [٢٦٥].

أشد الناس بلاءً الأنبياء

٩- عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعُوكٌ قلت: مَنْ أشدُّ الناس بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يُبْتَلى بالقمل حتى يقتلَهُ، ولأَحدُهُم كان أشدَّ فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء**»[(١)].

وفي رواية ابن ماجه: «عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وضعتُ يدي على النبي ﷺ فوجدتُ الحُمّى شديدةً من فوق الثوب، فقلتُ: يا رسول الله، إنها عليك شديدةٌ، فقال: «**إنا كذلك معاشر الأنبياء يُضاعف لنا البلاء، كما يُضَاعَفُ الأجر**»، قلت: يا رسول الله، أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**»، قلت: ثم مَنْ؟ قال: «**ثم الصالحون، وإن كان أحدُهم ليُبتلى حتى ما يجدُ إلاّ العباءة يجُوبُها، وإن كان أحدُهُم ليُبْتَلى بالقُمَّل، وإن كان ليفرح بالبلاء يُصيبُهُ كما يفرحُ أحدكم بالغائب أو بالرَّخاءِ**».

١٠- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعكُ وعكًا شديدًا، قال: «**إنِّي أُوْعكُ وعك رجلين منكم**»، قلت: «**ذاك بأن لك أجرين**»[(٢)].



---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن سعد (٢/ ٢٠٨)، والبخاري في الأدب المفرد [٥١٠]، وابن ماجه [٤٠٢٤]، والطحاوي مشكل (٣/ ٦٤)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١١٠) فتح، ومسلم (٢٥٧١/ ٤٥)، وأحمد (١/ ٣٨١).

فضل من صبر على الصرع

١١- عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسلم يُصْرَعُ صَرْعَةً مِنْ مَرَضٍ إِلَّا بُعث مِنْهَا طَاهِرًا**»[١].

١٢- عن عطاء بن أبي رباح قال: «قال ابن عباس: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْـمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسول الله، إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ الله لِي، فَقَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ الله أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا»[٢].

قال الإمام المحقق ابن القيم في (زاد المعاد) (٤/٦٦-٧١): «قلت: الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني: هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه، وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج، وأما جهلة الأطباء وسَقَطُهم وسفلتهم، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهد به، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط، هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني [٧٤٨٥]، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات [٢٣]، والبيهقي في الشعب [٩٩٢٢]، وصححه المنذري والألباني.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١١٤)، ومسلم [٢٥٧٦]، وأحمد (١/ ٣٤٧)، وغيرهم.

وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع: المرض الإلهي، وقالوا: إنه من الأرواح، وأما جالينوس وغيره، فتأولوا عليهم هذه التسمية، وقالوا: إنما سموه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس، فتضر بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ.

وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها، وتأثيراتها، وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده.

ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم.

وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلبُ واللسان، فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويًّا، فمتى تخلف أحدهما لم يُغنِ السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعًا: يكون القلب خرابًا من التوحيد، والتوكل، والتقوى، والتوجه، ولا سلاح له، والثاني من جهة المعالج، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا، حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: «اخرج منه»، أو يقول: «بسم الله»، أو يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، والنبي ﷺ كان يقول: «**اخرج عدو الله، أنا رسول الله**». وشاهدتُ شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لكِ الشيخ: اخرجي؛ فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا.

وكان كثيرًا ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته، قال: فأخذت له عصا، وضربته بها في عروق عنقه حتى كَلَّتْ يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب. ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: قلت: لا ولكن طاعة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينًا وشمالًا، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال: وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضرب ألبتة.

وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويذ، والتحصينات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانًا فيؤثر فيه هذا.

ولو كشف الغطاء، لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة، وبالله المستعان.

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه، ويستحضر أهل الدنيا، وحلول المثلات والآفات بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صرعى لا يفيقون، وما أشد داء هذا الصرع، ولكن لما عمت البلية به بحيث لا يرى إلا مصروعًا، لم يصر مستغربًا ولا مستنكرًا، بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافه.

فإذا أراد الله بعبد خيرًا أفاق من هذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يمينًا وشمالًا على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من أطبق به الجنون، ومنهم من يفيق أحيانًا قليلة، ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفيق مرة، ويجن أخرى، فإذا أفاق عَمِل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرع فيقع في التخبط.



فصل

وأما صرع الأخلاط، فهو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب منعًا غير تام، وسببه خلط غليظ لزج يسد منافذ بطون الدماغ سدة غير تامة فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذًا تامًّا من غير انقطاع بالكلية، وقد تكون لأسباب أخر كريح غليظ يحتبس في منافذ الروح، أو بُخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبًا، بل يسقط ويظهر في فيه الزبد غالبًا.

وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر برئها، لاسيما إن تجاوز في السن خمسًا وعشرين سنة، وهذه العلة في دماغه، وخاصة في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازمًا. قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا.

إذا عرف هذا، فهذه المرأة التي جاء في الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها النبي ﷺ الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها أن لا تتكشف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة.

وفي ذلك دليل على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله، وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جربنا هذا مرارًا نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها، في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم، وسفلتهم،

وجهالهم. والظاهر: أن صرع هذه المرأة كان من هذا النوع، ويجوز أن يكون من جهة الأرواح، ويكون رسول الله ﷺ قد خيرها بين الصبر على ذلك مع الجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء، فاختارت الصبر والستر، والله أعلم. اهـ

رجل لم يمرض قط

١٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «**هَلْ أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَمٍ قَطُّ؟**»، قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: «**حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحم**»، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: «**فَهَلْ صُدعتَ قَطُّ؟**»، قَالَ: وَمَا هَذَا الصُّدَعُ؟ قَالَ: «**عِرقٌ يَضْرِبُ فِي الرَّأْسِ**»، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّه أن ينظر إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»(١).

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في (مسنده) عن أبي عثمان النهدي قال: دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ جَسِيمٌ -أَوْ جُسْمَان عَظِيمٌ- فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَتَى عَهْدُكَ بِالْحُمَّى؟**» قَالَ: لاَ أَعْرِفُهَا، قَالَ: «**فَالصُّدَاعُ؟**» قَالَ: لاَ أَدْرِي مَا هُوَ! قَالَ: «**فَأُصِبْتَ بِمَالِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَرُزِئْتَ بِوَلَدِكَ؟**» قَالَ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الله يبغض الْعِفْرِيتَ النِّفْرِيتَ الَّذِي لاَ يُرزأ فِي وَلَدِهِ، وَلاَ يُصَابُ فِي مَالِهِ**»(٢).

مَثَلُ المؤمن ومَثَل المُنافق

١٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَثَل المؤمن مَثَل خامة الزرع، لا تزال الريح تُمِيلُه، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومَثَل المنافق كمَثَل شجرة الأرز، لا تهتزُّ حتى تستحصد**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد [٤٩٥]، والنسائي في الكبرى [٣٥٣١٤]، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان [٧٠٣]، والحاكم (١/ ٣٤٧)، وهو صحيح، وصححه الألباني.

(٢) مرسل إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٤-٢٨٣)، والبخاري (١٠/ ١٠٣)، (١٣/ ٤٤٦)، ومسلم [٢٨٠٩]، والترمذي [٢٨٦٦] وغيرهم.

١٥- وعن كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ تُفيئُهَا الرِّيحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْذِبَةِ عَلَى أُصُولِهَا لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً**»(١).

أجر المسترجع على المصيبة

والمصيبة: مرض، أو صرع، أو سحر، أو لبس، أو حسد، أو موت، ويمكن لهذه الأمراض السابقة أن تؤدي إلى الموت وأسرعها إلى الموت هو الحسد، ثم السحر، ثم المرض، والصَّرَع.

١٦- عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ تعالى: «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِى فِى مُصِيبَتِى وَأَخْلِفْ لِى خَيْرًا مِنْهَا إلا أخلف الله له خيرًا منه**»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم قُلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/١٨٩-١٩٦) في هديه ﷺ في علاج حرِّ المصيبة وحُزنها: «قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧]، وفي (المسند) عنه ﷺ أنه قال: «**ما من أحدٍ تُصيبه مصيبة فيقول: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِى فِى مُصِيبَتِى وَأَخْلِفْ لِى خَيْرًا مِنْهَا، إلا أجاره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٤) والبخاري (١٠/ ١٠٣) ومسلم [٢٨١٠] والدارمي (٢/ ٣١٠).

(٢) أخرجه مالك (١/ ٢٣٦/ ٤٢)، وأحمد (٦/ ٣١٣-٣١٧)، ومسلم [٩١٨]، وأبو داود [٣١١٩]، وابن ماجه [١٥٩٨]، وغيرهم.

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته؛ فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلَّى عن مصيبته.

أحدهما - أن العبد وأهله وماله ملك لله عَزَّوَجَلَّ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضًا فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه، حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له فيه تأثير، ولا ملك حقيقي، وأيضًا فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي، لا تصرف الملاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني - أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا كما خلقه أوَّل مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خُوِّله ونهايته، فكيف يفرح بموجود، أو يأسى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به، فيجد ربه قد أبقى عليه مثله، أو أفضل منه، وادخر له -إن صبر ورضي- ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعافٍ مُضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

ومن علاجه أن يُطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل وادٍ بنو سعد، ولينظر يمنة، فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يسرة، فهل يرى إلا حسرة؟، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن ضحكت قليلًا، أبكت كثيرًا، وإن سَرَّت يومًا، ساءت دهرًا، وإن متعت قليلًا، منعت طويلًا، وما ملأت دارًا خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سرته بيومِ سرور إلا خبأت له يومَ شرور، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لكل فرحة ترحة، وما مُلئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا. وقال ابن سيرين: ما كان ضَحِك قطُّ إلا كان من بعده بُكاء.

وقالت هند بنت النعمان: لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًا، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس، وأنه حق على الله ألاَّ يملأ دارًا خيرة إلا ملأها عبرة.

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها، فقالت: أصبحنا ذا صباح، وما في العرب أحد إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا.

وبكت أختها حرقة بنت النعمان يومًا، وهي في عزها، فقيل لها: ما يبكيك، لعل أحدًا آذاك؟ قالت: لا، ولكن رأيت غضارة في أهلي، وقلما امتلأت دارٌ سرورًا إلا امتلأت حُزنًا.

قال إسحاق بن طلحة: دخلتُ عليها يومًا، فقلت لها: كيف رأيت عبرات الملوك؟ فقالت: ما نحنُ فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس، إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيُعقَبون بعدها عبرة، وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه، ثم قالت:

فبينا نَسُوسُ الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع لا يردها، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة من تزايد المرض.

ومن علاجها أن يعلم أن فوت ثواب الصبر، والتسليم، وهو الصلاةُ والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر، والاسترجاع، أعظم من المصيبة في الحقيقة.

ومن علاجها أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانه، ورده خاسئًا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها أن يعلم أن ما يُعقبه الصبرُ والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يُبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه، فلينظر: أي المصيبتين أعظم؟ مصيبة العاجلة، أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد. وفي (الترمذي) مرفوعًا: «**يَوَدّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بالمقَارِيضِ فِي الدّنْيَا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ**».

وقال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس».

ومن علاجها أن يروِّح قلبه بروح رجاء الخُلْف من الله؛ فإنه من كل شيء عوض إلا الله، فما منه عوض كما قيل:

من كل شيء إذا ضيعته عوض ... وما من الله إن ضيعته عوض

ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له، فمن رضي، فله الرضى، ومن سخط، فله السخط، فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر خير الحظوظ أو شرها،

فإن أحدثت له سخطًا وكفرًا، كتب في ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعًا وتفريطًا في ترك واجب، أو فعل محرم، كتب في ديوان المفرطين، وإن أحدثت له شكاية، وعدم صبر، كتب في ديوان المغبونين، وإن أحدثت له اعتراضًا على الله، وقدحًا في حكمته، فقد قرع باب الزندقة أو ولجه، وإن أحدثت له صبرًا وثباتًا لله، كتب في ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله، كتب في ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمد والشكر، كتب في ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمَّادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقًا إلى لقاء ربه، كتب في ديوان المحبين المخلصين.

وفي (مسند الإمام أحمد) و(الترمذي) من حديث محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يرفعه: «**وَإِنّ الله إِذَا أَحَبّ قَوْمًا ابْتَلاَهُم فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السّخَطُ**» زاد أحمد: «**ومن جزع فله الجزع**».

ومن علاجها أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا مثاب. قال بعض الحكماء: العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سُلُوَّ البهائم، وفي (الصحيح) مرفوعًا: «**الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولى**».

وقال الأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا، وإلا سلوت سلو البهائم.

ومن علاجها أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخط ما يحبه، وأحب ما يسخطه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقت إلى محبوبه.

وقال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاء، أحب أن يرضى به، وكان عمران بن حصين يقول في علته: أَحَبُّه إليَّ أَحَبُّه إليه، وكذلك قال أبو العالية.

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين، ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به.

ومن علاجها أن يوازن بين أعظم اللذتين، والتمتعين، وأدومهما. لذة تمتعه بما أصيب به، ولذة تمتعه بثواب الله له، فإن ظهر له الرجحان، فآثر الراجح، فليحمد الله على توفيقه، وإن آثر المرجوح من كل وجه، فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه.

ومن علاجها أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؛ وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، أو ليعذبه به، أو ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه.

قال الشيخ عبد القادر: يا بني، إن المصيبة ما جاءت لتهلكك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، يا بني! القدر سبع، والسبع لا يأكل الميتة.

والمقصود: أن المصيبة كِير العبد الذي يسبك به حاصله، فإما أن يخرج ذهبًا أحمر، وإما يخرج خبثًا كله، كما قيل:

سبكناه ونحسبه لجينا فأبدى الكِير عن خبث الحديد

فإن لم ينفعه هذا الكير في الدنيا، فبين يديه الكير الأعظم، فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك، وأنه لابد من أحد الكيرين، فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل.

ومن علاجها أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد -من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب- ما هو سبب هلاكه عاجلًا وآجلًا، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه، كما قيل:

فلولا أنه -سبحانه- يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء، لطغوا، وبغوا وعتوا، والله -سبحانه- إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفَّاه، أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه.

وَمِنْ عِلَاجِهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا هِيَ بِعَيْنِهَا حَلَاوَةُ الْآخِرَة، يَقْلِبُهَا اللهُ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ، وَحَلَاوَةَ الدُّنْيَا بِعَيْنِهَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ، وَلَأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَرَارَةٍ مُنْقَطِعَةٍ إِلَى حَلَاوَةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ، فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْك هَذَا، فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ: «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**».

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ تَفَاوَتَتْ عُقُولُ الْخَلَائِقِ، وَظَهَرَتْ حَقَائِقُ الرِّجَالِ، فَأَكْثَرُهُمْ آثَرَ الْحَلَاوَةَ الْمُنْقَطِعَةَ عَلَى الْحَلَاوَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ مَرَارَةَ سَاعَةٍ لِحَلَاوَةِ الْأَبَدِ، وَلَا ذُلَّ سَاعَةٍ لِعِزِّ الْأَبَد، وَلَا مِحْنَةَ سَاعَةٍ لِعَافِيَةِ الْأَبَد، فَإِنَّ الْحَاضِرَ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ، وَالْمُنْتَظَرَ غَيْبٌ، وَالْإِيمَانُ ضَعِيفٌ، وَسُلْطَانُ الشَّهْوَةِ حَاكِمٌ، فَتَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ إِيثَارُ الْعَاجِلَةِ، وَرَفْضُ الْآخِرَةِ، وَهَذَا حَالُ النَّظَرِ الْوَاقِعِ عَلَى ظَوَاهِرِ الْأُمُورِ، وَأَوَائِلِهَا وَمَبَادِئِهَا، وَأَمَّا النَّظَرُ الثَّاقِبُ الَّذِي يَخْرِقُ حُجُبَ الْعَاجِلَةِ، وَيُجَاوِزُهُ إِلَى الْعَوَاقِبِ وَالْغَايَاتِ فَلَهُ شَأْنٌ آخَرُ.

فَادْعُ نَفْسَك إِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ مِنْ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالْفَوْزِ الْأَكْبَرِ، وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الْبِطَالَةِ وَالْإِضَاعَةِ مِنْ الْخِزْيِ وَالْعِقَابِ وَالْحَسَرَاتِ الدَّائِمَةِ، ثُمَّ اخْتَرْ أَيَّ الْقِسْمَيْنِ أَلْيَقَ بِك، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَصْبُو إِلَى مَا يُنَاسِبُهُ، وَمَا هُوَ الْأَوْلَى بِهِ، وَلَا تَسْتَطِلْ هَذَا الْعِلَاجَ، فَشِدَّةُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ مِنْ الطَّبِيبِ وَالْعَلِيلِ دَعَتْ إِلَى بَسْطِهِ، وَبِاَللهِ التَّوْفِيقُ» اهـ.

الداء من قدر الله عَزَّوَجَلَّ

١٧- عن ابن أبي خُزامة عن أبيه قال: قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ دَوَاءً نَتَدَاوَى به، ورُقًى نَسترقي بها، وتُقًى نتَّقيها، أَتَرُدُّ مِن قَدَرِ الله شيئًا؟ قال: «**إنها من قَدَر الله** عَزَّوَجَلَّ»[١].

ما أنزل الله من داء إلاّ وله دواء

١٨- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ الله دَاءً إلا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»[٢].

١٩- عن أسامة بن شريك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَ الله لم يُنْزل دَاءً،إلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً إِلاَّ الْهَرَمَ**»[٣].

٢٠- عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إنّ الله لَمْ يُنْزِلْ دَاءً، إلّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»[٤].

لكل داءٍ دواء

٢١- عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ الله تعالى**»[٥].

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُٱللَّهُ فِي (زاد المعاد) (٤/١٥-١٧) بعد ذِكر بعض أحاديث هذا الباب: «فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٢١)، والترمذي، وابن ماجه، وهو حسن.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٣٤) فتح، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٩)، وابن ماجه [٤٣٣٩].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، والطيالسي [١٢٣٢]، والحميدي [٨٢٤]، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد [٢٩١]، وأبو داود [٣٨٥٥]، والنسائي [٧٥٥٣-٧٥٥٤]، والترمذي [٢٠٣٨]، وابن ماجه [٣٤٣٦]، وغيرهم، وصححه الألباني.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٧، ٤١٣)، والحميدي [٩٠]، وابن ماجه [٣٤٣٨]، وغيرهم، وصححه الألباني.

(٥) [أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٥)، ومسلم [٢٢٠٤]، وابن حبان [٦٠٦٣]، وغيرهم].

من أنكرها، ويجوز أن يكون قوله: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ**»، على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة، والأدواء التي لا يمكن لطبيب أن يبرئها، ويكون الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر، ولم يجعل لهم إليه سبيلًا؛ لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله، ولهذا علق النبي ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء، فإنه لا شيء من المخلوقات إلا له ضِد، وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده، فعلق النبي ﷺ البُرْءَ بموافقة الداء للدواء، وهذا قدر زائد على مجرد وجوده؛ فإن الداء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكمية على ما ينبغي، نقله إلى داء آخر، ومتى قصر عنها لم يفِ بمقاومته، وكان العلاج قاصرًا، ومتى لم يقع المداوي على الداء، أو لم يقع الدواء على الداء، لم يحصل الشفاء، ومتى لم يكن الزمان صالحًا لذلك الدواء، لم ينفع، ومتى كان البدن غير قابل له، أو القوة عاجزة عن حمله، أو ثَم مانع من تأثيره، لم يحصل البرء لعدم المصادفة، ومتى تمت المصادفة حصل البرء بإذن الله ولا بد، وهذا أحسن المحملين في الحديث.

والثاني - أن يكون من العام المراد به الخاص، لا سيما والداخل في اللفظ أضعاف أضعاف الخارج منه، وهذا يُستعمل في كل لسان، ويكون المرادُ أن الله لم يضع داءً يقبل الدواء إلا وضع له دواء، فلا يدخل في هذا الأدواء التي لا تقبل الدواء، وهذا كقوله تعالى في الريح التي سلطها على قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي: كل شيء يقبل التدمير، ومن شأن الريح أن تدمره، ونظائره كثيرة.

ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم، ومقاومة بعضها لبعض، ودفع بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، تبين له كمال قدرة الرب تعالى، وحكمته، وإتقانه ما صنعه، وتفرده بالربوبية، والوحدانية، والقهر، وأن كل ما سواه فله ما يُضاده ويمانعه، كما أنه الغني بذاته، وكل ما سواه محتاج بذاته.

وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافى دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا.

وفيها رد على من أنكر التداوي، وقال: إن كان الشفاء قد قُدر، فالتداوي لا يفيد، وإن لم يكن قد قدر، فكذلك، وأيضًا، فإن المرض حصل بقدر الله، وقدر الله لا يدفع ولا يرد، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله ﷺ. وأما أفاضل الصحابة، فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا، وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى، فقال: هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله، فما خرج شيء من قدره، بل يُرَدُّ قدره بقدره، وهذا الردُّ من قدره، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما، وهذا كردِّ قدر الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، وكردِّ قدر العدو بالجهاد، وكلٌّ من قدر الله: الدافع والمدفوع والدفع.

ويقال لمورِد هذا السؤال: هذا يوجب عليك أن لا تباشر سببًا من الأسباب التي تجلب بها منفعة، أو تدفع بها مضرة؛ لأن المنفعة والمضرة إن قدرتا، لم يكن بد من وقوعهما، وإن لم تقدرَّا لم يكن سبيل إلى وقوعهما، وفي ذلك خراب الدين والدنيا، وفساد العالم، وهذا لا يقوله إلا دافع للحق، معاند له، فيذكر القدر ليدفع حجة المحق عليه، كالمشركين الذين قالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] و: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [النحل: ٣٥]، فهذا قالوه دفعًا لحجة الله عليهم بالرسل.

وجواب هذا السائل أن يقال: بقي قسم ثالث لم تذكره، وهو أن الله قدر كذا وكذا بهذا السبب، فإن أتيت بالسبب حصل المسبب، وإلا فلا.

فإن قال: إن كان قدر لي السبب، فعلته، وإن لم يقدره لي لم أتمكن من فعله.

قيل: فهل تقبل هذا الاحتجاج من عبدك، وولدك، وأجيرك إذا احتج به عليك فيما أمرته به، ونهيته عنه فخالفك؟ فإن قبلته، فلا تَلُمْ من عصاك، وأخذ مالك، وقذف عرضك، وضيع حقوقك، وإن لم تقبله، فكيف يكون مقبولًا منك في دفع حقوق الله عليك؟! وقد روي في أثر إسرائيلي: أن إبراهيم الخليل قال: «**يا رب ممن الداء؟**» قال: «**مني**»، قال: «**فممن الدواء؟**»، قال: «**مني**»، قال: «**فما بال الطبيب؟**»، قال: «**رجلٌ أُرسل الدواء على يديه**».

وفي قوله ﷺ: «**لكل داءٍ دواء**» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح، قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته.

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه. وأمراض الأبدان على وزان أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضًا إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الداء واستعمله، وصادف داء قلبه، أبرأه بإذن الله تعالى» اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل في التداوي

١- التداوي بالعسل:

٢٢- عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: جاءنا جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أهلنا ورجل يشتكي خُراجًا -أو به جراحًا- فقال: ما تشتكي؟ قال: خُرَّاج بي قد شقَّ عليَّ، فقال: يا غلامُ، ائتني بحجَّام، فقال له: ما تصنعُ بالحجَّام يا أبا عبد الله؟ قال: أريد أن أعلِّق فيه محجمًا، قال: والله إن الذُّباب ليصيبني، أو يُصيبني الثوب فيؤذيني ويَشقُّ عليَّ، فلما رأى تبرُّمَهُ من ذلك قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إِنْ كَانَ فِى أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ - أَوْ يَكُونُ - فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ دَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِي»**(١).

وزاد بعضهم فقال: **«فجاء بحَجَّام فشرطه، فذهب عنه ما يجد»**.

٢٣- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الْكَيِّ»**(٢).

٢٤- وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ شِفَاءٌ فَفِي ثَلاثٍ: فِي شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَةٍ مِنْ مِحْجَمٍ، أَوْ كَيَّةٍ مِنْ نَارٍ يُصِيبُ أَلَمًا، وَأَنَا أَكْرَهُ الْكَيَّ، وَلاَ أُحِبُّهُ»**(٣).

٢٥- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اسْقِهِ عَسَلا»** فَسَقَاهُ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: إِنِي سَقَيْتُهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اسْقِهِ عَسَلا»** فَقَالَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَاءَ الرَّابِعة، فَقَالَ: **«اسْقِهِ عَسَلا»** فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتِطْلَاقًا، فَقَالَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣)، والبخاري (١٠/ ١٣٩-١٥٣، ١٥٤)، ومسلم [٢٢٠٥].

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٤٥-٢٤٦)، والبخاري (١٠/ ١٣٦-١٣٧) فتح، وابن ماجه [٣٤٩١]، وغيرهم.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد [١٤٧٤]، وأبو يعلى (٣/ ٣٠٠)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٧٩٦)، وغيرهم.

رَسُولُ الله ﷺ: «صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ»، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[(١)].

٢٦- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِالشِّفَائَيْنِ: الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ**»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٤/٣٣-٣٦): «والعسل فيه منافع عظيمة؛ فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للرطوبات أكلًا وطِلاءً، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه باردًا رطبًا، وهو مغذٍّ ملين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة، مُنَق للكبد والصدر، مدرٌّ للبول، موافق للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شرب حارًّا بدُهن الورد، نفع من نهش الهوام، وشرب الأفيون، وإن شرب وحده ممزوجًا بماء نفع من عضة الكلب الكَلِب، وأكل الفطر القتال، وإذا جعل فيه اللحم الطري، حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جُعل فيه القثاء، والخيار، والقرع، والباذنجان، ويحفظ كثيرًا من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويُسمى الحافظ الأمين. وإذا لطخ به البدن المقمل والشعر، قتل قمله وصئبانه، وطوَّل الشعر، وحسنه، ونعَّمه، وإن اكتحل به، جلا ظلمة البصر، وإن استن به، بيض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويدر الطمث، ولعقه على الريق يذهب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويسخنها تسخينًا معتدلًا، ويفتح سددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقل ضررًا لسدد الكبد والطحال من كل حلو.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٣٩-١٦٨) فتح، ومسلم [٢٢١٧]، والترمذي [٢٠٨٢]، وأحمد (٣/ ١٩، ٩٢) وأبو يعلى [١٢٦١] وغيرهم.

(٢) **إسناده صحيح موقوف**: أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٥)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢/ ١)، والحاكم (٤/ ٢٠٠)، وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ١٧٠): رجاله رجال الصحيح، وجاء مرفوعًا عنه، أخرجه ابن ماجه [٣٤٥٢]، والحاكم (٤/ ٢٠٠)، والبيهقي (٩/ ٣٤٤)، وفي الشعب [٢٣٤٥]، ولا يصح.

ومع هذا كله مأمون الغائلة، قليل المضار، مضر بالعرض للصفراويين، ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعًا له جدًّا.

وهو غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية، ومفرح مع المفرحات، فما خلق لنا شيء في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريبًا منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة، ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد حدث قريبًا، وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل، وسنذكر ذلك إن شاء الله عند ذكر هديه في حفظ الصحة.

وفي (سنن ابن ماجه) مرفوعًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَعِقَ الْعَسَلَ ثَلَاثَ غَدَوَاتٍ كُلَّ شَهْرٍ، لَمْ يُصِبْهُ عَظِيمٌ مِنْ الْبَلَاءِ»، وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ**» فَجَمَعَ بَيْنَ الطِّبِّ الْبَشَرِيِّ وَالْإِلَهِيِّ، وَبَيْنَ طِبِّ الْأَبْدَانِ، وَطِبِّ الْأَرْوَاحِ، وَبَيْنَ الدَّوَاءِ الْأَرْضِيِّ وَالدَّوَاءِ السَّمَائِيِّ.

إِذَا عُرِفَ هَذَا، فَهَذَا الَّذِي وَصَفَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْعَسَلَ، كَانَ اسْتِطْلَاقُ بَطْنِه عَنْ تُخَمَةٍ أَصَابَتْهُ عَنْ امْتِلَاءٍ، فَأَمَرَهُ بِشُرْبِ الْعَسَلِ لِدَفْعِ الْفُضُولِ الْمُجْتَمِعَةِ فِي نَوَاحِي الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ، فَإِنَّ الْعَسَلَ فِيهِ جِلَاءٌ، وَدَفْعٌ لِلْفُضُولِ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ الْمَعِدَةَ أَخْلَاطٌ لَزِجَةٌ، تَمْنَعُ اسْتِقْرَارَ الْغِذَاءِ فِيهَا لِلُزُوجَتِهَا، فَإِنَّ الْمَعِدَةَ لَهَا خَمْلٌ كَخَمْلِ الْقَطِيفَةِ، فَإِذَا عَلِقَتْ بِهَا الْأَخْلَاطُ اللَّزِجَةُ، أَفْسَدَتْهَا وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يَجْلُوهَا مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاطِ، وَالْعَسَلُ جِلَاءٌ، وَالْعَسَلُ مِنْ أَحْسَنِ مَا عُولِجَ بِهِ هَذَا الدَّاءُ، لَاسِيَّمَا إِنْ مُزِجَ بِالْمَاءِ الْحَارِّ.

وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه، لم يزله بالكلية، وإن جاوزه، أوهى القوى،

فأحدث ضررًا آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل، سقاه مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره، علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ، أكَّد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء، برأ، بإذن الله. واعتبار مقادير الأدوية، وكيفياتها، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله ﷺ: «**صَدَقَ الله وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ**» إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة.

وليس طبه كطب الأطباء؛ فإن طب النبي ﷺ متيقَّن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره حَدْس وظنون، وتجارِب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة؛ فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور -إن لم يتلق هذا التلقي- لم يحصل به شفاءُ الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا إلى رجسهم، ومرضًا إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يُناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخُبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله، والله الموفق.

فصل

وقد اختلف الناس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، هل الضمير في «فيه» راجع إلى الشراب، أو راجع إلى القرآن؟ على قولين: الصحيح: رجوعه إلى الشراب، وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأكثرين؛ فإنه هو المذكور، والكلام سيق لأجله، ولا ذكر للقرآن في الآية، وهذا الحديث الصحيح وهو قول: «**صدق الله**» كالصريح فيه، والله تعالى أعلم.

«قال بعض العلماء بالطب: كان هذا الرجل عنده فضلات، فلما سقاه عسلًا -وهو حارٌّ- تحللت، فأسرعت في الاندفاع، فزاد إسهاله، فاعتقد الأعرابي أن هذا يضره، وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه، واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام»[١].

والغريب حقًّا أن الأطباء في الأزمنة الغابرة كانوا يرون أن العسل يسبب تليين البطن، ولذا فإنه لا يصلح لمعالجة الإسهال، وقد استنكر ابن خلدون في مقدمته مداواة المبطون بالعسل، واعتبر أن حدوث الشفاء هو من التأثير النفسي لإيمان الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس راجعًا لخصائص العسل. إلا أن الطب الحديث قد أثبت فائدة العسل في معالجة التهاب المعدة والأمعاء (النزلات المعوية)، عند الأطفال، وقد تبين من خلال دراسة نشرتها المجلة الطبية البريطانية عام ١٩٨٥م، فائدة العسل في علاج الإسهال الناتج عن غزو بكتيري، وكانت النتائج جيدة في هذا الصدد، وقد سبق ذلك دراسة نُشرت في

(١) تفسير ابن كثير من كتاب التحصينات ص [٢٢٩].

أعمال مؤتمر الطب الإسلامي عام ١٩٨٢م، حول معالجة الإسهال المزمن بالعسل، وقد أكدت الدراسة فائدة العسل في علاج المبطون»[(١)].

هذا؛ وليس العسل مداويًا لما ذكر وحسب، لكن ثبت أيضًا فعاليته في معالجة صنوف عديدة من الأمراض، منها: الزكام والوقاية منه، ومعالجة أمراض الجهاز التنفسي، والتهاب الأنف التحسسي، وقد صُنِّف في تفصيل الاستدواء بالعسل مصنفات كُثُر، من كتب وأبحاث ومقالات[(٢)].

وبالجملة، فإن العسل -كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلو مع الحلوى، وطلاء مع الأطلية، ومفرح مع المفرحات، فما خلق لنا شيءٌ في معناه أفضل منه، ولا مثله، ولا قريبًا منه»[(٣)].

ومن لطائف المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨]، أن الملحوظ في شأن النحل ميلها عمومًا إلى وضع بيوتها فيما ارتفع وعلا من الأماكن، فقمم الجبال وأعالي الشجر وأسقف البيوت وما يعرش فيها من الكروم وغيرها، تعتبر لديها المواضع الأمثل لتجميع العسل؛ حيث تتخذ بيوتًا تبني فيها الشمع بأجنحتها بصورة خلايا محكمة مقسمة سداسيًّا غاية في الإتقان، ثم تقيء العسل في هذه الخلايا، ثم تصبح إلى مراعيها تستجود منها الأحسن والأنفع، مبتعدة في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية السحيقة، والجبال الشاهقة، ثم تعود منها إلى موضعها وبيتها ومالها فيه من فراخ وعسل، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة[(٤)].

---

(١) الرسالة الذهبية في الطب النبوي ص [١٧٠-١٧١].

(٢) انظر الاستشفاء بالعسل لحسان شمس باشا.

(٣) الطب النبوي ص [٢٥] كما سبق.

(٤) تفسير ابن كثير .

٢- التداوي بالحبة السوداء:

٢٧- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ**»، **السَّامُ**: هو الموتُ(١).

وفي رواية: «**إنَّ الشونيز ينفع بإذن الله** عَزَّوَجَلَّ **من كل داءٍ إلاّ الموت**»

نقل الحافظ في (الفتح) (١٤٥/١٠) عن الخطابي أنه قال: «إن هذا من العام الذى يرادُ به الخاص».

ويوضحه ما قاله بعضهم أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ كان يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعلَّ قوله في الحبة السوداء وافق مرض مَن مزاجه باردٌ فيكون معنى قوله: «**شفاء من كل داء**» أى: من هذا الجنس الذى وقع القول فيه، والتخصيص بالحيثية كثيرٌ شائعٌ».

وردّ ابن أبي جمرة هذا التخصيص بقوله: «تكلم الناس في هذا الحديث وخصّوا عمومه، وردّوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك؛ لأنا إذا صدقنا أهل الطب -ومدارُ علمهم غالبًا إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب، فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم».

وكيفية العلاج بها نلخصه في الآتي:

١- تُغلى لمدة عشر دقائق على نار هادئة وتحلى بالعسل لعلاج الأمراض الصدرية والحساسية، والحلق، والمعدة، والكلى، ولزيادة المناعة في الجسم.

٢- تعصر فتكون زيتًا، لعلاج حساسية الأنف بالدهان أو بالتنقيط، أو تطحن وتشم، أو تُسَفّ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣/١٠) فتح، ومسلم [٢٢١٥]، والترمذي [٢٠٤١]، وابن ماجه [٣٤٤٧]، وأحمد (٢٤١/٢-٢٦٨).

٣- تخلط بعسل النحل سواء الزيت أو الحب المطحون لعلاج الكبد بجميع أمراضه، والكلى، وتقوية الجهاز المناعي في الجسم.

ولو خلطت على العسل مع الزيت وزيت الزيتون كان أنفع بإذن الله تعالى لعلاج السحر وما ينجم عنه من أضرار معوية.

ويستعمل زيت حبة البركة مع زيت الزيتون مع عصير الليمون لعلاج الصلع الناتج من الحرق، وغيره، ومن الثعلبة، وأكثر الأمراض الجلدية.

ومنذ أكثر من ربع قرن وأنا أعالج السحر أو اللمس بالخليط المكون من العسل وزيت حبة البركة، وحبة البركة المطحونة، وزيت الزيتون فوجدته نافعًا جدًّا، وأن الله تعالى قد غرز فيه النفع لهذه الأمراض، ومن أراد المزيد في هذا الباب فليطلبه من مظانِّه، والله أعلم.

٣- التداوي بماء زمزم:

٢٨- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[١]. ويكفي في فضل ماء زمزم أن الله تعالى أمر الملائكة أن تغسل به صدر النبي ﷺ وتهيئه للنبوة ثم تهيئه للعروج إليه.

قال الحافظ في «الفتح» (٤٦٠/١) (٤٨١/١٣): لقد شُقَّ صدره الشريف ﷺ وغُسل قلبه الطهور بماء زمزم أربع مرات: **أولها** – وقد مضى من عمره أربع سنوات.

وثانيها - وقد مضى عشر سنوات، **وثالثها** - حين نُبِّئ. ورابعها: ليلة أُسري به ﷺ».

٢٩- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال عن ماء زمزم: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**»[٢].

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد والبيهقي وابن ماجه، انظر: الصحيحة [٨٨٣].

(٢) أخرجه أحمد [٢١٨٥٨]، ومسلم [٢٤٧٣]، وزاد الطيالسي: «وشِفَاءُ سُقْمٍ».

٣٠- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُ ماءٍ على وَجْهِ الأَرْضِ ماءُ زَمْزَمَ فِيهِ طَعامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وشِفاءٌ مِنَ السُّقْمِ...**»(١) الحديث.

٣١- وفي رواية: «**فَإِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ الله، وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذًا أَعَاذَكَ الله، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِتَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ الله**»، وهي عند الحاكم (١/ ٤٧٣) وصححها.

٣٢- وقد «حمل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ زمزَمَ في الأداوي والقِرب، وكان عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يَصُبُّ مِنهُ على المرضى ويسقيهم»(٢).

٣٣- وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أنها كانت تحمل ماء زمزم وتخبر أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يحملُهُ»(٣).

٣٤- وكان يرسل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في طلبه من مكة وهو في المدينة، وقد كتب إلى سُهيل ابن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**إنْ جاءك كتابي هذا ليلًا فلا تُصبحنَّ، وإن جاءك نهارًا فلا تُمسينَّ حتى تبعث إليَّ بماء زمزم، فملأ له مزادتين وبعث بهما على بعير**»(٤).

٣٥- وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يداوي بها من الحُمى ويقول، كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن الحُمَّى فَوْرٌ من فَوْرِ جَهَنَّمَ؛ فَأَطْفِئُوها عنكم بماء زَمْزَمَ**»(٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ (٤/٢٥-٣٢): «قَدْ أَشْكَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ جَهَلَةِ الْأَطِبّاءِ، وَرَأَوْهُ مُنَافِيًا لِدَوَاءِ الْحُمّى وَعِلَاجِهَا، وَنَحْنُ نُبَيّنُ بِحَوْلِ الله وَقُوّتِهِ وَجْهَهُ وَفِقْهَهُ، فَنَقُولُ:

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن حبان والضياء. انظر: الصحيحة [١٠٥٦].

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي (٥/ ٢٠٢)، والفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٤٩)، وانظر: الصحيحة [٨٨٣].

(٣) أخرجه الترمذي [٩٦٣]، وانظر: الصحيح منه للألباني [٧٦٩].

(٤) **حسن**: أخرجه عبدالرزاق (٥/ ١١٩)، والبيهقي (٥/ ٢٠٢)، وحسنه السخاوي في المقاصد ص [٣٦٠]، وكذلك الألباني.

(٥) أخرجه البخاري [٣٣٠١٦] فتح، وأحمد (١/ ٢٩١)، وأبو يعلى [٢٧٣٢]، وابن حبان [٦٠٦٨]، والطحاوي مشكل (٢/ ٢٤٦)، والطبراني في الكبير [١٢٩٦٧].

خِطَابُ النبيّ ﷺ نَوْعَانِ: عَامّ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَخَاصّ بِبَعْضِهِمْ، فَالْأَوَّلُ - كَعَامّةِ خِطَابِهِ، وَالثّانِي - كَقَوْلِهِ: «**لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**» فَهَذَا لَيْسَ بِخِطَابٍ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَا الْعِرَاقِ، ولكن لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَا عَلَى سَمْتِهَا كَالشّامِ وَغَيْرِهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «**مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ**».

وإذا عُرف هذا، فخطابه في هذا الحديث خاص بأهل الحجاز، وما والاهم؛ إذ كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالًا، فإن الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن، فتشتعل فيه اشتعالًا يضر بالأفعال الطبيعية، وهي تنقسم إلى قسمين: عرضية: وهي الحادثة إما عن الورم، أو الحركة، أو إصابة حرارة الشمس، أو القيظ الشديد، ونحو ذلك.

ومرضية وهي ثلاثة أنواع، وهى لا تكون إلا في مادة أولى، ثم منها يسخن جميع البدن. فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم؛ لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام، وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سميت عفنية، وهى أربعة أصناف: صفراوية، وسوداوية، وبلغمية، ودموية. وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية، سميت حمى دِق، وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة.

وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعًا عظيمًا لا يبلغه الدواء، وكثيرًا ما يكون حمى يوم، وحمى العفن سببًا لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها، وسببًا لتفتح سدد لم يكن تصل إليها الأدوية المفتحة.

وأما الرمد الحديث والمتقادم، فإنها تبرئ أكثر أنواعه برءًا عجيبًا سريعًا، وتنفع من الفالج، واللقوة، والتشنج الامتلائي، وكثير من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة.

وقال لي بعض فضلاء الأطباء: إن كثيرًا من الأمراض نستبشر فيها بالحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها، فأخرجها، فكانت سببًا للشفاء.

وإذا عرف هذا، فيجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد، وسقي الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر، فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح، فيكفي في زوالها مجرد وصول كيفية باردة تسكنها، وتخمد لهبها من غير حاجة إلى استفراغ مادة، أو انتظار نضج.

ويجوز أن يراد به جميع أنواع الحميات، وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس: بأن الماء البارد ينفع فيها، قال في المقالة العاشرة من كتاب «حيلة البرء»: ولو أن رجلًا شابًّا حسن اللحم، خصب البدن في وقت القيظ، وفي وقت منتهى الحمى، وليس في أحشائه ورم، استحم بماء بارد، أو سبح فيه، لانتفع بذلك، قال: ونحن نأمر بذلك بلا توقف.

وقال الرازي في (كتابه الكبير): إذا كانت القوة قوية، والحمَّى حادة جدًّا، والنضج بين ولا ورم في الجوف، ولا فتق، ينفع الماء البارد شربًا، وإن كان العليل خصب البدن والزمان حارٌّ، وكان معتادًا لاستعمال الماء البارد من خارج، فليؤذن فيه.

وقوله: «**الحمى من فيح جهنم**»، وهو شدة لهبها، وانتشارها،ونظيره: قوله: «**شدة الحر من فيح جهنم**»، وفيه وجهان: **أحدهما** - أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتقت من جهنم ليستدل بها العباد عليها، ويعتبروا بها، ثم إن الله سبحانه قدر ظهورها بأسباب تقتضيها، كما أن الروح والفرح والسرور واللذة من نعيم الجنة أظهرها الله في هذه الدار عبرة ودلالة، وقدر ظهورها بأسباب توجبها.

والثاني– أن يكون المراد التشبيه، فشبه شدة الحمى ولهبها بفيح جهنم، وشبه شدة الحر به أيضًا تنبيهًا للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها.

وقوله «**فأبردوها**» رُوِي بوجهين: بقطع الهمزة وفتحها، رباعي: من أبرد الشيء: إذا صيره باردًا، مثل أسخنه: إذا صيره سخنًا.

الثالث – بهمزة الوصل مضمومة من برد الشيء يبرده، وهو أفصح لغة واستعمالًا، والرباعي لغة رديئة عندهم قال:

إذا وجدت لهيب الحب في كبدي   **أقبلت نحو سقاء القوم أبترد**

هَبْني بَردْتُ ببرد الماء ظَاهِرَه   **فَمنْ لِنَارٍ عَلى الأَحْشَاءِ تتَّقِدُ**

وقوله «بالماء» فيه قولان: أحدهما – أنه كل ماء وهو الصحيح.

والرابع – أنه ماء زمزم، واحتج أصحاب هذا القول بما رواه البخاري في (صحيحه) عن أبي حمزة نصر بن عمران الضبعي، قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى، فقال: أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال: «**الْحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ، أَوْ قَالَ: بِمَاءِ زَمْزَمَ**» وراوي هذا قد شك فيه، ولو جزم به لكان أمرًا لأهل مكة بماء زمزم؛ إذ هو متيسر عندهم، ولغيرهم بما عندهم من الماء.

ثم اختلف من قال: إنه على عمومه، هل المراد به الصدقة بالماء، أو استعماله؟ على قولين. والصحيح أنه استعمال، وأظن أن الذى حمل من قال: المراد الصدقة به أنه أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمَّى، ولم يفهم وجهه مع أن لقوله وجهًا حسنًا، وهو أن الجزاء من جنس العمل، فكما أخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد، أخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقًا، ولكن هذا يؤخذ من فقه الحديث وإشارته، وأما المراد به فاستعماله.

وقد ذكر أبو نعيم وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ، فَلْيَرُشَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنَ السَّحَرِ».

وفي (سنن ابن ماجه) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ كِيرِ جَهَنَّمَ، فَنَحُّوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ».

وفي (المسند) وغيره، من حديث الحسن، عن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: «الْحُمَّى قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَأَبْرِدُوهَا عَنْكُمْ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حُمَّ دَعَا بِقِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ فَأَفْرَغَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَاغْتَسَلَ.

وَفِي (السُّنَنِ) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتْ الْحُمَّى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَبَّهَا رَجُلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَسُبَّهَا؛ فَإِنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».**

لما كَانَتْ الْحُمَّى يَتْبَعُهَا حمية عَنْ الْأَغْذِيَةِ الرَّدِيئَةِ، وَتَنَاوُلِ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ، وَفِي ذَلِكَ إِعَانَةٌ عَلَى تَنْقِيَةِ الْبَدَنِ، وَنَفْيُ أَخْبَاثِهِ وَفُضُولِهِ، وَتَصْفِيَتِهِ مِنْ مَوَادِّهِ الرَّدِيئَةِ، وَتَفْعَلُ فِيهِ كَمَا تَفْعَلُ النَّارُ فِي الْحَدِيدِ فِي نَفْيِ خَبَثِهِ، وَتَصْفِيَةِ جَوْهَرِهِ، كَانَتْ أَشْبَهَ الْأَشْيَاءِ بِنَارِ الْكِيرِ الَّتِي تُصَفِّي جَوْهَرَ الْحَدِيدِ، وَهَذَا الْقَدْرُ هُوَ الْمَعْلُومُ عِنْدَ أَطِبَّاءِ الْأَبْدَانِ.

وَأَمَّا تَصْفِيَتُهَا الْقَلْبَ مِنْ وَسَخِهِ وَدَرَنِهِ، وَإِخْرَاجُهَا خَبَائِثَهُ، فَأَمْرٌ يَعْلَمُهُ أَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ، وَيَجِدُونَهُ كَمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَكِنْ مَرَضُ الْقَلْبِ إِذَا صَارَ مَأْيُوسًا مِنْ بُرْئِهِ، لَمْ يَنْفَعْ فِيهِ هَذَا الْعِلَاجُ.

فَالْحُمَّى تَنْفَعُ الْبَدَنَ وَالْقَلْبَ، وَمَا كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَسَبُّهُ ظُلْمٌ وَعُدْوَانٌ، وَذَكَرْت مَرَّةً وَأَنَا مَحْمُومٌ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ يَسُبُّهَا:

زَارَتْ مُكَفِّرَةُ الذُّنُوبِ وَوَدَّعَتْ ... تَبًّا لَهَا مِنْ زَائِرٍ وَمُوَدِّعِ

قَالَتْ وَقَدْ عَزَمَتْ عَلَى تَرْحَالِهَا ... مَاذَا تُرِيدُ فَقُلْتُ أَنْ لَا تَرْجِعِي

فَقُلْت : تبًّا لَهُ إذْ سَبّ مَا نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ سَبّهِ، وَلَوْ قَالَ:

زَارَتْ مُكَفِّرَةُ الذّنُوبِ لِصَبّهَا أَهْلاً بِهَا مِنْ زَائِرٍ وَمُوَدّعِ

قَالَتْ وَقَدْ عَزَمَتْ عَلَى تَرْحَالِهَا مَاذَا تُرِيدُ فَقُلْت: أَنْ لَا تُقْلِعِي

لكان أولى به، ولأقلعت عنه، فأقلعت عني سريعًا. وقد رُوي في أثر لا أعرف حاله: «**حمّى يَوْمٍ كَفّارَةُ سَنَةٍ**»، وَفِيهِ قَوْلَانِ: **أَحَدُهُمَا** – أَنّ الْحُمّى تَدْخُلُ فِي كُلّ الْأَعْضَاءِ وَالْمَفَاصِلِ، وَعِدّتُهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتّونَ مَفْصِلًا، فَتُكَفّرُ عَنْهُ – بِعَدَدِ كُلّ مَفْصِلٍ – ذُنُوبَ يَوْمٍ. وَالثّانِي– أَنّهَا تُؤَثّرُ فِي الْبَدَنِ تَأْثِيرًا لَا يَزُولُ بِالْكُلّيّةِ إلَى سَنَةٍ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»: إنّ أَثَرَ الْخَمْرِ يَبْقَى فِي جَوْفِ الْعَبْدِ وَعُرُوقِهِ وَأَعْضَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَاَللّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا مِنْ مَرَضٍ يُصِيبُنِي أَحَبّ إلَيّ مِنْ الْحُمّى؛ لأنهَا تَدْخُلُ فِي كُلّ عُضْوٍ مِنّي، وَإِنّ الله سُبْحَانَهُ يُعْطِي كُلّ عُضْوٍ حَظّهُ مِنْ الْأَجْرِ.

وَقَدْ رَوَى التّرْمِذِيّ فِي (جَامِعِهِ) مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ يَرْفَعُهُ: «**إذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ الْحُمّى -وَإِنّ الْحُمّى قِطْعَةٌ مِنْ النّارِ- فَلْيُطْفِئْهَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ، وَيَسْتَقْبِلْ نَهَرًا جَارِيًا، فَلْيَسْتَقْبِلْ جَرْيَةَ الْمَاءِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ، وَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ اللّهُمّ اشْفِ عَبْدَك، وَصَدّقْ رَسُولَك، وَيَنْغَمِسُ فِيهِ ثَلَاثَ غَمَسَاتٍ ثَلَاثَةَ أَيّام، فَإِنْ بَرِئَ، وَإِلّا فَفِي خَمْسٍ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي خَمْسٍ، فَسَبْعٌ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فِي سَبْعٍ فَتِسْعٌ، فَإِنّهَا لَا تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعًا بِإِذْنِ اللّه**».

قُلْت: وَهُوَ يَنْفَعُ فِعْلُهُ فِي فَصْلِ الصّيْفِ فِي الْبِلَادِ الْحَارّةِ عَلَى الشّرَائِطِ الّتِي تَقَدّمَتْ، فَإِنّ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَبْرَدُ مَا يَكُونُ لِبُعْدِهِ عَنْ مُلَاقَاةِ الشّمْسِ، وَوُفُورِ الْقُوَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لما أَفَادَهَا النّومُ، وَالسّكُونُ، وَبَرْدُ الْهَوَاءِ، فَتَجْتَمِعُ فِيهِ قُوّةُ الْقُوَى، وَقُوّةُ الدّوَاءِ، وَهُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ عَلَى حَرَارَةِ الْحُمّى الْعَرَضِيّةِ، أَوْ الْغِبّ الْخَالِصَةِ، أَعْنِي الّتِي لَا وَرَمَ مَعَهَا، وَلَا شَيْءَ مِنْ الْأَعْرَاضِ الرّدِيئَةِ وَالْمَوَادّ الْفَاسِدَةِ، فَيُطْفِئُهَا بِإِذْنِ الله، لَاسِيّمَا فِي أَحَدِ الْأَيّامِ

الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ، وَهِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا بُحْرَانُ الْأَمْرَاضِ الْحَادَّةِ كَثِيرًا، سِيَّمَا فِي الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ لِرِقَّةِ أَخْلَاطِ سُكَّانِهَا وَسُرْعَةِ انْفِعَالِهِمْ عَنْ الدَّوَاءِ النَّافِعِ.

وأقول: لقد جربت ماء زمزم في علاج المس والسحر فوجدته نافعًا جدًّا بإذن الله تعالى، على أن ينوي المريض الشفاء وهو يغتسل به أو يشرب منه، ويستحضر النية عند استعماله وأن يكون مصدقًا بكلام رسول الله ﷺ وأخباره.

٤- التداوي بالعجوة:

٣٦- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَصبّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجوةٍ، لَمْ يَضُرّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/٩٧-١٠١): «والتَّمرُ غِذَاءٌ فَاضِلٌ حَافِظٌ لِلصِّحَّةِ لَاسِيَّمَا لِمَنْ اعْتَادَ الْغِذَاءَ بِهِ، كَأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَالْحَارَّةِ الَّتِي حَرَارَتُهَا فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَهُوَ لَهُمْ أَنْفَعُ مِنْهُ لِأَهْلِ الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ، لِبُرُودَةِ بَوَاطِنِ سُكَّانِهَا، وَحَرَارَةِ بَوَاطِنِ سُكَّانِ الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ، وَلِذَلِكَ يُكْثِرُ أَهْلُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالطَّائِفِ، وَمَا يَلِيهِمْ مِنْ الْبِلَادِ الْمُشَابِهَةِ لَهَا مِنْ الْأَغْذِيَةِ الْحَارَّةِ مَا لَا يَتَأَتَّى لِغَيْرِهِمْ، كَالتَّمْرِ وَالْعَسَلِ، وَشَاهَدْنَاهُمْ يَضَعُونَ فِي أَطْعِمَتِهِمْ مِنْ الْفُلْفُلِ وَالزَّنْجَبِيلِ فَوْقَ مَا يَضَعُهُ غَيْرُهُمْ نَحْوَ عَشَرَةِ أَضْعَافٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَيَأْكُلُونَ الزَّنْجَبِيلَ كَمَا يَأْكُلُ غَيْرُهُمْ الْحَلْوَى، وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مَنْ يَتَنَقَّلُ بِهِ مِنْهُمْ كَمَا يَتَنَقَّلُ بِالنَّقْلِ، وَيُوَافِقُهُمْ ذَلِكَ وَلَا يَضُرّهُمْ لِبُرُودَةِ أَجْوَافِهِمْ، وَخُرُوجِ الْحَرَارَةِ إلَى ظَاهِرِ الْجَسَدِ، كَمَا تُشَاهَدُ مِيَاهُ الْآبَارِ تَبْرُدُ فِي الصَّيْفِ، وَتَسْخَنُ فِي الشِّتَاءِ، وَكَذَلِكَ تُنْضِجُ الْمَعِدَةُ مِنْ الْأَغْذِيَةِ الْغَلِيظَةِ فِي الشِّتَاءِ مَا لَا تُنْضِجُهُ فِي الصَّيْفِ.

وَأَمَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَالتَّمْرُ لَهُمْ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْحِنْطَةِ لِغَيْرِهِمْ، وَهُوَ قُوتُهُمْ وَمَادَّتُهُمْ، وَتَمْرُ الْعَالِيَةِ مِنْ أَجْوَدِ أَصْنَافِ تَمْرِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَتِينُ الْجِسْمِ، لَذِيذُ الطَّعْمِ، صَادِقُ

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٥٦٩) (١٠/ ٢٣٨)، ومسلم [٢٠٤٧]، وأبو داود [٣٨٧٥]، وأحمد (١/ ١٨١)، والحميدي [٧٠]، وغيرهم.

الحَلَاوَةِ، وَالتَّمْرُ يَدْخُلُ فِي الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالْفَاكِهَةِ، وَهُوَ يُوَافِقُ أَكْثَرَ الْأَبْدَانِ، مُقَوٍّ لِلْحَارِّ الْغَرِيزِيِّ، وَلَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنْ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيئَةِ مَا يَتَوَلَّدُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ الْأَغْذِيَةِ وَالْفَاكِهَةِ، بَلْ يَمْنَعُ لِمَنْ اعْتَادَهُ مِنْ تَعَفُّنِ الْأَخْلَاطِ وَفَسَادِهَا.

وَهَذَا الحَدِيثُ مِنْ الخِطَابِ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الخَاصّ، كَأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِلْأَمْكِنَةِ اخْتِصَاصًا بِنَفْعِ كَثِيرٍ مِنْ الْأَدْوِيَةِ فِي ذَلِكَ المَكَانِ دُونَ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ الدَّوَاءُ الَّذِي قَدْ يَنْبُتُ فِي هَذَا المَكَانِ نَافِعًا مِنْ الدَّاءِ، وَلَا يُوجَدُ فِيهِ ذَلِكَ النَّفْعُ إِذَا نَبَتَ فِي مَكَانٍ غَيْرِهِ لِتَأْثِيرِ نَفْسِ التُّرْبَةِ أَوْ الهَوَاءِ، أَوْ هُمَا جَمِيعًا، فَإِنَّ لِلْأَرْضِ خَوَاصّ وَطَبَائِعَ يُقَارِبُ اخْتِلَافُهَا اخْتِلَافَ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ، وَكَثِيرٌ مِنْ النَّبَاتِ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ غِذَاءً مَأْكُولًا، وَفِي بَعْضِهَا سَمًّا قَاتِلًا، وَرُبَّ أَدْوِيَةٍ لِقَوْمٍ أَغْذِيَةٌ لِآخَرِينَ، وَأَدْوِيَةٍ لِقَوْمٍ مِنْ أَمْرَاضٍ هِيَ أَدْوِيَةٌ لِآخَرِينَ فِي أَمْرَاضٍ سِوَاهَا، وَأَدْوِيَةٍ لِأَهْلِ بَلَدٍ لَا تُنَاسِبُ غَيْرَهُمْ، وَلَا تَنْفَعُهُمْ.

وَأَمَّا خَاصِّيَّةُ السَّبْعِ، فَإِنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ قَدرًا وَشَرْعًا، فَخَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرَضِينَ سَبْعًا، وَالْأَيَّامَ سَبْعًا، وَالْإِنْسَانُ كَمُلَ خَلْقُهُ فِي سَبْعَةِ أَطْوَارٍ، وَشَرَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ الطَّوَافَ سَبْعًا، وَالسَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ سَبْعًا، وَرَمْيَ الجِمَارِ سَبْعًا سَبْعًا، وَتَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ سَبْعًا فِي الْأُولَى.

وَقَالَ ﷺ: «**مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَإِذَا صَارَ لِلْغُلَامِ سَبْعُ سِنِينَ خُيِّرَ بَيْنَ أَبَوَيْهِ**»، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «**أَبُوهُ أَحَقّ بِهِ مِنْ أُمِّهِ**»، وَفِي ثَالِثَةٍ: «**أُمّهُ أَحَقّ بِهِ**»، وَأَمَرَ النَّبِي ﷺ فِي مَرَضِهِ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْهِ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، وَسَخَّرَ اللهُ الرِّيحَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ سَبْعَ لَيَالٍ، وَدَعَا النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُعِينَهُ اللهُ عَلَى قَوْمِهِ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، وَمَثَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا يُضَاعِفُ بِهِ صَدَقَةَ المُتَصَدِّقِ بِحَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَالسَّنَابِلُ الَّتِي رَآهَا صَاحِبُ يُوسُفَ سَبْعًا، وَالسِّنِينَ الَّتِي زَرَعُوهَا دَأَبًا سَبْعًا، وَتُضَاعَفُ الصَّدَقَةُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ سَبْعُونَ أَلْفًا.

فَلَا رَيْبَ أَنَّ لِهَذَا الْعَدَدِ خَاصِّيَّةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، وَالسَّبْعَةُ جَمَعَتْ مَعَانِيَ الْعَدَدِ كُلِّهِ وَخَوَاصَّهُ، فَإِنَّ الْعَدَدَ شَفْعٌ وَوَتْرٌ. وَالشَّفْعُ: أَوَّلٌ وَثَانٍ. وَالْوَتْرُ: كَذَلِكَ، فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: شَفْعٌ أَوَّلٌ وَثَانٍ. وَوَتْرٌ أَوَّلٌ وَثَانٍ، وَلَا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ فِي أَقَلَّ مِنْ سَبْعَةٍ، وَهِيَ عَدَدٌ كَامِلٌ جَامِعٌ لِمَرَاتِبِ الْعَدَدِ الْأَرْبَعَةِ، أَعْنِي الشَّفْعَ وَالْوَتْرَ، وَالْأَوَائِلَ وَالثَّوَانِيَ، وَنَعْنِي بِالْوَتْرِ الْأَوَّلِ الثَّلَاثَةَ، وَبِالثَّانِي الْخَمْسَةَ، وَبِالشَّفْعِ الْأَوَّلِ الِاثْنَيْنِ، وَبِالثَّانِي الْأَرْبَعَةَ، وَلِلْأَطِبَّاءِ اعْتِنَاءٌ عَظِيمٌ بِالسَّبْعَةِ، وَلَاسِيَّمَا فِي الْبَحَّارِينَ.

وَقَدْ قَالَ بُقْرَاطُ: كُلُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، فَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ، وَالنُّجُومُ سَبْعَةٌ، وَالْأَيَّامُ سَبْعَةٌ، وَأَسْنَانُ النَّاسِ سَبْعَةٌ، أَوَّلُهَا طِفْلٌ إِلَى سَبْعٍ، ثُمَّ صَبِيٌّ إِلَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ، ثُمَّ مُرَاهِقٌ، ثُمَّ شَابٌّ، ثُمَّ كَهْلٌ، ثُمَّ شَيْخٌ، ثُمَّ هَرَمٌ إِلَى مُنْتَهَى الْعُمُرِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِحِكْمَتِهِ وَشَرْعِهِ، وَقَدَرِهِ فِي تَخْصِيصِ هَذَا الْعَدَدِ، هَلْ هُوَ لِهَذَا الْمَعْنَى أَوْ لِغَيْرِهِ؟

وَيَجُوزُ نَفْعُ التَّمْرِ الْمَذْكُورِ فِي بَعْضِ السُّمُومِ، فَيَكُونُ الْحَدِيثُ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ، وَيَجُوزُ نَفْعُهُ لِخَاصِّيَّةِ تِلْكَ الْبَلَدِ، وَتِلْكَ التُّرْبَةِ الْخَاصَّةِ مِنْ كُلِّ سَمٍّ، وَلَكِنْ هَا هُنَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِهِ، وَهُوَ أَنَّ مِنْ شَرْطِ انْتِفَاعِ الْعَلِيلِ بِالدَّوَاءِ قَبُولَهُ، وَاعْتِقَادَ النَّفْعِ بِهِ، فَتَقْبَلُهُ الطَّبِيعَةُ، فَتَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى دَفْعِ الْعِلَّةِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُعَالَجَاتِ يَنْفَعُ بِالِاعْتِقَادِ، وَحُسْنِ الْقَبُولِ، وَكَمَالِ التَّلَقِّي، وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ عَجَائِبَ؛ وَهَذَا لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ يَشْتَدُّ قَبُولُهَا لَهُ، وَتَفْرَحُ النَّفْسُ بِهِ، فَتَنْتَعِشُ الْقُوَّةُ، وَيَقْوَى سُلْطَانُ الطَّبِيعَةِ، وَيَنْبَعِثُ الْحَارُّ الْغَرِيزِيُّ، فَيُسَاعِدُ عَلَى دَفْعِ الْمُؤْذِي، وَبِالْعَكْسِ يَكُونُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَدْوِيَةِ نَافِعًا لِتِلْكَ الْعِلَّةِ، فَيَقْطَعُ عَمَلَهُ سُوءُ اعْتِقَادِ الْعَلِيلِ فِيهِ، وَعَدَمُ أَخْذِ الطَّبِيعَةِ لَهُ بِالْقَبُولِ، فَلَا يُجْدِي عَلَيْهَا شَيْئًا، واعتبر هذا بأعظم الأدوية والأسقية، وأنفعها للقلوب والأبدان، والمعاش والمعاد، والدنيا والآخرة، وهو القرآن الذي هو شفاء من كل داء، كيف لا ينفع القلوب التي لا تعتقد فيه الشفاء والنفع، بل لا يزيدها إلَّا مرضًا على مرضها، وليس لشفاء القلوب دواء

قط أنفع من القرآن؛ فإنه شفاؤها التام الكامل الذي لا يغادر فيها سقمًا إلا أبرأه، ويحفظ عليها صحتها المطلقة، ويحميها الحمية التامة من كل مؤذ ومضر، ومع هذا فإعراض أكثر القلوب عنه، وعدم اعتقادها الجازم الذي لا ريب فيه أنه كذلك، وعدم استعماله، والعدول عنه إلى الأدوية التي ركبها بنو جنسها حال بينها وبين الشفاء به، وغلبت العوائد، وَاشْتَدَّ الْإِعْرَاضُ، وَتَمَكَّنَتْ الْعِلَلُ وَالْأَدْوَاءُ الْمُزْمِنَةُ مِنْ الْقُلُوبِ، وَتَرَبَّى الْمَرْضَى وَالْأَطِبَّاءُ عَلَى عِلَاجِ بَنِي جِنْسِهِمْ وَمَا وَضَعَهُ لَهُمْ شُيُوخُهُمْ، وَمَنْ يُعَظِّمُونَهُ وَيُحْسِنُونَ بِهِ ظُنُونَهُمْ، فَعَظُمَ الْمُصَابُ، وَاسْتَحْكَمَ الدَّاءُ، وَتَرَكَّبَتْ أَمْرَاضٌ وَعِلَلٌ أَعْيَا عَلَيْهِمْ عِلَاجُهَا، وَكُلَّمَا عَالَجُوهَا بِتِلْكَ الْعِلَاجَاتِ الْحَادِثَةِ تَفَاقَمَ أَمْرُهَا، وَقَوِيَتْ، وَلِسَانُ الْحَالِ يُنَادِي عَلَيْهِمْ:

وَمِنْ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ ... قُرْبُ الشِّفَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَأُ ... وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

٥- التداوي باللبن:

اللبن فطرة، كما في حديث الإسراء: لما قُدِّم للنبي ﷺ ثلاثة من الآنية –ماء، ولبن، وخمر– فاختار النبي ﷺ اللبن، فقال له جبريل: «**اخترت الفطرة وستختار أمتك من بعدك الفطرة**»، وقُدم له هذه الثلاثة في السماء كما فى حديث المعراج، وهما في (الصحيحين)، واختار النبي ﷺ اللبن، فقال له جبريل مثل مقالته السابقة.

والفطرة تُفسر بالدين أو السنة، وقيل غير ذلك، ورؤية اللبن في المنام فطرة أيضًا، كما في الحديث الذى أخرجه البزار عن أبي هريرة موقوفًا عليه أنه قال: «**اللبن في المنام فطرة**»[١].

وفي حديث أبى هريرة في (الصحيحين) لما رأى النبي ﷺ أنه يشرب لبنًا، ثم أعطى الإناء لأبي بكر، ثم أعطاه لعمر، فشرب ما بقي، فأولها ﷺ بالعلم أو بالدين.

---

(١) راجع: الصحيحة [٢٢٠٧]، صحيح الجامع [٥٤٨٨].

ولهذا كان النبي ﷺ يبدأ به عرسه في ليلة البناء، كما في حديث أسماء بنت يزيد عندما قينت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -أي: زينت- وجيء بعس لبن فشرب وأعطاه عائشة فشربت... الحديث.

بالتجربة الطويلة في مداواة السحر باللبن مع العسل وجد أنه من أفضل ما تداوى به السحر، فلو أن المصاب بالسحر جاء بالعسل المخلوط بحبة البركة وزيت الزيتون وحلَّى به اللبن في كل صباح وشربه، لذهب سحره، والله أعلم.

٣٧- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ بِأَلْبَانِ الْبَقَرِ؛ فَإِنَّهَا دَوَاءٌ، وَأَسْمَانِهَا فَإِنَّهَا شِفَاءٌ**»(١).

٦- قيام الليل يطرد الداء من الجسد

٣٨- عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيامِ اللَّيْلِ؛ فإِنَّهُ مِنْ دأْبِ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلى اللهِ، ومُكَفِّرةٌ للسَّيِّئَاتِ، ومَنْهَاةٌ عَنِ الإِثم، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ مِنَ الجَسَدِ**»(٢).

أقول: إن أفضل ما يُتداوى به من جميع الأمراض القلبية، والبدنية، والنفسية هو قيام الليل؛ حيث الخلوة بالله تعالى والسكون إليه، واللجوء إلى رب الأرباب، والساعات المستجاب فيها الدعوات، وحيث أبواب السماء المفتحة.

فلو أن المريض لجأ إلى الله تعالى ومرَّغ وجهه بين يديه، وسأله كشف الضر عنه، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]، وألحَّ على الله في السؤال بقلب حاضر؛ لاستُجيبت دعوته، وكُشف ضرهُ، كما دعاه

(١) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم، وابن السني، والحاكم، وانظر: صحيح الجامع [٤٠٦]، والصحيحة [١٩٤٣].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي [٣٥٤٩]، وابن عدي، وابن أبي الدنيا في التهجد، وابن خزيمة [١١٣٥]، والحاكم (١/ ٣٠٨)، والطبراني في الكبير [٧٤٦٦] وفي الأوسط، والبيهقي (٢/ ٥٠٢)، وابن نصر في قيام الليل [٤١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٠٧٩] والإرواء [٤٥٢].

(ذو النون) وهو في بطن الحوت فكشف الله عنه ضره، ودعاء أيوب وهو مبتلى، فكشف الله عنه ضرهُ، فإن المريض أحوج ما يكون إلى الله تعالى وهو مبتلى، وعندما يكون ساجدًا بين يديه في وقت غفلة العباد، وقت سهر العُبَّاد، تكون الإجابة أقرب والدعاء أرجى للإجابة، والله أعلم.

٧- علاج الحسد:

٣٩- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**العَيْن حقٌّ، ولو كان شيءٌ يَسبِق القَدَر، لسَبَقَتْهُ العَيْن، فإذا استُغْسِلتم فاغسلوا**»[(١)].

٤٠- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أن عَامِرَ بْن رَبِيعَةَ أخا بني عدي بن كعب رأى سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ مع رسول الله ﷺ بالخرار يغتسل، فقال: والله! ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. قال: فلبط سهلٌ، فأتى النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل ابن حنيف لا يرفع رأسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تتهمون من أحدٍ؟**» قالوا: نعم، عامر ابن ربيعة، فقال رسول الله ﷺ: «**علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بَرَّكت؟! إن العين حقٌّ، توضأ له**»، فتوضأ له عامر بن ربيعة، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/١٦٥-١٧٤): «فَأَبْطَلَتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ قَلَّ نَصِيبُهُمْ مِنْ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ أَمْرَ الْعَيْنِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا ذَلِكَ أَوْهَامٌ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ، وَمِنْ أَغْلَظِهِمْ حِجَابًا، وَأَكْثَفِهِمْ طِبَاعًا، وَأَبْعَدِهِمْ مَعْرِفَةً عَنْ الْأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ. وَصِفَاتِهَا وَأَفْعَالِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا، وَعُقَلَاءُ الْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ لَا تَدْفَعُ أَمْرَ الْعَيْنِ، وَلَا تُنْكِرُهُ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ وَجِهَةِ تَأْثِيرِ الْعَيْنِ».

---

(١) أخرجه مسلم [٢١٨٨]، والترمذي [٢٠٦٢]، وابن حبان [٦١٠٧]، والطحاوي مشكل (٤/ ٧٥)، والطبراني في الكبير [١٠٩٠٥]، وغيرُهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مالك (٢/ ٩٣٩/ ٢)، وعبد الرزاق [١٩٧٦٦]، والنسائي في عمل اليوم [٢٠٨]، وابن ماجه [٣٥٠٩]، وابن حبان [٥٥٧٥، ٥٥٧٩]، والطحاوي مشكل (٤/ ٧٥-٧٧) وغيرُهم.

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: إِنَّ الْعَائِنَ إِذَا تَكَيَّفَتْ نَفْسُهُ بِالْكَيْفِيَّةِ الرَّدِيئَةِ، انْبَعَثَ مِنْ عَيْنِهِ قُوَّةٌ سُمِّيَّةٌ تَتَّصِلُ بِالْمَعِينِ، فَيَتَضَرَّرُ. قَالُوا: وَلَا يُسْتَنْكَرُ هَذَا، كَمَا لَا يُسْتَنْكَرُ انْبِعَاثُ قُوَّةٍ سُمِّيَّةٍ مِنْ الْأَفْعَى تَتَّصِلُ بِالْإِنْسَانِ، فَيَهْلَكُ وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ اُشْتُهِرَ عَنْ نَوْعٍ مِنْ الْأَفَاعِي أَنَّهَا إِذَا وَقَعَ بَصَرُهَا عَلَى الْإِنْسَانِ هَلَكَ، فَكَذَلِكَ الْعَائِنُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى: لَا يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَنْبَعِثَ مِنْ عَيْنِ بَعْضِ النَّاسِ جَوَاهِرُ لَطِيفَةٌ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ، فَتَتَّصِلُ بِالْمَعِينِ، وَتَتَخَلَّلُ مَسَامّ جِسْمِهِ، فَيَحْصُلُ لَهُ الضَّرَرُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَى: قَدْ أَجْرَى اللهُ الْعَادَةَ بِخَلْقِ مَا يَشَاءُ مِنْ الضَّرَرِ عِنْدَ مُقَابَلَةِ عَيْنِ الْعَائِنِ لِمَنْ يَعِينُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ قُوَّةٌ وَلَا سَبَبٌ وَلَا تَأْثِيرٌ أَصْلًا، وَهَذَا مَذْهَبُ مُنْكِرِي الْأَسْبَابِ وَالْقُوَى وَالتَّأْثِيرَاتِ فِي الْعَالَمِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ سَدّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَابَ الْعِلَلِ وَالتَّأْثِيرَاتِ وَالْأَسْبَابِ، وَخَالَفُوا الْعُقَلَاءَ أَجْمَعِينَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ قُوًى وَطَبَائِعَ مُخْتَلِفَةً، وَجَعَلَ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا خَوَاصّ وَكَيْفِيّاتٍ مُؤَثّرَةً، وَلَا يُمْكِنُ لِعَاقِلٍ إِنْكَارُ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ، فَإِنّهُ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مَحْسُوسٌ، وَأَنْتَ تَرَى الْوَجْهَ كَيْفَ يَحْمَرّ حُمْرَةً شَدِيدَةً إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ يَحْتَشِمُهُ وَيَسْتَحِي مِنْهُ، وَيَصْفَرّ صُفْرَةً شَدِيدَةً عِنْدَ نَظَرِ مَنْ يَخَافُهُ إِلَيْهِ، وَقَدْ شَاهَدَ النّاسُ مَنْ يَسْقَمُ مِنْ النّظَرِ وَتَضْعُفُ قُوَاهُ، وَهَذَا كُلّهُ بِوَاسِطَةِ تَأْثِيرِ الْأَرْوَاحِ، وَلِشِدّةِ ارْتِبَاطِهَا بِالْعَيْنِ يُنْسَبُ الْفِعْلُ إِلَيْهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلَةَ، وَإِنّمَا التّأْثِيرُ لِلرّوحِ، وَالْأَرْوَاحُ مُخْتَلِفَةٌ فِي طَبَائِعِهَا وَقُوَاهَا وَكَيْفِيّاتِهَا وَخَوَاصّهَا، فَرُوحُ الْحَاسِدِ مُؤْذِيَةٌ لِلْمَحْسُودِ أَذًى بَيّنًا، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - رَسُولَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنْ شَرّهِ، وَتَأْثِيرُ الْحَاسِدِ فِي أَذَى الْمَحْسُودِ أَمْرٌ لَا يُنْكِرُهُ إِلّا مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيّةِ، وَهُوَ أَصْلُ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ،؛ فَإِنّ النّفْسَ الْخَبِيثَةَ الْحَاسِدَةَ تَتَكَيّفُ بِكَيْفِيّةٍ خَبِيثَةٍ، وَتُقَابِلُ الْمَحْسُود، فَتُؤَثّرُ فِيهِ بِتِلْكَ الْخَاصّيّةِ، وَأَشْبَهُ

الْأَشْيَاءِ بِهَذَا الْأَفْعَى، فَإِنَّ السَّمَّ كَامِنٌ فِيهَا بِالْقُوَّةِ، فَإِذَا قَابَلَتْ عَدُوَّهَا انْبَعَثَتْ مِنْهَا قُوَّةٌ غَضَبِيَّةٌ، وَتَكَيَّفَتْ بِكَيْفِيَّةٍ خَبِيثَةٍ مُؤْذِيَةٍ، فَمِنْهَا مَا تَشْتَدُّ كَيْفِيَّتُهَا وَتَقْوَى حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي إِسْقَاطِ الْجَنِينِ، وَمِنْهَا مَا تُؤَثِّرُ فِي طَمْسِ الْبَصَرِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَبْتَرِ، وَذِي الطُّفْيَتَيْنِ مِنَ الْحَيَّاتِ: «**إِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الْحَبَلَ**».

وَمِنْهَا مَا تُؤَثِّرُ فِي الْإِنْسَانِ كَيْفِيَّتُهَا بِمُجَرَّدِ الرُّؤْيَةِ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ بِهِ؛ لِشِدَّةِ خُبْثِ تِلْكَ النَّفْسِ، وَكَيْفِيَّتِهَا الْخَبِيثَةِ الْمُؤَثِّرَةِ، وَالتَّأْثِيرُ غَيْرُ مَوْقُوفٍ عَلَى الِاتِّصَالَاتِ الْجِسْمِيَّةِ، كَمَا يَظُنُّهُ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالطَّبِيعَةِ وَالشَّرِيعَةِ، بَلْ التَّأْثِيرُ يَكُونُ تَارَةً بِالِاتِّصَالِ، وَتَارَةً بِالْمُقَابَلَةِ، وَتَارَةً بِالرُّؤْيَةِ، وَتَارَةً بِتَوَجُّهِ الرُّوحِ نَحْوَ مَنْ يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَتَارَةً بِالْأَدْعِيَةِ وَالرُّقَى وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَتَارَةً بِالْوَهْمِ وَالتَّخَيُّلِ، وَنَفْسُ الْعَائِنِ لَا يَتَوَقَّفُ تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أَعْمَى، فَيُوصَفُ لَهُ الشَّيْءُ، فَتُؤَثِّرُ نَفْسُهُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَرَهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَائِنِينَ يُؤَثِّرُ فِي الْمَعِينِ بِالْوَصْفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﴿**وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ**﴾ [القلم: ٥١]، ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق]، فَكُلُّ عَائِنٍ حَاسِدٌ، وَلَيْسَ كُلُّ حَاسِدٍ عَائِنًا، فَلَمَّا كَانَ الْحَاسِدُ أَعَمَّ مِنَ الْعَائِنِ، كَانَتْ الِاسْتِعَاذَةُ مِنْهُ اسْتِعَاذَةً مِنَ الْعَائِنِ، وَهِيَ سِهَامٌ تَخْرُجُ مِنْ نَفْسِ الْحَاسِدِ وَالْعَائِنِ نَحْوَ الْمَحْسُودِ وَالْمَعِينِ تُصِيبُهُ تَارَةً وَتُخْطِئُهُ تَارَةً فَإِنْ صَادَفَتْهُ مَكْشُوفًا لَا وِقَايَةَ عَلَيْهِ، أَثَّرَتْ فِيهِ، وَلَا بُدَّ، وَإِنْ صَادَفَتْهُ حَذِرًا شَاكِيَ السِّلَاحِ لَا مَنْفَذَ فِيهِ لِلسِّهَامِ، لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ، وَرُبَّمَا رُدَّتْ السِّهَامُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَهَذَا بِمَثَابَةِ الرَّمْيِ الْحِسِّيِّ سَوَاءً، فَهَذَا مِنَ النُّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ، وَذَاكَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ. وَأَصْلُهُ مِنْ إِعْجَابِ الْعَائِنِ بِالشَّيْءِ، ثُمَّ تَتْبَعُهُ كَيْفِيَّةُ نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ، ثُمَّ تَسْتَعِينُ عَلَى تَنْفِيذِ سُمِّهَا بِنَظْرَةٍ إِلَى الْمَعِينِ، وَقَدْ يَعِينُ الرَّجُلُ

نَفْسَهُ، وَقَدْ يَعِينُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ، بَلْ بِطَبْعِهِ، وَهَذَا أَرْدَأُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَقَدْ قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّ مَنْ عُرِفَ بِذَلِكَ، حَبَسَهُ الْإِمَامُ، وَأَجْرَى لَهُ مَا يُنْفِقُ عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ قَطْعًا.

وَالْمَقْصُودُ: الْعِلَاجُ النَّبَوِيّ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ، وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: مَرَرْنَا بِسَيْلٍ، فَدَخَلْت، فَاغْتَسَلْت فِيهِ، فَخَرَجْتُ مَحْمُومًا، فَنُمِيَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا ثَابِتٍ يَتَعَوَّذُ**»، قَالَ: فَقُلْت: يَاسَيِّدِي! وَالرُّقَى صَالِحَةٌ؟ فَقَالَ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا فِي نَفْسٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ لَدْغَةٍ**».

وَالنَّفْسُ: الْعَيْنُ، يُقَالُ: أَصَابَتْ فُلَانًا نَفْسٌ، أَيْ: عَيْنٌ. وَالنَّافِسُ: الْعَائِنُ. وَاللَّدْغَةُ -بِدَالٍ مُهْمَلَةٍ وَغَيْنٍ مُعْجَمَةٍ- وَهِيَ ضَرْبَةُ الْعَقْرَبِ وَنَحْوَهَا.

فَمِنَ التَّعَوُّذَاتِ وَالرُّقَى الْإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَمِنْهَا التَّعَوُّذَاتُ النَّبَوِيَّةُ؛ نحو:

- «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**».
- ونحو: «**أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة**».
- وَنَحْوُ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَن**».
- وَمِنْهَا: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُون**».
- وَمِنْهَا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِك الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِك التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ،**

اللّهُمّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَأْثَمَ وَالْمَغْرَمَ، اللّهُمّ إنّهُ لَا يُهْزَمُ جُنْدُك، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُك، سُبْحَانَك وَبِحَمْدِك».

- وَمِنْهَا: «أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْعَظِيمِ الّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَبِكَلِمَاتِهِ التّامّاتِ الّتِي لَا يُجَاوِزُهُنّ بَرّ وَلَا فَاجِرٌ، وَأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرّ كُلّ ذِي شَرّ لَا أُطِيقُ شَرّهُ، وَمِنْ شَرّ كُلّ ذِي شَرّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، إنّ رَبّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم».

- ومنها: «اللَّهُمَّ أنت ربِّي لا إله إلا أنتَ، عليك توكلتُ، وأنتَ ربُّ العرشِ العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأْ لم يكن، لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله، أعلم أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصَى كُلَّ شيءٍ عددًا، اللَّهُمَّ إني أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ نفسي، وشَرِّ الشيطانِ وشركه، ومِن شَرِّ كُلِّ دابةٍ أنتَ آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صِراطٍ مستقيم».

وإن شاء قال: «تحصَّنتُ بالله الَّذي لا إله إلا هُوَ، إلهي وإله كُلِّ شيء، واعتصمتُ بربي وربِّ كُلِّ شيء، وتوكلتُ على الحيِّ الذي لا يموتُ، واستَدْفَعتُ الشرَّ بلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، حسبيَ الربُّ مِن العباد، حسبيَ الخَالِقُ من المخلوق، حسبيَ الرازقُ مِنَ المرزوق، حسبيَ الذي هو حسبي، حسبيَ الذي بيده ملكوتُ كُلِّ شيء وهو يُجيرُ ولا يُجَارُ عليه، حسبيَ الله وكَفَى، سَمِعَ الله لمنْ دعا، ليس وراء الله مرمَى، حسبيَ الله لا إله إلا هُوَ، عليه توكلتُ، وهُوَ ربُّ العرشِ العظيم».

ومن جرّب هذه الدعوات والعُوَذ، عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه؛ فإنها سلاح، والسلاح بضاربه.

فصل

وَإِذَا كَانَ الْعَائِنُ يَخْشَى ضَرَرَ عَيْنِهِ وَإِصَابَتَهَا لِلْمَعِينِ، فَلْيَدْفَعْ شَرَّهَا بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْه، كَمَا قَالَ النَّبِي ﷺ لِعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ لما عَانَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ: «**أَلا بَرَّكْتَ؟!**» أَيْ: قُلْتَ: اللَّهُمّ بَارِكْ عَلَيْهِ، وَمِمَّا يُدْفَعُ بِهِ إِصَابَةُ الْعَيْنِ قَوْلُ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

رَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ، أَوْ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِهِ، قَالَ: مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَمِنْهَا رُقْيَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنبي ﷺ التِي رَوَاهَا مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ): «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيك، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيك، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيك، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**».

وَرَأَى جَمَاعَةٌ مِنْ السَّلَفِ أَنْ تُكْتَبَ لَهُ الْآيَاتُ مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمّ يَشْرَبهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا بَأْسَ أَنْ يَكْتُبَ الْقُرْآنَ، وَيَغْسِلَهُ، وَيَسْقِيَهُ الْمَرِيضَ، وَمِثْلُهُ عَنْ أَبِي قِلَابَة. وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ: أَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ لِامْرَأَةٍ تَعَسّرَ عَلَيْهَا وِلَادُهَا أَثَرٌ مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمّ يُغْسَلُ وَتُسْقَى. وَقَالَ أَيّوبُ: رَأَيْتُ أَبَا قِلَابَةَ كَتَبَ كِتَابًا مِنْ الْقُرْآنِ، ثُمّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ، وَسَقَاهُ رَجُلا كَانَ بِهِ وَجَعٌ.

وَمِنْهَا أَنْ يُؤْمَرَ الْعَائِنُ بِغَسْلِ مَغَابِنِهِ وَأَطْرَافِهِ وَدَاخِلَةِ إِزَارِه، وَفِيهِ قَوْلَانِ: **أَحَدُهُمَا**- أَنَّهُ فَرْجُهُ، **وَالثَّانِي** - أَنَّهُ طَرَفُ إِزَارِهِ الدَّاخِلِ الَّذِي يَلِي جَسَدَهُ مِنْ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، ثُمّ يُصَبّ عَلَى رَأْسِ الْمَعِينِ مِنْ خَلْفِهِ بَغْتَةً، وَهَذَا مِمّا لَا يَنَالُهُ عِلَاجُ الْأَطِبّاءِ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ أَنْكَرَهُ، أَوْ سَخِرَ مِنْهُ، أَوْ شَكّ فِيهِ، أَوْ فَعَلَهُ مُجَرِّبًا لَا يَعْتَقِدُ أَنّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُ.

وَإِذَا كَانَ فِي الطَّبِيعَةِ خَوَاصّ لَا تَعْرِفُ الْأَطِبَّاءُ عِلَلَهَا أَلْبَتَّةَ، بَلْ هِيَ عِنْدَهُمْ خَارِجَةٌ عَنْ قِيَاسِ الطَّبِيعَةِ تَفْعَلُ بِالْخَاصِّيَّةِ، فَمَا الَّذِي يُنْكِرُهُ زَنَادِقَتُهُمْ وَجَهَلَتُهُمْ مِنَ الْخَوَاصّ الشَّرْعِيَّةِ، هَذَا مَعَ أَنَّ فِي الْمُعَالَجَةِ بِهَذَا الِاسْتِغْسَالِ مَا تَشْهَدُ لَهُ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ وَتُقِرّ لِمُنَاسَبَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ تِرْيَاقَ سُمّ الْحَيَّةِ فِي لَحْمِهَا، وَأَنَّ عِلَاجَ تَأْثِيرِ النَّفْسِ الْغَضَبِيَّةِ فِي تَسْكِينِ غَضَبِهَا، وَإِطْفَاءِ نَارِهِ بِوَضْعِ يَدِكَ عَلَيْهِ، وَالْمَسْحِ عَلَيْهِ، وَتَسْكِينِ غَضَبِهِ، وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَقْذِفَك بِهَا، فَصَبَبْتَ عَلَيْهَا الْمَاءَ، وَهِيَ فِي يَدِهِ حَتَّى طُفِئَت، وَلِذَلِكَ أُمِرَ الْعَائِنُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ» لِيَدْفَعَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ الْخَبِيثَةَ بِالدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ إِحْسَانٌ إِلَى الْمَعِينِ؛ فَإِنَّ دَوَاءَ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ. وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْخَبِيثَةُ تَظْهَرُ فِي الْمَوَاضِعِ الرَّقِيقَةِ مِنْ الْجَسَدِ؛ لأنهَا تَطْلُبُ النُّفُوذَ، فَلَا تَجِدُ أَرَقّ مِنْ الْمَغَابِنِ، وَدَاخِلَةِ الْإِزَارِ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ كِنَايَةً عَنْ الْفَرْجِ، فَإِذَا غُسِلَتْ بِالْمَاءِ، بَطَلَ تَأْثِيرُهَا وَعَمَلُهَا، وَأَيْضًا فَهَذِهِ الْمَوَاضِعُ لِلْأَرْوَاحِ الشَّيْطَانِيَّةِ بِهَا اخْتِصَاصٌ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ غَسْلَهَا بِالْمَاءِ يُطْفِئُ تِلْكَ النَّارِيَّةَ، وَيَذْهَبُ بِتِلْكَ السَّمِّيَّةِ.

وَفِيهِ أَمْرٌ آخَرُ، وَهُوَ وُصُولُ أَثَرِ الْغَسْلِ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَرَقّ الْمَوَاضِعِ وَأَسْرَعِهَا تَنْفِيذًا، فَيُطْفِئُ تِلْكَ النَّارِيَّةَ وَالسَّمِّيَةَ بِالْـمَاءِ.

فَيُشْفَى الْمَعِينُ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ ذَوَاتِ السُّمُومِ إِذَا قُتِلَتْ بَعْدَ لَسْعِهَا، خَفّ أَثَرُ اللَّسْعَةِ عَنْ الْمَلْسُوعِ، وَوَجَدَ رَاحَةً، فَإِنَّ أَنْفُسَهَا تَمُدّ أَذَاهَا بَعْدَ لَسْعِهَا، وَتُوَصِّلُهُ إِلَى الْمَلْسُوعِ.

فَإِذَا قُتِلَتْ، خَفّ الْأَلَمُ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَسْبَابِهِ فَرَحُ الْمَلْسُوعِ، وَاسْتِشْفَاءُ نَفْسِهِ بِقَتْلِ عَدُوِّهِ، فَتَقْوَى الطَّبِيعَةُ عَلَى الْأَلَمِ، فَتَدْفَعُهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ: غَسْلُ الْعَائِنِ يُذْهِبُ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ غَسْلُهُ عِنْدَ تَكَيُّفِ نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ ظَهَرَتْ مُنَاسَبَةُ الْغَسْلِ، فَمَا مُنَاسَبَةُ صَبِّ ذَلِكَ الْمَاءِ عَلَى الْمَعِينِ؟ قِيلَ: هُوَ فِي غَايَةِ الْمُنَاسَبَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ مَاءٌ طُفِئَ بِهِ تِلْكَ النَّارِيَّةُ، وَأُبْطِلَ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةُ الرَّدِيئَةُ مِنْ الْفَاعِلِ، فَكَمَا طُفِئَت بِهِ النَّارِيَّةُ الْقَائِمَةُ بِالْفَاعِلِ طُفِئَت بِهِ، وَأُبْطِلَتْ عَنْ الْمَحَلِّ الْمُتَأَثِّرِ بَعْدَ مُلَابَسَتِهِ لِلْمُؤَثِّرِ الْعَائِنِ، وَالْمَاءُ الَّذِي يُطْفَأُ بِهِ الْحَدِيدُ يَدْخُلُ فِي أَدْوِيَةٍ عِدَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ ذَكَرَهَا الْأَطِبَّاءُ، فَهَذَا الَّذِي طُفِئَ بِهِ نَارِيَّةُ الْعَائِنِ، لَا يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَدْخُلَ فِي دَوَاءٍ يُنَاسِبُ هَذَا الدَّاءَ، وَبِالْجُمْلَةِ: فَطِبُّ الطَّبَائِعِيَّةِ وَعِلَاجُهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعِلَاجِ النَّبَوِيِّ، كَطِبِّ الطُّرُقِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى طِبِّهِمْ، بَلْ أَقَلّ، فَإِنَّ التَّفَاوُتَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ أَعْظَمُ، وَأَعْظَمُ مِنْ التَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الطُّرُقِيَّةِ بِمَا لَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ، فَقَدْ ظَهَرَ لَك عَقْدُ الْإِخَاءِ الَّذِي بين الحكمة، والشرع، وعدم مُنَاقَضَةِ أَحَدِهِمَا لِلْآخَرِ، واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الصَّوَابِ، وَيَفْتَحُ لِمَنْ أَدَامَ قَرْعَ بَاب التَّوْفِيقِ مِنْهُ كُلَّ بَابٍ، وَلَهُ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

فصل

وَمِنْ عِلَاجِ ذَلِكَ أَيْضًا وَالِاحْتِرَازِ مِنْهُ سَتْرُ مَحَاسِنِ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِ الْعَيْنُ بِمَا يَرُدُّهَا عَنْهُ، كَمَا ذَكَرَ الْبَغَوِيّ فِي كِتَابِ (شَرْحِ السُّنَّةِ): أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى صَبِيًّا مَلِيحًا، فَقَالَ: دَسِّمُوا نُونَتَهُ؛ لِئَلَّا تُصِيبَهُ الْعَيْنُ، ثُمَّ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ: وَمَعْنَى: دَسِّمُوا نُونَتَهُ: أَيْ: سَوِّدُوا نُونَتَهُ، وَالنُّونَةُ: النُّقْرَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي ذَقَنِ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ.

قَالَ الْخَطَّابِي فِي (غَرِيبِ الْحَدِيثِ) لَهُ عَنْ عُثْمَانَ: إِنَّهُ رَأَى صَبِيًّا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ، فَقَالَ: دَسِّمُوا نُونَتَهُ. فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: سَأَلْت أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى عَنْهُ، فَقَالَ: أَرَادَ بِالنُّونَةِ: النُّقْرَةُ الَّتِي فِي ذَقَنِهِ. وَالتَّدْسِيمُ: التَّسْوِيدُ. أَرَادَ: سَوِّدُوا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ ذَقَنِهِ؛ لِيَرُدَّ الْعَيْنَ. قَالَ: وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ دَسْمَاءُ، أَيْ: سَوْدَاءُ. أَرَادَ الِاسْتِشْهَادَ عَلَى اللَّفْظَةِ، وَمِنْ هَذَا أَخَذَ الشَّاعِرُ قَوْلَهُ:

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إلى ... عَيْبٍ يُوَقِّيهِ مِنْ الْعَيْنِ

فَصْلٌ

وَمِنْ الرّقَى الّتِي تَرُدّ الْعَيْنَ مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله السّاجِيّ، أَنّهُ كَانَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ لِلْحَجّ أَوْ الْغَزْوِ عَلَى نَاقَةٍ فَارِهَةٍ، وَكَانَ فِي الرّفْقَةِ رَجُلٌ عَائِنٌ، قَلّمَا نَظَرَ إلَى شَيْءٍ إلّا أَتْلَفَهُ، فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ الله: احْفَظْ نَاقَتَك مِنْ الْعَائِنِ، فَقَالَ: لَيْسَ لَهُ إلَى نَاقَتِي سَبِيلٌ، فَأُخْبِرَ الْعَائِنُ بِقَوْلِهِ، فَتَحَيّنَ غَيْبَةَ أَبِي عَبْدِ الله، فَجَاءَ إلَى رَحْلِهِ، فَنَظَرَ إلَى النّاقَةِ، فَاضْطَرَبَتْ وَسَقَطَتْ، فَجَاءَ أَبُو عَبْدِ الله، فَأُخْبِرَ أَنّ الْعَائِنَ قَدْ عَانَهَا، وَهِيَ كَمَا تَرَى، فَقَالَ: دِلّونِي عَلَيْهِ، فَدُلّ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: بِسْمِ الله، حَبْسٌ حَابِسٌ، وَحَجَرٌ يَابِسٌ، وَشِهَابٌ قَابِسٌ، رَدَدْتُ عَيْنَ الْعَائِنِ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَحَبّ النّاسِ إلَيْهِ، ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، فَخَرَجَتْ حَدَقَتَا الْعَائِنِ، وَقَامَتْ النّاقَةُ لَا بَأْسَ بِهَا» انتهى.

٨- من تطَبَّب ولم يُعرف عنه طب:

٤١- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يَكُنْ بِالطِّبِ مَعْرُوفًا، فَأَصَابَ نَفْسًا فَمَا دُونَهَا فَهُوَ ضَامِنٌ**»(١).

وفي بعض الروايات: «**مَنْ تَطَبّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ الطّبّ فَهُوَ ضَامِنٌ**»(٢).

هذا العنوان معقود بسبب أن هذا الباب دخله من لا يحسنه فأساء جدًّا، وجُلّ المعالجين يحتاجون إلى العلاج، غير أنهم جهلة به.

ومنذ شهور جاءني والد فتاة في العشرين من عمرها أصابها مَسٌّ فذهب بها إلى

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود [٤٥٨٦]، والنسائي (٨/ ٥٢-٥٣)، وابن ماجه [٣٤٦٦]، والدارقطني (٣/ ١٩٥-١٩٦)، (٤/ ٢١٥-٢١٦)، والحاكم (٤/ ٢١٢)، وابن عدي (٥/ ١١٥)، والبيهقي (٨/ ١٤١).

(٢) انظر: (الصحيحة) [٦٣٥]، وصحيح الجامع [٦١٥٣].

بعض هؤلاء ممن أشرنا إليهم، فما كان منه إلاّ أنه صعقها بالكهرباء فماتت وهي عروس قد قرب زفافها!! ويريد والدها عمل بلاغ في النيابة بسبب قتله لابنته.

وبعدما هدأت من روعه، أشرت عليه بأن هذا المعالج ضامن كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وانصرف الرجل مشكورًا راضيًا بالحكم، وأقول: ماذا لو لم يرضَ بالحكم وأصرَّ على عمل بلاغ، وأصبحت فضيحة.

وغير ما ذكرت كثير ممن وقعوا في هذا الأمر بسبب عدم إحسانهم لأمر العلاج والتداوي؛ لأجل هذا وغيره ألحقت بالتداوي هذا العنوان من باب التذكير والنصح، والله من وراء القصد.

وإليك بعض ما ذكره العلامة ابن القيم في (الزاد) (٤/١٣٥-١٤٦): «هَذَا الْحَدِيثُ يَتَعَلَّقُ بِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: أَمْرٌ لُغَوِيّ، وَأَمْرٌ فِقْهِيّ، وَأَمْرٌ طِبِّيّ.

فَأَمَّا اللُّغَوِيّ: فَالطِّبّ بِكَسْرِ الطَّاءِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، يُقَالُ عَلَى مَعَانٍ؛ مِنْهَا الْإِصْلَاحُ، يُقَالُ: طَبَّبْتُهُ إِذَا أَصْلَحْته، وَيُقَالُ: لَهُ طِبّ بِالْأُمُورِ، أَيْ: لُطْفٌ وَسِيَاسَةٌ.. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِذَا تَغَيَّرَ مِنْ تَمِيمٍ أَمْرُهَا ... كُنْت الطَّبِيبَ لَهَا بِرَأْيٍ ثَاقِبِ

وَمِنْهَا الْحِذْقُ، قَالَ الْجَوْهَرِيّ: «كُلّ حَاذِقٍ طَبِيبٌ عِنْدَ الْعَرَبِ»، قَالَ أَبُو عُبَيدٍ: «أَصْلُ الطِّبّ: الْحِذْقُ بِالْأَشْيَاءِ وَالْمَهَارَةُ بِهَا، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: طِبّ وَطَبِيبٌ: إذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ عِلَاجِ الْمَرِيضِ»، وَقَالَ غَيْرُهُ: «رَجُلٌ طَبِيبٌ: أَيْ حَاذِقٌ، سُمّيَ طَبِيبًا لِحِذْقِهِ وَفِطْنَتِهِ»، «قَالَ عَلْقَمَةُ:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ

إذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدّهِنّ نَصِيبُ»

وَقَالَ عَنْتَرَةُ:

«إِنْ تُغْدِ فِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنَّنِي ... طِبٌّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْئِمِ

أَيْ: إِنْ تُرْخِي عَنِّي قِنَاعَك وَتَسْتُرِي وَجْهَك رَغْبَةً عَنِّي؛ فَإِنِّي خَبِيرٌ حَاذِقٌ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الَّذِي قَدْ لَبِسَ لَأْمَةَ حَرْبِهِ».

وَمِنْهَا الْعَادَةُ، يُقَالُ: لَيْسَ ذَاكَ بِطِبِّي، أَيْ: عَادَتِي».

قَالَ فَرْوَةُ بْنُ مُسَيْكٍ:

فَمَا إِنْ طِبُّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ ... مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّي:

وَمَا التِّيهُ طِبِّي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ

وَمِنْهَا السِّحْرُ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ مَطْبُوبٌ، أَيْ: مَسْحُورٌ، وَفِي (الصَّحِيحِ) فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سَحَرَتْ يَهُودُ رَسُولَ الله ﷺ، وَجَلَسَ الْمَلَكَانِ عِنْدَ رَأْسِهِ وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ الْآخَرُ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: فُلَانٌ الْيَهُودِيّ.

قَالَ أَبُو عُبَيدٍ: إِنَّمَا قَالُوا لِلْمَسْحُورِ: مَطْبُوبٌ؛ لأَنهُمْ كَنَّوْا بِالطِّبِّ عَنْ السِّحْرِ، كَمَا كَنَّوْا عَنْ اللَّدِيغِ، فَقَالُوا: سَلِيمٌ تَفَاؤُلًا بِالسَّلَامَةِ، وَكَمَا كَنَّوْا بِالْمَفَازَةِ عَنْ الْفَلَاةِ الْمُهْلِكَةِ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا، فَقَالُوا: مَفَازَةً تَفَاؤُلًا بِالْفَوْزِ مِنْ الْهَلَاكِ. وَيُقَالُ: الطِّبُّ لِنَفْسِ الدَّاءِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْأَسْلَتِ:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِي ... أَسِحْرٌ كَانَ طِبُّكَ أَمْ جُنُونٌ

وَأَمَّا قَوْلُ الْحَمَاسِيِّ:

فَإِنْ كُنْتَ مَطْبُوبًا فَلَا زِلْتَ هَكَذَا ... وَإِنْ كُنْتَ مَسْحُورًا فَلَا بَرِئَ السِّحْرُ

فإنه أَرَادَ بِالْمَطْبُوبِ الَّذِي قَدْ سُحِرَ، وَأَرَادَ بِالْمَسْحُورِ: الْعَلِيلُ بِالْمَرَضِ.

قَالَ الْجَوْهَرِيّ: «وَيُقَالُ لِلْعَلِيلِ: مَسْحُورٌ، وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ، وَمَعْنَاهُ: إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي قَدْ عَرَانِي مِنْك وَمِنْ حُبّك أَسْأَلُ الله دَوَامَهُ، وَلَا أُرِيدُ زَوَالَهُ، سَوَاءٌ كَانَ سِحْرًا أَوْ مَرَضًا».

وَالطّبّ مُثَلّثُ الطّاءِ، فَالْمَفْتُوحُ الطّاءِ: هُوَ الْعَالِمُ بِالْأُمُورِ، وَكَذَلِكَ الطّبِيبُ يُقَالُ لَهُ: طِبّ أَيْضًا، وَالطّبّ: بِكَسْرِ الطّاءِ: فِعْلُ الطّبِيبِ، وَالطّبّ بِضَمّ الطّاءِ: اسْمُ مَوْضِعٍ، قَالَهُ ابْنُ السّيّدِ وَأَنْشَدَ:

فَقُلْتُ هَلْ انْهَلْتُمْ بِطُبّ رِكَابِكُمْ ... بِجَائِزَةِ الْمَاءِ الّتِي طَابَ طِينُهَا

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ تَطَبّبَ**» وَلَمْ يَقُلْ: مَنْ طُبّ؛ لأن لَفْظَ التّفَعّلِ يَدُلّ عَلَى تَكَلّفِ الشّيْءِ وَالدّخُولِ فِيهِ بِعُسْرٍ وَكُلْفَةٍ، وَأَنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، كَتَحَلّمَ وَتَشَجّعَ وَتَصَبّرَ وَنَظَائِرِهَا، وَكَذَلِكَ بَنَوْا تَكَلّفَ عَلَى هَذَا الْوَزْنِ.

قَالَ الشّاعِرُ:

وَقَيْسُ عَيْلانَ وَمَنْ تَقَيّسَا

وَأَمّا الْأَمْرُ الشّرْعِيّ، فَإِيجَابُ الضّمَانِ عَلَى الطّبِيبِ الْجَاهِلِ، فَإِذَا تَعَاطَى عِلْمَ الطّبّ وَعَمَلَهُ، وَلَمْ يَتَقَدّمْ لَهُ بِهِ مَعْرِفَةٌ، فَقَدْ هَجَمَ بِجَهْلِهِ عَلَى إِتْلَافِ الْأَنْفُسِ، وَأَقْدَمَ بِالتّهَوّرِ عَلَى مَا لَمْ يَعْلَمْهُ، فَيَكُونُ قَدْ غَرّرَ بِالْعَلِيلِ، فَيَلْزَمُهُ الضّمَانُ لِذَلِكَ، وهذا اجتماع من أهل العلم.

قَالَ الْخَطّابِي: لَا أَعْلَمُ خِلَافًا فِي أَنّ الْمُعَالِجَ إذَا تَعَدّى، فَتَلِفَ الْمَرِيضُ كَانَ ضَامِنًا، وَالْمُتَعَاطِي عِلْمًا أَوْ عَمَلًا لَا يَعْرِفُهُ مُتَعَدّ، فَإِذَا تَوَلّدَ مِنْ فِعْلِهِ التّلَفُ ضَمِنَ الدّيَةَ وَسَقَطَ عَنْهُ الْقَوَدُ؛ لأنهُ لَا يَسْتَبِدّ بِذَلِكَ بِدُونِ إِذْنِ الْمَرِيضِ، وَجِنَايَةُ الْمُتَطَبّبِ فِي قَوْلِ عَامّةِ الْفُقَهَاءِ عَلَى عَاقِلَتِهِ.

قُلْت: الْأَقْسَامُ خَمْسَةٌ: أَحَدُهَا - طَبِيبٌ حَاذِقٌ أَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا وَلَمْ تَجْنِ يَدُهُ،

فَتَوَلَّدَ مِنْ فِعْلِهِ الْمَأْذُونِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الشَّارِعِ، وَمِنْ جِهَةِ مَنْ يَطِبُّهُ تَلَفُ الْعُضْوِ أَوْ النَّفْسِ، أَوْ ذَهَابُ صِفَةٍ، فَهَذَا لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ اتِّفَاقًا؛ فَإِنَّهَا سِرَايَةُ مَأْذُونٍ فِيهِ، وَهَذَا كَمَا إِذَا خَتَنَ الصَّبِيَّ فِي وَقْتٍ، وَسِنُّهُ قَابِلٌ لِلْخِتَانِ، وَأَعْطَى الصَّنْعَةَ حَقَّهَا فَتَلِفَ الْعُضْوُ أَوْ الصَّبِيُّ، لَمْ يَضْمَنْ، وَكَذَلِكَ إِذَا بَطَّ مِنْ عَاقِلٍ أَوْ غَيْرِهِ مَا يَنْبَغِي بَطُّهُ فِي وَقْتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي فَتَلِفَ بِهِ، لَمْ يَضْمَنْ، وَهَكَذَا سِرَايَةُ كُلِّ مَأْذُونٍ فِيهِ لَمْ يَتَعَدَّ الْفَاعِلُ فِي سَبَبِهَا، كَسِرَايَةِ الْحَدِّ بِالِاتِّفَاقِ. وَسِرَايَةِ الْقِصَاصِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ فِي إِيجَابِهِ الضَّمَانَ بِهَا، وَسِرَايَةِ التَّعْزِيرِ، وَضَرْبِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَالْمُعَلِّمِ الصَّبِيَّ، وَالْمُسْتَأْجِرِ الدَّابَّةَ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ فِي إِيجَابِهِمَا الضَّمَانَ فِي ذَلِكَ، وَاسْتَثْنَى الشَّافِعِيُّ ضَرْبَ الدَّابَّةِ.

وَقَاعِدَةُ الْبَابِ إِجْمَاعًا وَنِزَاعًا: أَنَّ سِرَايَةَ الْجِنَايَةِ مَضْمُونَةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَسِرَايَةُ الْوَاجِبِ مُهْدَرَةٌ بِالِاتِّفَاقِ، وَمَا بَيْنَهُمَا فَفِيهِ النِّزَاعُ. فَأَبُو حَنِيفَةَ أَوْجَبَ ضَمَانَهُ مُطْلَقًا، وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ أَهْدَرَا ضَمَانَهُ، وَفَرَّقَ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ الْمُقَدَّرِ، فَأَهْدَرَ ضَمَانَهُ، وَبَيْنَ غَيْرِ الْمُقَدَّرِ فَأَوْجَبَ ضَمَانَهُ. فَأَبُو حَنِيفَةَ نَظَرَ إِلَى أَنَّ الْإِذْنَ فِي الْفِعْلِ إِنَّمَا وَقَعَ مَشْرُوطًا بِالسَّلَامَةِ، وَأَحْمَدُ وَمَالِكٌ نَظَرَا إِلَى أَنَّ الْإِذْنَ أَسْقَطَ الضَّمَانَ، وَالشَّافِعِيُّ نَظَرَ إِلَى أَنَّ الْمُقَدَّرَ لَا يُمْكِنُ النُّقْصَانُ مِنْهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّصِّ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمُقَدَّرِ كَالتَّعْزِيرَاتِ، وَالتَّأْدِيبَاتِ، فَاجْتِهَادِيَّةٌ، فَإِذَا تَلِفَ بِهَا، ضَمِنَ؛ لأنهُ فِي مَظِنَّةِ الْعُدْوَانِ.

فَصْلٌ

الْقِسْمُ الثَّانِي - مُطَبِّبٌ جَاهِلٌ بَاشَرَتْ يَدُهُ مَنْ يَطِبُّهُ، فَتَلِفَ بِهِ، فَهَذَا إِنْ عَلِمَ الْمُجْنِيّ عَلَيْهِ أَنَّهُ جَاهِلٌ لَا عِلْمَ لَهُ، وَأَذِنَ لَهُ فِي طِبِّهِ لَمْ يَضْمَنْ، وَلَا تُخَالِفُ هَذِهِ الصُّورَةُ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّ السِّيَاقَ وَقُوَّةَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَرَّ الْعَلِيلَ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّهُ طَبِيبٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنْ ظَنَّ الْمَرِيضُ أَنَّهُ طَبِيبٌ، وَأَذِنَ لَهُ فِي طِبِّهِ لِأَجْلِ مَعْرِفَتِهِ، ضَمِنَ الطَّبِيبُ مَا

جَنتْ يَدُهُ، وَكَذَلِكَ إِنْ وَصَفَ لَهُ دَوَاءً يَسْتَعْمِلُهُ، وَالْعَلِيلُ يَظُنّ أَنّهُ وَصَفَهُ لِمَعْرِفَتِهِ وَحِذْقِهِ فَتَلِفَ بِهِ، ضَمِنَهُ، وَالْحَدِيثُ ظَاهِرٌ فِيهِ أَوْ صَرِيحٌ.

فَصْلٌ

الْقِسْمُ الثّالِثُ - طَبِيبٌ حَاذِقٌ، أَذِنَ لَهُ، وَأَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا، لَكِنّهُ أَخْطَأَتْ يَدُهُ، وَتَعَدّتْ إِلَى عُضْوٍ صَحِيحٍ فَأَتْلَفَهُ، مِثْلَ: أَنْ سَبَقَتْ يَدُ الْخَاتِنِ إِلَى الْكَمَرَةِ، فَهَذَا يَضْمَنُ؛ لأنهَا جِنَايَةُ خَطَأٍ، ثُمّ إِنْ كَانَتْ الثّلُثَ فَمَا زَادَ، فَهُوَ عَلَى عَاقِلَتِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَاقِلَةٌ، فَهَلْ تَكُونُ الدّيَةُ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي بَيْتِ الْمَالِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، هُمَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ. وَقِيلَ: إِنْ كَانَ الطّبِيبُ ذِمّيّا، فَفِي مَالِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، فَفِيهِ الرّوَايَتَانِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْتُ مَالٍ، أَوْ تَعَذّرَ تَحْمِيلُهُ، فَهَلْ تَسْقُطُ الدّيَةُ، أَوْ تَجِبُ فِي مَالِ الْجَانِي؟ فِيهِ وَجْهَانِ أَشْهَرُهُمَا: سُقُوطُهَا.

فَصْلٌ

الْقِسْمُ الرّابِعُ - الطّبِيبُ الْحَاذِقُ الْمَاهِرُ بِصِنَاعَتِهِ، اجْتَهَدَ فَوَصَفَ لِلْمَرِيضِ دَوَاءً، فَأَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ، فَقَتَلَهُ: فَهَذَا يُخَرّجُ عَلَى رِوَايَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا - أَنّ دِيَةَ الْمَرِيضِ فِي بَيْتِ الْمَالِ. وَالثّانِيَةُ - أَنّهَا عَلَى عَاقِلَةِ الطّبِيبِ، وَقَدْ نَصّ عَلَيْهِمَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي خَطَأِ الْإِمَامِ وَالْحَاكِمِ.

فصل

الْقِسْمُ الْخَامِسُ - طَبِيبٌ حَاذِقٌ، أَعْطَى الصّنْعَةَ حَقّهَا فَقَطَعَ سِلْعَةً مِنْ رَجُلٍ أَوْ صَبِيّ، أَوْ مَجْنُونٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أَوْ إِذْنِ وَلِيّهِ، أَوْ خَتَنَ صَبِيّا بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيّهِ فَتَلِفَ، فَقَالَ أَصْحَابُنَا: يَضْمَنُ؛ لأنهُ تَوَلّدَ مِنْ فِعْلٍ غَيْرِ مَأْذُونٍ فِيهِ، وَإِنْ أَذِنَ لَهُ الْبَالِغُ، أَوْ وَلِيّ الصّبِيّ وَالْمَجْنُونِ، لَمْ يَضْمَنْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَضْمَنَ مُطْلَقًا لِأَنّهُ مُحْسِنٌ، وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ. وَأَيْضًا فَإِنّهُ إِنْ كَانَ مُتَعَدّيًا، فَلَا أَثَرَ لِإِذْنِ الْوَلِيّ فِي إِسْقَاطِ الضّمَانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَدّيًا، فَلَا وَجْهَ لِضَمَانِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: هُوَ مُتَعَدّ عِنْدَ عَدَمِ الْإِذْنِ، غَيْرُ مُتَعَدّ عِنْدَ الْإِذْنِ، قُلْت: الْعُدْوَانُ وَعَدَمُهُ إِنّمَا يَرْجِعُ إِلَى فِعْلِهِ هُوَ، فَلَا أَثَرَ لِلْإِذْنِ وَعَدَمِهِ فِيهِ وَهَذَا مَوْضِعُ نَظَرٍ.

فصل

وَالطَّبِيبُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَتَنَاوَلُ مَنْ يَطِبّ بِوَصْفِهِ وَقَوْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُخَصّ بِاسْمِ الطَّبَائِعِيّ، وَبِمِرْوَدِهِ، وَهُوَ الْكَحَّالُ، وَبِمِبْضَعِهِ وَمَرَاهِمِهِ وَهُوَ الْجَرَائِحِيّ، وَبِمُوسَاهُ وَهُوَ الْخَاتِنُ، وَبِرِيشَتِهِ وَهُوَ الْفَاصِدُ، وَبِمَحَاجِمِهِ وَمِشْرَطِهِ وَهُوَ الْحَجَّامُ، وَبِخَلْعِهِ وَوَصْلِهِ وَرِبَاطِهِ وَهُوَ الْمُجَبِّرُ،وَبِمِكْوَاتِهِ وَنَارِهِ وَهُوَ الْكَوَّاءُ، وَبِقِرْبَتِهِ وَهُوَ الْحَاقِنُ، وَسَوَاءٌ كَانَ طِبُّهُ لِحَيَوَانٍ بَهِيمٍ، أَوْ إِنْسَانٍ، فَاسْمُ الطَّبِيبِ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَتَخْصِيصُ النَّاسِ لَهُ بِبَعْضِ أَنْوَاعِ الْأَطِبَّاءِ عُرْفٌ حَادِثٌ، كَتَخْصِيصِ لَفْظِ الدَّابَّةِ بِمَا يَخُصُّهَا بِهِ كُلّ قَوْمٍ.

فَصْلٌ

وَالطَّبِيبُ الْحَاذِقُ: هُوَ الَّذِي يُرَاعِي فِي عِلَاجِهِ عِشْرِينَ أَمْرًا:

أَحَدُهَا - النَّظَرُ فِي نَوْعِ الْمَرَضِ مِنْ أَيِّ الْأَمْرَاضِ هُوَ؟

الثَّانِي - النَّظَرُ فِي سَبَبِهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ حَدَثَ، وَالْعِلَّةُ الْفَاعِلَةُ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ حُدُوثِهِ مَا هِيَ؟

الثَّالِثُ - قُوَّةُ الْمَرِيضِ، وَهَلْ هِيَ مُقَاوِمَةٌ لِلْمَرَضِ، أَوْ أَضْعَفُ مِنْهُ؟ فَإِنْ كَانَتْ مُقَاوِمَةً لِلْمَرَضِ، مُسْتَظْهِرَةً عَلَيْهِ، تَرَكَهَا وَالْمَرَضَ، وَلَمْ يُحَرِّكْ بِالدَّوَاءِ سَاكِنًا.

الرَّابِعُ - مِزَاجُ الْبَدَنِ الطَّبِيعِيّ مَا هُوَ؟

الْخَامِسُ - الْمِزَاجُ الْحَادِثُ عَلَى غَيْرِ الْـمُجْرَى الطَّبِيعِيّ.

السَّادِسُ - سِنّ الْمَرِيضِ.

السَّابِعُ - عَادَتُهُ.

الثَّامِنُ - الْوَقْتُ الْحَاضِرُ مِنْ فُصُولِ السَّنَةِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ.

التَّاسِعُ - بَلَدُ الْمَرِيضِ وَتُرْبَتُهُ.

الْعَاشِرُ - حَالُ الْهَوَاءِ فِي وَقْتِ الْمَرَضِ.

الْحَادِيَ عَشَرَ - النَّظَرُ فِي الدَّوَاءِ الْمُضَادِّ لِتِلْكَ الْعِلَّةِ.

الثَّانِيَ عَشَرَ - النَّظَرُ فِي قُوَّةِ الدَّوَاءِ وَدَرَجَتِهِ، وَالْمُوَازَنَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُوَّةِ الْمَرِيضِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ - أَلَّا يَكُونَ كُلُّ قَصْدِهِ إِزَالَةَ تِلْكَ الْعِلَّةِ فَقَطْ، بَلْ إِزَالَتُهَا عَلَى وَجْهٍ يَأْمَنُ مَعَهُ حُدُوثَ أَصْعَبَ مِنْهَا فَمَتَى كَانَ إِزَالَتُهَا لَا يَأْمَنُ مَعَهَا حُدُوثَ عِلَّةٍ أُخْرَى أَصْعَبَ مِنْهَا أَبْقَاهَا عَلَى حَالِهَا وَتَلْطِيفُهَا هُوَ الْوَاجِبُ وَهَذَا كَمَرَضِ أَفْوَاهِ الْعُرُوقِ فَإِنَّهُ مَتَى عُولِجَ بِقَطْعِهِ وَحَبْسِهِ خِيفَ حُدُوثُ مَا هُوَ أَصْعَبُ مِنْهُ.

الرَّابِعَ عَشَرَ - أَنْ يُعَالِجَ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ، فَلَا يَنْتَقِلُ مِنَ الْعِلَاجِ بِالْغِذَاءِ إِلَى الدَّوَاءِ إِلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِهِ، وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى الدَّوَاءِ الْمُرَكَّبِ إِلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِ الدَّوَاءِ الْبَسِيطِ، فَمِنْ حِذْقِ الطَّبِيبِ عِلَاجُهُ بِالْأَغْذِيَةِ بَدَلَ الْأَدْوِيَةِ، وَبِالْأَدْوِيَةِ الْبَسِيطَةِ بَدَلَ الْمُرَكَّبَةِ.

الْخَامِسَ عَشَرَ - أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعِلَّةِ، هَلْ هِيَ مِمَّا يُمْكِنُ عِلَاجُهَا أَوْ لَا؟ فَإِنْ لم يمكن علاجها، حفظ صناعته وحرمته، ولا يحمله الطمع على علاج لا يُفِيدُ شَيْئًا. وَإِنْ أَمْكَنَ عِلَاجُهَا، نَظَرَ هَلْ يُمْكِنُ زَوَالُهَا أَمْ لَا؟ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ زَوَالُهَا، نَظَرَ هَلْ يُمْكِنُ تَخْفِيفُهَا وَتَقْلِيلُهَا أَمْ لَا؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَقْلِيلُهَا، وَرَأَى أَنَّ غَايَةَ الْإِمْكَانِ إِيقَافُهَا وَقَطْعُ زِيَادَتِهَا، قَصَدَ بِالْعِلَاجِ ذَلِكَ، وَأَعَانَ الْقُوَّةَ، وَأَضْعَفَ الْمَادَّةَ.

السَّادِسَ عَشَرَ - أَلَّا يَتَعَرَّضَ لِلْخَلْطِ قَبْلَ نُضْجِهِ بِاسْتِفْرَاغٍ، بَلْ يَقْصِدُ إِنْضَاجَهُ، فَإِذَا تَمَّ نُضْجُهُ، بَادَرَ إِلَى اسْتِفْرَاغِهِ.

السَّابِعَ عَشَرَ - أَنْ يَكُونَ لَهُ خِبْرَةٌ بِاعْتِلَالِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَأَدْوِيَتِهَا، وَذَلِكَ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي عِلَاجِ الْأَبْدَانِ؛ فَإِنَّ انْفِعَالَ الْبَدَنِ وَطَبِيعَتَهُ عَنِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ أَمْرٌ

مَشْهُودٌ وَالطَّبِيبُ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِأَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَالرّوحِ وَعِلَاجِهِمَا كَانَ هُوَ الطَّبِيبَ الْكَامِلَ، وَالَّذِي لَا خِبْرَةَ لَهُ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ حَاذِقًا فِي عِلَاجِ الطَّبِيعَةِ وَأَحْوَالِ الْبَدَنِ نِصْفُ طَبِيبٍ، وَكُلّ طَبِيبٍ لَا يُدَاوِي الْعَلِيلَ، بِتَفَقّدِ قَلْبِهِ وَصَلَاحِهِ، وَتَقْوِيَةِ رُوحِهِ، وَقُوَاهُ بِالصّدَقَةِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَالْإِحْسَانِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ وَالدّارِ الْآخِرَةِ، فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ، بَلْ مُتَطَبّبٌ قَاصِرٌ. وَمِنْ أَعْظَمِ عِلَاجَاتِ الْمَرَضِ فِعْلُ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالذّكْرُ وَالدّعَاءُ، وَالتّضَرّعُ وَالِابْتِهَالُ إِلَى اللهِ، وَالتّوْبَةُ، وَلِهَذِهِ الْأُمُورِ تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الْعِلَلِ، وَحُصُولِ الشّفَاءِ أَعْظَمُ مِنْ الْأَدْوِيَةِ الطّبِيعِيّةِ، وَلَكِنْ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ النّفْسِ وَقَبُولِهَا وَعَقِيدَتِهَا فِي ذَلِكَ وَنَفْعِهِ.

الثّامِنَ عَشَرَ - التّلَطّفُ بِالْمَرِيضِ وَالرّفْقُ بِهِ كَالتّلَطّفِ بِالصّبِيّ.

التّاسِعَ عَشَرَ - أَنْ يَسْتَعْمِلَ أَنْوَاعَ الْعِلَاجَاتِ الطّبِيعِيّةِ وَالْإِلَهِيّةِ، وَالْعِلَاجَ بِالتّخْيِيلِ؛ فَإِنّ لِحُذّاقِ الْأَطِبّاءِ فِي التّخْيِيلِ أُمُورًا عَجِيبَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الدّوَاءُ، فَالطّبِيبُ الْحَاذِقُ يَسْتَعِينُ عَلَى الْمَرَضِ بِكُلّ مُعِينٍ.

الْعِشْرُونَ- وَهُوَ مِلَاكُ أَمْرِ الطّبِيبِ، أَنْ يَجْعَلَ عِلَاجَهُ وَتَدْبِيرَهُ دَائِرًا عَلَى سِتّةِ أَرْكَانٍ: حِفْظُ الصّحّةِ الْمَوْجُودَةِ، وَرَدّ الصّحّةِ الْمَفْقُودَةِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وإزالة العلة أو تقليلها بحسب الإمكان، واحتمال أَدْنَى الْمَفْسَدَتَيْنِ لِإِزَالَةِ أَعْظَمِهِمَا، وَتَفْوِيتِ أَدْنَى الْمَصْلَحَتَيْنِ لِتَحْصِيلِ أَعْظَمِهِمَا، فَعَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ السّتّةِ مَدَارُ الْعِلَاجِ، وَكُلّ طَبِيبٍ لَا تَكُونُ هَذِهِ أَخِيّتَهُ الّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، فَلَيْسَ بِطَبِيبٍ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَلَمّا كَانَ لِلْمَرَضِ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ: ابْتِدَاءٌ، وَصُعُودٌ، وَانْتِهَاءٌ، وَانْحِطَاطٌ، تَعَيّنَ عَلَى الطّبِيبِ مُرَاعَاةُ كُلّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْمَرَضِ بِمَا يُنَاسِبُهَا وَيَلِيقُ بِهَا، وَيَسْتَعْمِلُ فِي كُلّ حَالٍ

مَا يَجِبُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا. فَإِذَا رَأَى فِي ابْتِدَاءِ الْمَرَضِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى مَا يُحَرِّكُ الْفَضَلَاتِ وَيَسْتَفْرِغُهَا لِنُضْجِهَا، بَادَرَ إِلَيْهِ، فَإِنْ فَاتَهُ تَحْرِيكُ الطَّبِيعَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْمَرَضِ لِعَائِقٍ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ لِضَعْفِ الْقُوَّةِ وَعَدَمِ احْتِمَالِهَا لِلِاسْتِفْرَاغِ، أَوْ لِبُرُودَةِ الْفَصْلِ، أَوْ لِتَفْرِيطٍ وَقَعَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي صُعُودِ الْمَرَضِ؛ لأنهُ إِنْ فَعَلَهُ، تَحَيَّرَتْ الطَّبِيعَةُ لِاشْتِغَالِهَا بِالدَّوَاءِ، وَتَخَلَّتْ عَنْ تَدْبِيرِ الْمَرَضِ وَمُقَاوَمَتِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَمِثَالُهُ: أَنْ يَجِيءَ إِلَى فَارِسٍ مَشْغُولٍ بِمُوَاقَعَةِ عَدُوِّهِ، فَيَشْغَلُهُ عَنْهُ بِأَمْرٍ آخَرَ، وَلَكِنَّ الْوَاجِبَ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُعِينَ الطَّبِيعَةَ عَلَى حِفْظِ الْقُوَّةِ مَا أَمْكَنَهُ.

فَإِذَا انْتَهَى الْمَرَضُ وَوَقَفَ وَسَكَنَ، أَخَذَ فِي اسْتِفْرَاغِهِ وَاسْتِئْصَالِ أَسْبَابِهِ، فَإِذَا أَخَذَ فِي الِانْحِطَاطِ، كَانَ أَوْلَى بِذَلِكَ. وَمِثَالُ هَذَا مِثَالُ الْعَدُوِّ إِذَا انْتَهَتْ قُوَّتُهُ، وَفَرَغَ سِلَاحُهُ، كَانَ أَخْذُهُ سَهْلًا، فَإِذَا وَلَّى وَأَخَذَ فِي الْهَرَبِ، كَانَ أَسْهَلَ أَخْذًا، وَحِدَّتُهُ وَشَوْكَتُهُ إِنَّمَا هِيَ فِي ابْتِدَائِهِ، وَحَالِ اسْتِفْرَاغِهِ، وَسِعَةِ قُوَّتِهِ، فَهَكَذَا الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ سَوَاءٌ.

فَصْلٌ

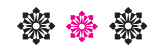
وَمِنْ حِذْقِ الطَّبِيبِ أَنَّهُ حَيْثُ أَمْكَنَ التَّدْبِيرُ بِالْأَسْهَلِ، فَلَا يَعْدِلُ إِلَى الأصعب، ويتدرج من الأضعف إلى الأقوى إلا أن يَخَافَ فَوْتَ الْقُوَّةِ حِينَئِذٍ، فَيَجِبُ أَنْ يَبْتَدِئَ بِالْأَقْوَى، وَلَا يُقِيمَ فِي الْمُعَالَجَةِ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ فَتَأْلَفُهَا الطَّبِيعَةُ، وَيَقِلَّ انْفِعَالُهَا عَنْهُ، وَلَا تَجْسُرُ عَلَى الْأَدْوِيَةِ الْقَوِيَّةِ فِي الْفُصُولِ الْقَوِيَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ إِذَا أَمْكَنَهُ الْعِلَاجُ بِالْغِذَاءِ، فَلَا يُعَالِجُ بِالدَّوَاءِ، وَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ أَحَارٌّ هُوَ أَمْ بَارِدٌ؟ فَلَا يُقْدِمُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ، وَلَا يُجَرِّبُهُ بِمَا يَخَافُ عَاقِبَتَهُ، وَلَا بَأْسَ بِتَجْرِبَتِهِ بِمَا لَا يَضُرُّ أَثَرُهُ.

وَإِذَا اجْتَمَعَتْ أَمْرَاضٌ، بَدَأَ بِمَا تَخُصُّهُ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ:

إِحْدَاهَا – أَنْ يَكُونَ بُرْءُ الْآخَرِ مَوْقُوفًا عَلَى بُرْئِهِ كَالْوَرَمِ وَالْقُرْحَةِ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ بِالْوَرَمِ.

الثَّانِيَةُ - أَنْ يَكُونَ أَحَدُهَا سَبَبًا لِلْآخَرِ، كَالسَّدَّةِ وَالْحُمَّى الْعَفِنَةِ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ بِإِزَالَةِ السَّبَبِ.

الثَّالِثَةُ - أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَهَمَّ مِنْ الْآخَرِ، كَالْحَادِّ وَالْمُزْمِنِ، فَيَبْدَأُ بِالْحَادِّ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يَغْفُلُ عَنْ الْآخَرِ، وَإِذَا اجْتَمَعَ الْمَرَضُ وَالْعَرَضُ، بَدَأَ بِالْمَرَضِ، إلَّا أَنْ يَكُونَ الْعَرَضُ أَقْوَى كَالْقُولَنْجِ، فَيُسَكِّنُ الْوَجَعَ أَوَّلًا، ثُمَّ يُعَالِجُ السَّدَّةَ، وَإِذَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَعْتَاضَ عَنْ الْمُعَالَجَةِ بِالِاسْتِفْرَاغِ بِالْجُوعِ أَوْ الصَّوْمِ أَوْ النَّوْمِ، لَمْ يَسْتَفْرِغْهُ، وَكُلُّ صِحَّةٍ أَرَادَ حِفْظَهَا حَفِظَهَا بِالْمِثْلِ أَوْ الشَّبَهِ، وَإِنْ أَرَادَ نَقْلَهَا إلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، نَقَلَهَا بِالضِّدِّ» انتهى.



التحصينات



التحصينات

التحصينات: جمع حصن.

قال في (اللسان): حَصُنَ المكانُ يَحْصُنُ حَصانَةً فهو حُصينٌ: مَنُع، وأحصنَه صاحِبُهُ وحَصَّنَهُ.

والحِصْنُ: كلُّ موضعٍ حَصينٍ، لا يُوصَلُ إلى ما في جوفه، والجمع حُصونٌ، وحِصنٌ حصينٌ من الحصانةِ، وحُصِّنتُ القرية إذا بَنَتْ حولها، وتحصَّنَ العدوُّ.

وأصل الإحصان: المنع.

وهو يأتي على معان -راجعها في (اللسان)، مادة: «حصن»-.

قال ابن فارس: «حصن: الحاء والصاد والنون أصلٌ واحد منقاس، وهو الحفظ والحِياطة والحِرز»[١].

وقال الفيروز أبادي: «الحِصنُ: كلُّ موضعٍ حَصينٍ لا يُوصَلُ إلى جوفه»[٢].

فالحصن والحِرز والحفظ بمعنى واحد.

وهذا المعنى ورد في الحديث الآتي: عن الحارث بن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهنَّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ...**»، وفي الحديث: «**وآمركم بذكر الله تعالى كثيرًا، ومثل ذلك كمثل رجلٍ طلبهُ العدو سِراعًا في أثرهِ فأتى حِصنًا حصينًا، فأحرز نفسهُ فيه، وإن العبد أحصنُ ما يكون من الشيطان إذا كان في ذِكر الله تعالى**»[٣] الحديث.

---

(١) معجم مقياس اللغة ص [٢١٢].

(٢) القاموس المحيط ص [٣٧١].

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم. انظر: صحيح الجامع [١٧٢٤].

والتحصينات هي عبارة عن أوراد وأذكار تُقال في الصباح، والمساء، وعند النوم، وعند الطعام، والشراب، واللباس، والجماع، والمدخل، والمخرج، والـمَنْزِل، وغير ذلك؛ يتحصن بها العبد من الشيطان.

وهذه الأذكار والأوراد عبارة عن ذِكر لله تعالى باللسان، أو عبارة عن صلاة، أو قراءة قرآن، أو آيات منه.

ولقد بيَّن النبي ﷺ ذلك في حديث أخرجه البخاري [١١٤٢]، ومسلم [٧٧٦]، ومالك (١/ ١٧٦)، وأحمد (٢/ ٢٤٣ - ٢٥٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»؛ ففي هذا الحديث المقطوع بصحته فوائد:

الأولى - أن ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ يفك عقد الشيطان، ومن باب أولى عقد السحر وغيره.

الثانية - أن الوضوء يساعد على ذلك؛ فهو سلاح المسلم الذي يتسلح به من عقد الشيطان.

الثالثة - أن الصلاة من الذِّكر؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، وأنها من أقوى ما يساعد على فك العقد الإبليسية التي عقدها الشيطان على قفا العبد؛ سواء بتركه الصلاة، أو بسبب السحر، والله أعلم.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا قام من نومه قرأ شيئًا من القرآن، كما في (الصحيح) وغيره، مع كونه -أي: الشيطان- أبعد الناس عنه ﷺ.

ولا شك أن أعدى عدو للإنسان هو الشيطان، والذِّكر أقوى من قتال الكفار، وهو من باب أولى أقوى على طرد الشيطان ودحره، فقال ﷺ كما في حديث أبي الدرداء: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ**»[1].

وذكر الله تعالى أنجى للعبد من عذاب الله، وأنجى من غواية الشيطان أيضًا.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما عمل آدميٌّ عملًا أنجى له من عذاب الله من ذِكر الله**»[2].

والشيطان أبعد من الذاكِر لله، ولأن الذكر تَحُفُّهُ الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتنزل عليه السكينة؛ فهو -أي: الشيطان- لا يحضره أبدًا؛ لأن الذاكر في معية الله، وتحوطه الملائكة من كل اتجاه.

قال ﷺ: «**ما من قومٍ يذكرون الله إلَّا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمةُ، ونزلت عليهم السكينةُ، وذكرهم الله فيمن عندهُ**» [3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ١٩٥)، وعبد الرزاق [٣٤٥٩٠]، والترمذي [٣٣٧٧]، وابن ماجه [٣٧٩٠]، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد، وغيره صحيح الجامع [٥٦٤٤].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة وأبي سعيد، ورواه مسلم عن أبي هريرة.

ولقد أمرنا النبي ﷺ بالتعوُّذ من شرِّ الشيطان في الصباح والمساء؛ لأنه يعلم خطورته على الإنسان، فقال فيما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة: «**قُل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالِم الغيب والشهادة، ربّ كل شيءٍ ومليكهُ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي ومن شرِّ الشيطان وشركِهِ، قُلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذتَ مضجعك**»[1].

وذِكر الله تعالى يشمل قراءة القرآن، ويشمل الأذكار الواردة الصحيحة عن النبي ﷺ، ويشمل الصلاة.



(١) انظر: صحيح الجامع [٤٤٠٢].

أولًا - التحصينات القرآنية

١- سورة الفاتحة:

لقد سبق في باب «الرُّقى - الرقية بالفاتحة» أحاديث، منها:

۞ عن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عَوَّذْني رسولُ الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلًا»، وهو حديث حسن كما سبق.

۞ وحديث أسماء مرفوعًا: «**من قرأ: الحمد لله، والمعوذتين، وقل هو الله أحد سبعًا سبعًا في مجلسه، بعد الجمعة حُفِظَ إلى الجمعة الأخرى**»، قال وكيع بن الجرَّاح: «فجرَّبناه، فوجدناه كذلك»، وإسناده صحيح كما سبق.

۞ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يرقي ويُحصِّن بالفاتحة».

٢- البقرة:

۞ عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة**» أي: السحَرة، وهو صحيح كما سبق.

قال العلامة المناوي في (الفيض) (٢/٦٦): «اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم، أي: في أماكنكم التي تسكنونها، بيتًا، أو خلوة، أو خباءً، أو غيرها...».

وقال ﷺ: «**إنَّ لكل شيءٍ سنامًا، وسنام القرآن سورة البقرة، وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تُقرأ خرج من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»[١].

وأخرجه مسلم [٧٨٠] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة**».

---

(١) حسن كما سبق.

وفي رواية: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تُقرأ البقرة فيه لا يدخله الشيطان**».

۞ وفي رواية ابن حبان عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من قرأها - يعني: البقرة - ليلًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال، ومن قرأها نهارًا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام**».

۞ وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**السورة التي تُذكر فيها البقرة فسطاط القرآن، فتعلموها؛ فإن تعلمها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلَة**»(١).

٣- آية الكرسي:

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من قرأ آية الكرسي، وحم -الأول: يعني سورة المؤمن، حتى ينتهي إلى ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ حين يُمسي؛ حُفِظ بهما حتى يُصبِح، ومن قرأ بهما مُصبحًا حُفِظ بهما حتى يُمسي**»(٢).

وفي رواية: «**من قرأ الكرسي وأول حم المؤمن؛ عُصِمَ ذلك اليوم من كلِّ سوء**»(٣).

۞ وأخرج البخاري [٢٣١١]، [٣٢٧٥] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أَويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختمها؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطانٌ حتى تُصبِح**».

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سبق في باب «الجنُّ يسرق»: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**»، وفيه أن الجن أوصاه بقراءة آية الكرسي، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صدقك وهو كذوب**».

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٥)، ومسلم [٢٥٢].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وحديث أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الجن الذي كان يسرق التمر أوصاه بقراءة آية الكرسي، وقال له النبي ﷺ: «**صدق الخبيث**».

وحديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قالت له الغول: إني ذاكرة لك شيئًا - آية الكرسي؛ اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره، ... وفيه قال النبي ﷺ: «**صدقتك وهي كذوب**».

وفي حديث مُعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه وقد سبق.

وحديث ابن مسعود في مصارعة عمر الجني، وفيه أن الجني أوصاه بقراءة آية الكرسي... الحديث.

٤- آخر البقرة:

عن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ الآيتين من آخر البقرة في ليلة كفتاه**»[(١)].

۞ وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختما بهما سورة البقرة، ولا يُقرآن في دارٍ ثلاث ليال فيقربها شيطان**»، وهو صحيح، وقد سبق.

۞ وأخرج الدارمي (٢/ ٤٤٨) بسندٍ صحيح، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثًا من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقرآن على مجنون إلاَّ أفاق**».

---

(١) أخرجه البخاري [٥٠٠٨-٥٠٠٩]، ومسلم [٨٠٨]، وقد سبق، وسبق القول في «كفتاه» أي: من كلِّ شرٍّ، ومن شرِّ الشيطان.

۞ وأخرج الدارمي [٣٣٨٤] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا أرى أحدًا عَقِل الإسلام ينام حتى يقرأ خواتيم سورة البقرة؛ فإنها كنز أُعطيه نبيكم ﷺ من تحت العرش».

٥- سورة الإخلاص:

۞ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده -يفعل ذلك ثلاثًا-»(١).

وفي رواية عند البخاري [٥٠١٦] عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان النبي ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعهُ كنتُ أقرأ عليه وأمسح بيده؛ رجاء بركتها».

۞ وعن عبد الله بن خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا في ليلةٍ مطيرةٍ، وظلمةٍ شديدةٍ نطلب رسول الله ﷺ يصلي بنا، قال: فأدركته، فقال: «**قُلْ**»، فلم أقُل شيئًا، ثم قال: «**قُلْ**»، فلم أقُل شيئًا، قال: «**قُلْ**»، فقلتُ: ماذا أقول؟ قال: «**قُلْ: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تُمسي وتصبِح ثلاث مرات تكفيك من كل شيءٍ**»(٢).

٦- التحصُّن بالمعوذتين:

سبق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ كان يجمع كفَّيه ويقرأ فيهما الإخلاص والمعوذتين.

---

(١) أخرجه البخاري [٥٠١٧]، وأبو داود [٥٠٥٦]، والترمذي [٣٦٤٢].

(٢) أخرجه الترمذي [٣٨٢٨]، وانظر: صحيح الترمذي [٢٨٢٩].

وفي رواية عند البخاري [٤٤٣٩]: «كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده».

وعند مسلم [٢١٩٢] في رواية: «كان إذا مرض أحدٌ من أهل بيته نفث عليه بالمعوِّذات».

۞ وعن أبي سعيد قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان، وعين الإنسان حتى نزلت المعوِّذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما»[١].

۞ وفي حديث عُقبة السابق: قال رسول الله ﷺ: «**يا عُقبة! تعوّذ بهما؛ فما تعوّذ مُتعوِّذٌ بمثلهما**»[٢].

وفي رواية: «أمرني رسولُ الله ﷺ أن أقرأ بالمعوِّذات دُبُر كل صلاة».

وفي رواية: «**إنك لن تقرأ بمثلهما**».

وفي رواية: «**ما سأل سائلٌ ولا استعاذ مُستعيذ بمثلهما**»

وفي رواية: «**لن تقرأ شيئًا أنفعَ عند الله من** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾».

۞ وفي حديث آخر: «**يا ابن عائش! ألا أدلك** -أو ألا أخبرك- **بأفضلَ ما يتعوذ به المتعوِّذون؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٣].

❀ ❀ ❀

(١) صحيح وقد سبق.

(٢) صحيح وقد سبق.

(٣) وقد سبق تخريجها جميعًا.

ثانيًا - التحصينات السُّنية

١- ما يقول إذا استيقظ من النوم:

۞ عن حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليهِ النشور**»(١).

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا استيقظ أحدكم فليَقُل: الحمد لله الذي ردَّ عليَّ رُوحي وعافاني في جسدي وأذِنَ لي بذكره**»(٢).

٢- ما يقول إذا لَبِسَ ثوبه:

۞ عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ كان إذا لبس ثوبًا سمَّاه قميصًا، أو رداء عمامة، يقول: «**اللهم إني أسألك من خيره وخير ما هو له، وأعوذُ بك من شره وشر ما هو له**»(٣).

٣- ما يقول إذا دخل الخلاء:

۞ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذُ بك من الخبث والخبائث**»(٤).

۞ عن أنس مرفوعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**هذه الحشوش محتضَرة، فإذا دخل أحدكم الخلاء؛ فليَقُل: بسم الله**»(٥).

٤- ما يقول إذا خرج من الخلاء:

۞ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال: «**غفرانك**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري [٦٣١٢-٦٣١٤]، [٦٣٢٤]، وأبو داود [٥٠٤٩]، والدارمي [٢٦٨٦].

(٢) **حسن**: انظر عمل اليوم لابن السني [٩].

(٣) **حسن**: انظر: عمل اليوم [١٤].

(٤) أخرجه البخاري [١٤٢]، [٦٣٢٣]، ومسلم [٣٧٥].

(٥) **صحيح**: انظر: عمل اليوم [٢١].

(٦) **صحيح**: انظر عمل اليوم [٢٣].

٥- ما يقول إذا أراد الوضوء:

قال ﷺ: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسمَ الله عليه**»[(١)].

۞ وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه ﷺ قال: «**توضأوا باسم الله**»[(٢)].

٦- ما يقول إذا فرغ من وضوئه:

۞ عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قال عند فراغه من وضوئه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك اللهم وأتوب أليك، خُتِمَ عليها بخاتم، فَوُضِعت تحت العرش، فلم تُفتح إلى يوم القيامة**»[(٣)].

۞ عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم رفع بصره إلى السماء، فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ فُتحت له ثمانية أبواب في الجنة يدخل من أيها شاء**»[(٤)].

۞ عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال عند فراغه: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، اللهم اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهرين؛ فتح الله له ثمانية أبواب في الجنة يدخل من أيها شاء**»[(٥)].

٧- ما يقول إذا أصبح:

۞ عن عبد الرحمن بن أبزى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين**»[(٦)].

---

(١) **حسن**: راجع طرقه في عمل اليوم [٢٦].

(٢) **صحيح**: انظر عمل اليوم [٢٧].

(٣) **حسن**: انظر عمل اليوم [٣٠].

(٤) **صحيح**: انظر عمل اليوم [٣١].

(٥) **صحيح**: انظر عمل اليوم [٣٢].

(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٧)، وابن أبي شيبة (٩/ ٧٧)، والنسائي وغيرهم. راجع: عمل اليوم [٣٤].

۞ عن أبي هريرة مرفوعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إذا أصبحتم فقولوا: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النُّشور**»(١).

۞ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النبي ﷺ يقول إذا أمسى «**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل، وسوء الكبر، وفتنة الكبر، وفتنة الدنيا، وعذاب القبر، وعذاب النار**»، وإذا أصبح قال مثل ذلك(٢).

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا أصبح: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**»(٣).

۞ عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مَنْ قال إذا أصبح: اللهم أنت ربي لا إله إلَّا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فإن مات من يومه مات شهيدًا، وإن مات من ليلته مات شهيدًا**»(٤).

۞ عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مَنْ قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءفي الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فإن قالها حين يُمسي لم تفجأهُ فاجئة بلاء**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٤)، والبخاري في (الأدب) [١١٩٩]، والترمذي [٣٣٩١]، وابن ماجه [٣٨٦٨]. راجع: عمل اليوم [٣٥].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٠)، ومسلم [٢٧٢٣]، وأبو داود [٥٠٧١]، والترمذي [٣٣٩٠]، وغيرهم.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥)، وأبو داود [٥٠٧٤]، والبخاري في الأدب [١٢٠٠]، وغيرهم. راجع: عمل اليوم [٤١].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٦)، وأبو داود [٥٠٧٠]، وابن ماجه [٣٨٧٢]، وابن حبان [١٠٣٥]، والنسائي في عمل اليوم [٤٦٦]، [٥٧٩]، وأخرجه البخاري [٦٣٠٦]، [٦٣٢٣]، وفي الأدب [٦١٧]، والنسائي (٨/ ٢٧٩)، وأحمد (٤/ ١٢٢) عن شدَّاد بن أوس.

حتى يُصبِح، وإن قالها حين يُصبِح لم تفجأهُ فاجئة بلاء حتى يُمسي»[(١)].

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أبا بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله! مُرني بكلمات أقولهن إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، قال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيب والشَّهادَة، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَليكَهُ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أَنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشيطانِ الرَّجِيمِ وشِرْكِهِ**»، قال: «**قُلها إِذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَك**»[(٢)].

۞ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**ما يمنعك أن تستمعيني ما أوصيكِ به، قولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حَيّ يا قيّومُ برحمتك أستغيث، أصلِح لي شأني كله، ولا تَكِلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا**»[(٣)].

۞ عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان إذا أصبح قال: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلا**»[(٤)].

۞ عن أبي عيَّاش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يُصبِح: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو حي لا يموت، وهو على كل شيءٍ قدير؛ كُتِبَ له بهن عشر حسنات، ومُحيَ عنه عشر سيئات، وكُنَّ كعشر رقاب،**

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٦٢-٦٦)، والبخاري في الأدب [٦٦٠]، وأبو داود [٥٠٨٩]، والترمذي [٣٣٨٨]، والنسائي في عمل اليوم [١٥]، وابن ماجه [٣٨٦٩].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٩-١١)، والبخاري في الأدب [١٢٠٢]، والترمذي [٣٣٩٢]، والنسائي في عمل اليوم [١١]، والدارمي [٢٦٩٢].

(٣) **حسن**: أخرجه النسائي في عمل اليوم [٥٧٥]، وفي الكبرى [١٠٤٠٥]، وابن السني في عمل اليوم [٤٨]، والحاكم (١/ ٥٤٥)، والبيهقي في الأسماء [١٤٠].

(٤) **حسن**: راجع: عمل اليوم لابن السني [٥٤].

وكُن له حِرزًا من يومه حتى يُمسي، ومن قال حين يُمسي ذلك حتى يُصبِح»(١).

۞ عن أبي سلَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرَّ بنا رجلٌ طوال أشعث، فقيل: إن هذا خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت له: أخدمتَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: نعم، قلت: فحدثني عنه حديثًا لم يتداوله الرجال بينك وبينه، قال: سمعته قال: «**من قال حين يُصبِح وحين يُمسي ثلاث مرات: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، كان حقًّا على الله أن يُرضيه يوم القيامة**»(٢).

۞ عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لأبيه: يا أبتِ! إني سمعتك تدعو كل غداةٍ: «**اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلَّا أنت**» ثلاثًا حين تُصبح، وثلاثًا حين تُمسي، وتقول: «**اللهم إني أعوذُ بك من عذاب القبر**» تُعيذها حين تُصبح ثلاثًا وثلاثين وحين تُمسي، قال: نعم يا بني، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بهن وأنا أحب أن أستنَّ بسنته»(٣).

۞ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من قال حين يُصبِح: اللهم إني أمسيت أُشهدك وأُشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك؛ أعتق الله ربعه من النار، فإن قال أربع مرات أعتقه الله ذلك اليوم من النار**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٦٠)، وأبو داود [٥٠٧٧]، والنسائي في عمل اليوم [٢٧]، وابن ماجه [٣٨٦٧]، وغيرهم في عمل اليوم [٦٤].

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٧)، وأبو داود [٥٠٧٢]، والنسائي في عمل اليوم [٤]، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦٧/ ٩٢١)، وابن ماجه [٣٨٧٠]، وغيرهم. انظر: عمل اليوم [٦٨].

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢)، والبخاري في الأدب [٧٠١]، وأبو داود [٥٠٩٠]، والنسائي في عمل اليوم [٢٢]، [٥٧٢]، والطيالسي [٨٦٨]، وغيرهم. راجع: عمل اليوم [٦٩].

(٤) **حسن**: أخرجه البخاري في الأدب [١٢٠١]، والنسائي في عمل اليوم [٩]، وأبو داود [٥٠٧٨]، والترمذي [٣٥٠١]، وانظر عمل اليوم [٧٠].

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيءٍ قدير - عشر مرات - حين يُصبِح؛ كتب الله له بها مائة حسنة، ومُحيَ عنه بها مائة سيئة، وكانت له كعدل رقبة، وحفظ بها يومه، ومن قال مثل ذلك حين يُمسي؛ كانت له مثل ذلك**»(١).

۞ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من قال حين يُصبِح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة؛ لم يأت أحدٌ بمثل ما جاء به يوم القيامة إلَّا أحدًا قال مثل ما قال، أو زاد عليه**»(٢).

۞ وفي رواية: «**حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٣).

۞ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لُدِغ، فبلغ منه ما شاء الله، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**أما أنه لو قال حين أمسى، أو قال حين يُمسي: أعوذُ بكلمات الله التَّامات من شرِّ ما خلق - ثلاثًا - لم يضرَّه**»، وفي رواية: «**وإذا أصبح**»(٤).

۞ ۞ ۞

(١) **صحيح**: أخرجه مالك (١/ ٢٠٩)، وأحمد [٨٠٠٨]، والبخاري [٣٢٩٣]، [٦٢٠٣]، ومسلم [٥٦٩١]، والترمذي [٣٤٦٨]، وابن ماجه [٣٧٩٨].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد [٨٨٣٥]، ومسلم [٢٦٩٢]، والترمذي [٣٤٦٩].

(٣) أخرجه مالك (١/ ٢٠٩)، وأحمد [٨٠٠٩]، والبخاري [٦٤٠٥]، ومسلم [٢٦٩١]، والترمذي [٣٤٦٦].

(٤) **صحيح**: أخرجه مالك (٢/ ٩٥١)، وعنه البخاري في أفعال العباد [٩٠]، وأحمد (٢/ ٣٧٥)، والنسائي في عمل اليوم [٥٩٥]، وأصله في صحيح مسلم [٢٧٠٩]، وغيره.

قصة عُروة بن الزبير

أخرج ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٤٠/ ٢٦٨)، والدينوري في (المجالس) [١٦٦٩]، عن عروة قال: «كنتُ جالسًا في مسجد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضحوةً وحدي، قال: إذ أتاني آتٍ يقول: السلام عليك يا أبا الزبير، فالتفتُّ يمينًا وشمالًا، فلم أر شيئًا غير أني رددتُ عليه. قال: فاقشعرَّ جلدي، فقال: لا روع عليك، أنا رجلٌ من أهل الأرض، من الخافية أتيتك أخبرك بشيءٍ وأسألك عن شيء، قال: ما الذي تسألني عنه؟ وما الذي تخبرني به؟ قال: الذي أخبرك به أني شهدتُ إبليس -عليه لعنة الله- ثلاثة أيام، فرأيتُ شيطانًا مسودًّا وجههُ، مُزرقَّةٌ عيناه، يقول له إبليس عند المساء: ما صنعتَ بالرجل؟ فيقول له الشيطان: لم أطقه للكلام الذي يقول إذا أمسى وأصبح، فلما كان اليوم الثالث قُلتُ للشيطان: عمَّن يسألك إبليس اللَّعين؟ قال: يسألني عن عروة ابن الزبير أن أغويه، فما استطاع ذلك لكلامٍ يتكلم به إذا أصبح وإذا أمسى، فأتيتك أسألك ماذا تتكلم به؟ فقال عُروة: «أقول: آمنتُ بالله العظيم واعتصمتُ به، وكفرتُ بالطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إن الله هو السميع العليم، فإذا أصبحتُ أقول ذلك»، فقال له: يا ابن الزبير! جزاك الله خيرًا، فقد استفدت خيرًا وأفدتَّه».

❁ ❁ ❁

أذكار النوم

❁ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**بسم الله.. أعوذُ بكلمات الله التامة من غضبه، وعقابه، ومن شرِّ عباده، ومن همزات الشيطان وأن يحضرون**»(١).

❁ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ من آخر ما يقول حين ينام وهو واضع يدهُ على خدِّه الأيمن وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك: «**اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من كل شيءٍ أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر**»(٢).

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من اضطجع مضجعًا لم يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فيه إلَّا كانت عليه من الله عَزَّ وَجَلَّ تِرَةً**»(٣).

❁ عن عُقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال له: «**اقرأ بهما كلما نِمت وقمت**» أي: المعوذتين(٤).

❁ عن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صلاته وتبوأ مضجعه يقول: «**اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك،**

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١)، وأبو داود [٣٨٩٣]، وابن السني [٧٤٩]، وانظر تخريجه هناك.

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي [٧٩٤]، وأبو يعلى [٤٧٥٥]، وابن السني [٧٤٥]، وراجع تحقيقه هناك.

(٣) **حسن**: أخرجه النسائي [٨٢٤]، وابن السني [٧٤٨]، وانظر تحقيقه هناك.

(٤) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ١٤٤)، والطحاوي [١٢٤]، وأبو يعلى [١٧٣٦]، والنسائي في عمل اليوم [٨٨٩]، وابن خزيمة [٥٣٤].

وأعوذ بك منك، اللهم لا أستطيع ثناءً عليك ولو حرصتُ، ولكن أُثني عليك كما أثنيت على نفسك»(١).

۞ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**خلتان من يصحبهما دخل الجنة، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل: يُسبحُ أحدكم في دُبُر كل صلاةٍ عشرًا، ويحمده عشرًا، ويُكبرهُ عشرًا؛ فذلك باللسان خمسون ومائة، وبالميزان ألف وخمسمائة، وإذا أوى أحدكم إلى فراشه يُسبح ثلاثًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويُكبرهُ أربعًا وثلاثين؛ فذلك مائة باللسان، وألف بالميزان، فأيكم يخطئ كل يوم ألف وخمسمائة خطيئة؟!**»، فقال رجل: يا رسول الله! كيف لا نحصي هذا؟! فقال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم عند ذلك، فيذكِّره حاجة كذا وحاجة كذا، وإذا أخذ مضجعه ذكَّره حاجة كذا، وحاجة كذا**». قال عبد الله بن عمرو: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدهن بيده(٢).

۞ عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه وضع يدهُ اليمنى تحت خدِّه وقال: «**ربِّ قِني عذابك يوم تبعث عبادك**» ثلاث مرات(٣).

۞ وعن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال له: «**قُلْ إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك: اللهم عالِم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، ربّ كل شيئٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشركه**»(٤).

۞ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي [٨٩٨]، وأحمد (١/ ٦٦/ ١١٨)، وأبو داود [١٤٢٧]، والترمذي [٣٥٦٦]، وابن ماجه [١١٧٩].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٦١)، وأبو داود [٥٠٦٥]، والترمذي [٣١٤٠]، والنسائي [٨٢٥]، والبخاري في الأدب [١٢١٧]، وابن ماجه [٩٢٦]، وغيرهم.

(٣) **صحيح**: انظر تخريجه في عمل اليوم لابن السني [٧٣٠-٧٣١].

(٤) صحيح وقد سبق.

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم [٢٧١٢]، وأحمد (٢/ ٧٩).

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من قال إذا أوى إلى فراشه: الحمد لله الذي منَّ عليَّ فأفضل عليّ، وأسألك بعزتك أن تُنجيني من النار؛ إلَّا حمد الله** عَزَّوَجَلَّ **بمحامد الخلق كلهم**»(١).

عن أبي الأزهر الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قال: «**اللهم اغفر لي ذنبي، وأخس شيطاني، وفُك رهاني، وثقِّل ميزاني، واجعلني في الندى الأعلى**»(٢).

عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا اضطجع للنوم قال: «**اللهم باسمك ربي وضعتُ جنبي فاغفر لي**»(٣).

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي**»(٤).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلفهُ عليه، ثم يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: باسمك اللهم وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»(٥).

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده على خده، ثم قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»(٦).

---

(١) **حسن**: انظر: عمل اليوم [٧٢١].

(٢) **صحيح**: انظر: عمل اليوم) [٧١٥-٧١٧].

(٣) **صحيح**: انظر: عمل اليوم [٧١٥].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٣)، ومسلم [٢٧١٥].

(٥) أخرجه البخاري [٩٣٢٠]، [٧٣٩٣]، وأحمد (٢/ ٤٣٢)، وغيرهما.

(٦) صحيح وقد سبق.

۞ عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله ﷺ أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه أن يقول: «**اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وألجأتُ ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلَّا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مات؛ مات على الفطرة**».[أخرجه البخاري [٦٣١٣]، ومسلم [٢٧١٠]، وابن ماجه [٣٨٧٦]].

نصيحة كعب الأحبار

أخرج مالك في (الموطأ) (٢/ ٩٥١)، وأبو نعيم في (الحلية) (٥/ ٣٧٧)، وابن فضيل الضبى في (الدعاء) [١٢٢]، وابن عساكر (١٤/ ٥٦٥) من طرق عن كعب الأحبار، قال: «**لولا كلماتٌ أقولهنَّ إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ؛ لجعلني اليهود كلبًا نبّاحًا، أو حمارًا نهَّاقًا من سحرهم؛ فأدعو بهنَّ أسلم من سحرهم: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، وأعوذ بوجه الله العظيم الجليل الذي لا يُحقر جاره، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلَّا بإذنه من شرِّ السامة والهامة، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرض، ومن شرِّ ما يخرج منها، ومن شرِّ ما ينزلُ من السماء وما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ وبرأ، ومن شرِّ كل دابة هو آخذٌ بناصيتها، إن ربي على صراطٍ مستقيم**».

هذا، ولم أستفض في ذِكر الأذكار، ولم أستقص كل ما ورد فيها؛ لأنني خرّجتها من كتاب (عمل اليوم) لابن السني رَحِمَهُٱللَّهُ، وقد ذكرت بعضها، مع فضل الذكر في كتابي (إمعان الفكر في فضائل الذِّكر).

وهناك كتب كثيرة جدًّا عُنيت بذلك، مثل (عمل اليوم والليلة) للنسائي وأبي نعيم، و(الأذكار) للنووي والشوكاني، وغيرها كثير.

وما ذكرت ما ذكرت إلَّا لتتم الفائدة، ويتم الكتاب؛ فيكون قد ذكرنا كل شيء عن الشيطان، أو استقصيت ما للشيطان من أخبار ومداخل ومخارج، وكيفية محاربته، وبيان عداوته للإنسان.

ثم ختمت الكتاب بما يتحصن به منه -لعنه الله- والله أسأل أن أكون قد وُفِّقت في ذلك.

نعم، هناك أشياء تركتها، وعلوم غائبة عني، لكن ما تركته تركته بعلم، وما غاب عني نسيته بجهل، والله أسأل أن يغفر لي تقصيري وجهلي، وكل ذلك عندي.

وكل عمل يعتريه النقص والعيب؛ خاصةً إذا كان منسوبًا إليَّ، فالعيب كبير، والنقص شديد، ولكن حسبي أني أفرغت الوسع، وبذلت الجهد، ولم أقصر في جمع هذه المادة، بل ربما راجعت في جمع مادته كل السنن والمسانيد المطبوعة والصِّحاح والأجزاء والمعاجم والفهارس، ونظرتُ في أكثر من عشرة مراجع في اللغة، وأكثر من ألف جزء في علوم مختلفة، منها المعنية بالشيطان والجن قديمًا وحديثًا، ومنها القصص والروايات التي تمتُّ للشيطان بصلة، ومنها غير ذلك.

ولقد مكثت فيه أكثر من عامين ما بين جمع المادة، وما بين كتابتها وترتيبها، وأسأل الله تعالى أن أكون في جمعه موفقًا، وفي ترتيبه راشدًا، كما أسأله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يجعل هذا العمل خالصًا صوابًا، وأن يجعله من المقبولين، وأن يرزق به النفع، وأن يضع فيه الإفادة، وأن يجزل به العطاء يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم، والحمد لله على توفيقه.

وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

مؤلفه

حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي

أبو أنس المصري السلفيّ

غفر الله له ولوالديه

وكان الفراغ منه يوم الأحد الموافق ٢٠ من ذي القعدة عام ١٤٣٠هـ.

٨/ ١١/ ٢٠٠٩م في مدينة الكيماويات - كفر الدوار - البحيرة